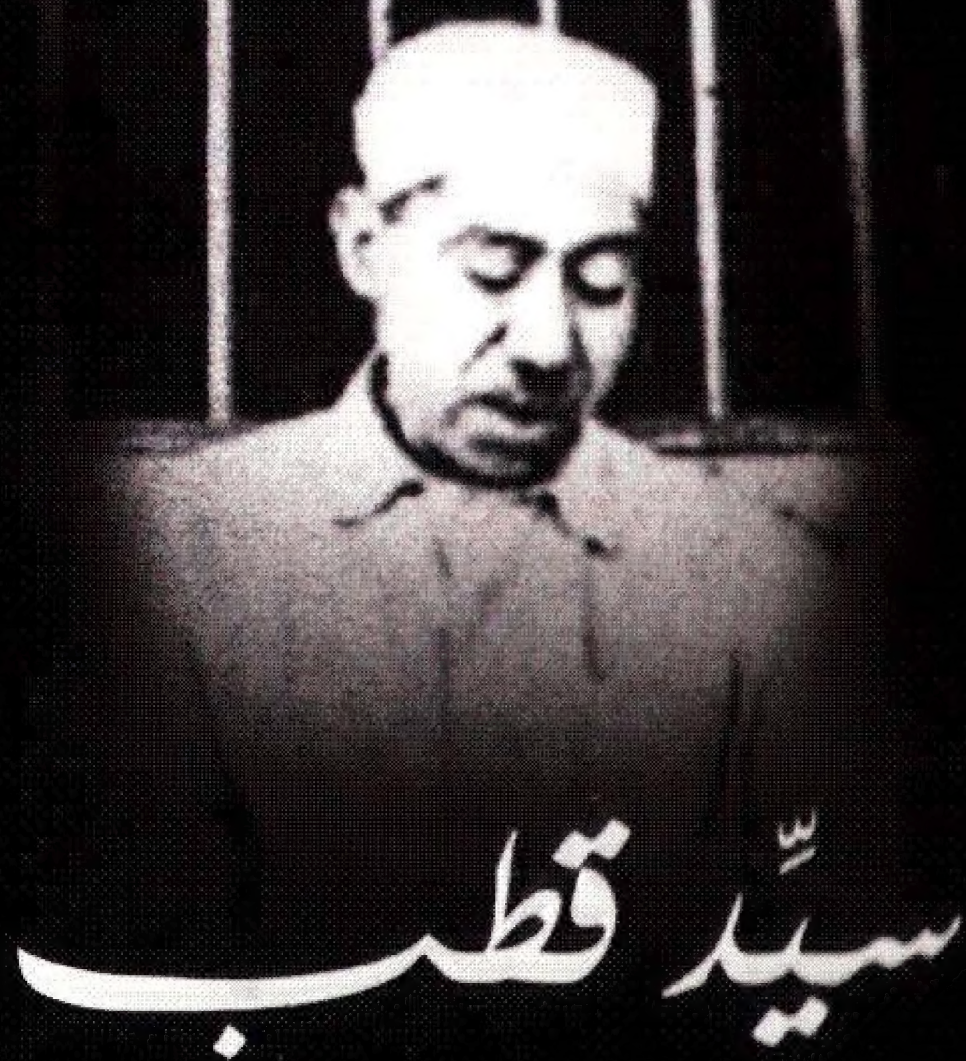


إن نفسي ليس ترضى: أي نفس

تقبل العيش كسكان القبور؟



1906 - 1966

الأعمال الكاملة الشعرية



مقدمة من الشاعر
محمود حسن حنفي



سيد قطب

1906 - 1966

الأعمال

الشعرية

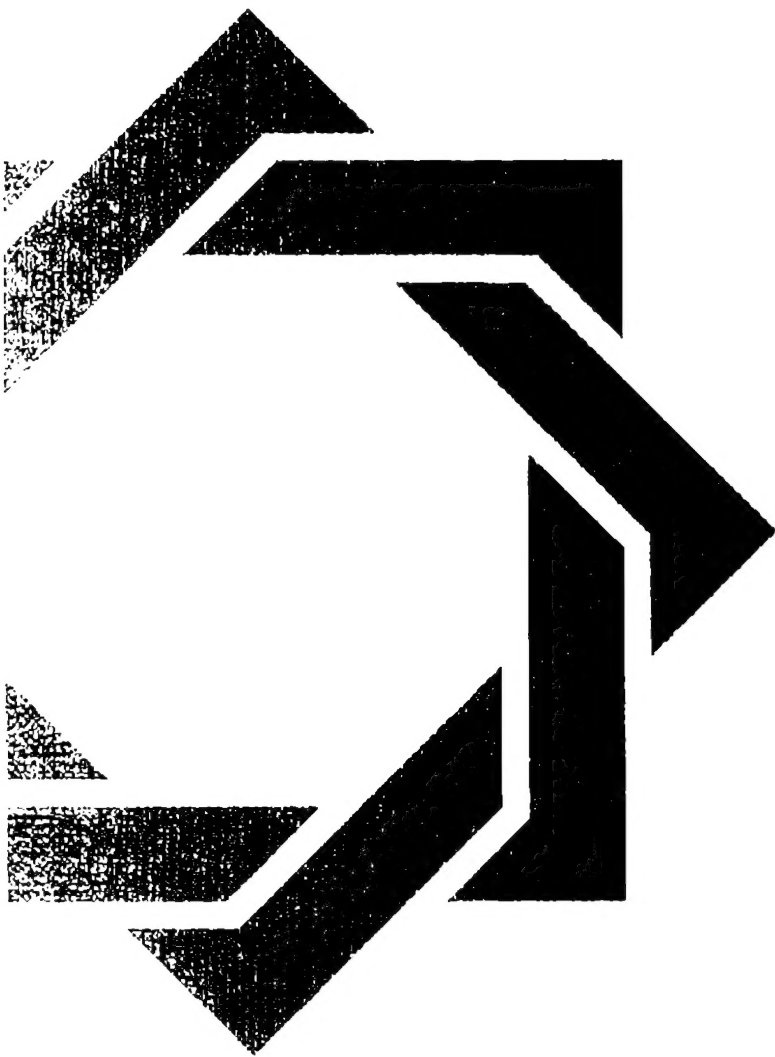
الكاملة

تقديم
محمود حسن
حنفي

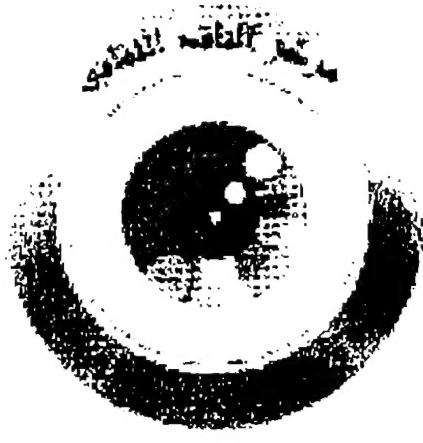
سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي



﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾



جميع الحقوق محفوظة
لمركز الناقدة

الناقد الثقافي
الدراسية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسخ في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

مركز الناقدة الثقافي مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق - ساحة عرنوس - بناء واحة عرنوس - بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع -

مكتب رقم ١ - ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

- رسالة المركز :

أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..

محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .

الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقدة على الحساب التالي :

IN USD (\$)

Correspondent bank :

SWIFT:COBADEFF

Beneficiary bank :

SWIFT : BBSFSYDA

Name of the final beneficiary :

Account number of the final beneficiary :

COMMERZBANK / FRANKFUR

BANQUE BEMP SAUDI FRANSI

(MARKAZ AL NAKED/BBSF)

(0125719/BBSF)

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

Correspondent bank :

SWIFT : BSFRSARI

Beneficiary bank :

SWIFT;BBSFSYDA

Name of the final beneficiary

BANQUE SAUDI FRANSI

BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF

(MARKAZ AL NAKED/BSF)

(0125719/BSF)

تحذير وإنذار

- من يقوم بتزوير هذا الكتاب ويشارك بطبعه أو تغليفه أو بيع النسخ المزورة يلاحق بأقصى العقوبة المنصوص عليها في القوانين ويتحمل كل ضرر ناجم عن ذلك .
- قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي رقم (5) د 1988/9/8 م بشأن الحقوق المعنوية أسقط الفتاوى التي يتذرع بها لصوص الكتاب لتغطية كسبهم الحرام فقد جاء في مادته الثالثة :

((حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصنوعة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف

فيها ، ولا يجوز الاعتداء عليها))

- صدر في سوريا قانون حماية حقوق المؤلف رقم ١٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٢٧ ويقضي القانون بحماية حقوق المبدعين والمفكرين في شتى ميادين الأدب والعلم والفنون من مختلف أشكال العبث سواء بالانتحال أو التشويه أو الطمس أو بأي مسّ من شأنه أن يسيء إلى المؤلف .

الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين . وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي في العشرينيات (١٩٢٥-١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي في الأربعينيات (١٩٤٥-١٩٥٠) في (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفني في القرآن)، (مشاهد القيامة في القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠-١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية في الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمي والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(في ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤-١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذي يكفر فيه المجتمع ويقسمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضى الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١)

١- حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢-١٩٨١/٥ الحركات الإسلامية المعاصرة، القاهرة، مدبولي ١٩٨٨، ص ١٦٧-٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٣٤ وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤.

❖ كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتي شاعر التمرد والوطنيات إلا في النهاية.

❖ هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال في الشعر الجاهلي. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوي وغطاء لفظي يمنع من الإحساس الجمالي المباشر بالمضمون الشعري. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف في الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسي واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها في الرواية في عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطف حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف في الأرياف) لتوفيق الحكيم.

❖ وهو شعر عاطفي وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبئية نفسية). فالشاعر غريب في العالم يدعو في (دعاء الغريب). يخطو الزمن به وثباً. يتوه في الصحراء، وتغوص أقدامه في (أقدام في الرمال).

يحن إلى الماضي وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان في (ريحانتي الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحي وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبي). يمجّد الإبداع في الفن والحياة وكما كتب في ١٩٣١م في محاضرة قدمها مهدي علام: (مهمة الشاعر في الحياة). وظل كذلك حتى في مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية في الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات في قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

❖ وهو شعر واقعي يصف الجوانب السلبية في الإنسان، وفي الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق في (اضطراب حائق). والأقدار تسخر من الإنسان في (سخرية الأقدار). والدنيا خراب في (خراب). والنفس ضائعة في (النفس الضائعة). والصديق مفقود في (الصديق المفقود). والغد مجهول في (الغد المجهول). وهو غريب في العالم في (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولى في (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب في (الشعاع الخابي). والشاطئ مجهول في (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر في وادي الموتى في (السر... أو الشاعر في وادي الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان في (الخطيئة). وللقصيدة مصرع في (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة في (خدعة الخلود). والنظرة موحشة في (نظرة موحشة). والناس في خصام في (خصام). والأفواه ظامئة في (الظامئة). واللحن حزين في (اللحن الحزين).

والحب في مصرع في (مصرع حب). والحب مكروه في (الحب المكروه)،
والبكاء على أطلال الحب في (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة في
(أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة في (الكأس المسمومة). والوردة
ذابلة في (وردة ذابلة). والجمال عبث في (عبث الجمال)، واليوم خريف
في (يوم خريف). والجبار عاجز في (العاجز الجبار)، والجمال حزين
في (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت في (موت سوسو). وللفاجعة
صدى في (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة في (مأساة البدارى). والحنين
يذرف الدمع في (الحنين والدموع). والحياة نكسة في (نكسة).

❖ وفي الوقت نفسه هو شعر مثالي يعبر عن حضور المثل الأعلى
في الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر
عن الجوانب الإيجابية في الإنسان كما يفعل القرآن في بر الإنسان بوالديه.
يريد الصعود إلى القمة في (على القمة). يعشق المحال في (عاشق المحال).
يحقق الحلم القديم في (حلم قديم) و(جولة في أعماق الماضي). الشعراء
فيه سعداء في (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأصدقاء). والروح
تتف في (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه في (ابتسامة)، والبسمة
بعد العبوس في (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة في (وجوه طريفة).
وهناك بعث بعد الموت في (بعث). والحب حقيقة وتعبير في (أحبك)
و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب في (قبلة). والحب رقية في
(رقية الحب)، والحب لا يخطئ في (عصمة الحب). والخواطر تتوارد في
(توارد خواطر).

❖ وهو شعر إنساني عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ
العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات
المتحدة في بعثة تربوية، والتي كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته
(حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتي جمعت بعد ذلك
في (أمريكا التي رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضي والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

❖ وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففي الطبيعة جمال، كما أن في الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها في (نداء الخريف) و(في ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل في الريف في (ليلات في الريف) و(العودة إلى الريف) في ظلال الأشجار في (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار في (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس في (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك في قصيدتي (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

❖ وهو شعر اجتماعي يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية في (العودة إلى الريف) و(ليلات في الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هي الريحانة الأولى في (ريحانتي الأولى أو الحرمان). الناس في (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكلوبة في (أكلوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد في (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية) و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

❖ وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامج الدعوى (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكره خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكره فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهرجان العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

❖ وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى (الغد المجهول).

❖ ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحي والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

في رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول في (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية في (سخرية الأقدار)، وليست موضوعاً للإيمان كما هو الحال في عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هي الفعل البطولي في (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادي المقدس) في الأرض وليس في السماء.

✧ إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعري والنقدي والفكري ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذي هو حرق سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكراً وثائراً ووطنياً باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن في ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفر المجتمع في (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى في جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) رداً على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك في (مقدمة في علم الاستغراب). ويتم استئناف (في ظلال القرآن) آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور في (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافي- الاعتبار لسيد قطب شاعرا
عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى
أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر
الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر^(١).

١- ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط فى وهدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي
الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتون الحقد. من طرفي الأمة وحناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعول
لو تابعا مسيرتهما معاً، كما بدأها، التيار الإسلامى والتيار القومى المعتدل وما وصلت إليه أمتنا
اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم
أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين فى وجه العدو المشترك
الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلفَ هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأى
سواى أن يعرفها ! ولقد صاحبته زهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً،
وراقبتُ خوالجه^(١) وسرائره وخبرته اتجاهاته وميوله، وكونتُ لي رأياً
عنه، أقرب ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يشجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخواج والقصائد، ولكننا
كُنّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أماً واحداً، لا نزال مختلفين فيه أشدَّ
الاختلاف.

ذلك أنه راض عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فليست راضياً عنها إلا
بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مثل عُلَيّا، كما آخذُ عليه بعض أنواع الضعف
والخطأ. وما يشبه الضعف والخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ !
وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر ما أخذه
وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحتي الطويلة له، والصدقة العميقة بيننا؛ في
تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول
الأخرى، تُطالع للقارئ، نظريات علمية وفلسفية كثيرة، ولكنها لم
تحتفظ بِسَمَتِها^(٢) العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من
صور الشعر، فيها موسيقيته وعليها مسحته؛ ولها سحنته^(٣).

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.

٢- السَّمْتُ: الطريقة.

٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداً بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً^(١) حتى يَشْجُرَ بينها العدا!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُرَ عليه، حين يبلغُ حداً مُناسباً من النُّضوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويعتصرهما دماً، ويمثلهما غذاءً، يُقَوِّى من بُنيته؛ إن لم يُحسَّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلمُّ به من حقائق أخرى تناسب طبيعته؛ إلا إذا قَصَرْنَا طرق المعرفة على القوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثير من مدارس السيكلوجية^(٢) الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا أُلْخِصُ بعض هذه المسائل، التي تُعرض للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارة، وبالاستغراق والتجرد تارة؛ فالتقت بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقت معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولم تأت عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العنصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود. وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفَرِّق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى الملهمّة - وليست هي الغرائز - القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دون شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١ - النَّدُّ: المثل والنظير.

٢ - السيكلوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطئ المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة^(١) واستغراق، وتجرد؛ وصوفية.

لقد حجبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائقَ جلتَ عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا^(٢) فنغنم فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية - عند الشاعر - هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيد الزمن؛ وبالبداهة لا يقيد المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطئ المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سرّاً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ - البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ - الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبه الموت سكرةً ومن حوله موتٌ نمتهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرّةٍ فهاتيك أشلاءً وهذى خواطر^(١)

وفي قصيدة (خبئة نفسي) ^(٢) إذ يقول:

خبئة نفسي في ثناياك معرضٌ لما لقيتهُ الأرضُ في الجولانِ

وإنك طلسمُ الحياة جميعها وصورتها الصغرى بكلِّ مكان^(٣).

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهد الإنساني لهذه الغاية:

فياليتَه يدري بما خلف سِتره فيختمُ سفرَ النَّاسِ في الكونِ ظافر^(٤)

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقي توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١ - أشلاء: مفرد لها شلّو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.

٢ - خبيئة: المخبوء

٣ - الطلسم (في علم السحر): الشيء الغامض.

٤ - السّفر: الكتاب

ويملاً الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشتُ كسكّانِ القبور في ربيعِ العمر؛ في العهدِ النَّصرِ
آه لو أَسْطِيعُ للماضي الحسير رجعةً، من بعد ما جاءَ ومَرُّ^(١)
كنتُ أحييه كما يُحْيَا الشُّبابُ نابضاً بالحُبِّ؛ جيشَ الأُماني
ممسكاً أهدابَهُ خوفَ الذَّهابِ! مُسْتِعْزِراً فيه حتّى بالشَّواني^(٢)
وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً أسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل
أو تمتّع
وهو محسوبٌ علينا في الأجل
فهو أضيّع

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا، اخلدي، لا تغبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.
واليومَ آسفٌ للدَّقائِقِ تنطوي من عمري الغالي الثمين الطيب
واليومَ أرقبها وأرقبُ خطوها فأعيشها مثلين بعد ترقبي!
وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تنمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغناءً عن الخلود غرامٌ هو رمزٌ ووَصْلَةٌ للبقاء

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثارةٌ تنسابُ في خلد وفي أوْهامي^(١)

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعة الخلق، فهو يتعزى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيتُ ما أعيا المقادير إنَّما وجدْتُك رمزاً للأمانِ الصَّوادفِ
فأنت عزائي في حياةٍ قصيرةٍ وأنت امتدادي في الحياةِ وخالفي

المجهول:

يملاً الشغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدتها؛ بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادي؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملاستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المتبهِ) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في (التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقى؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها. فالوزن يتحقق بأيّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقى؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقى السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقى الفكرية؛ ثم الموسيقى الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقى الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقى الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونّها في نغم رتيب، فيه شجو^(١). وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست^(٢) هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُك في الطفولة غافلاً عما حوت من الوجود السّامي

لكن وجدْتُك إذ كبرتُ بخاطري رمزاً أحيطُ بغمرة الإبهام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلاً لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها: **مُنْذُ مَا أُطْلِعْتُ فِي هَذَا الْخَرَابِ وَأَنَا أَسْأَلُ: مَا شَأْنِي هُنَا؟**

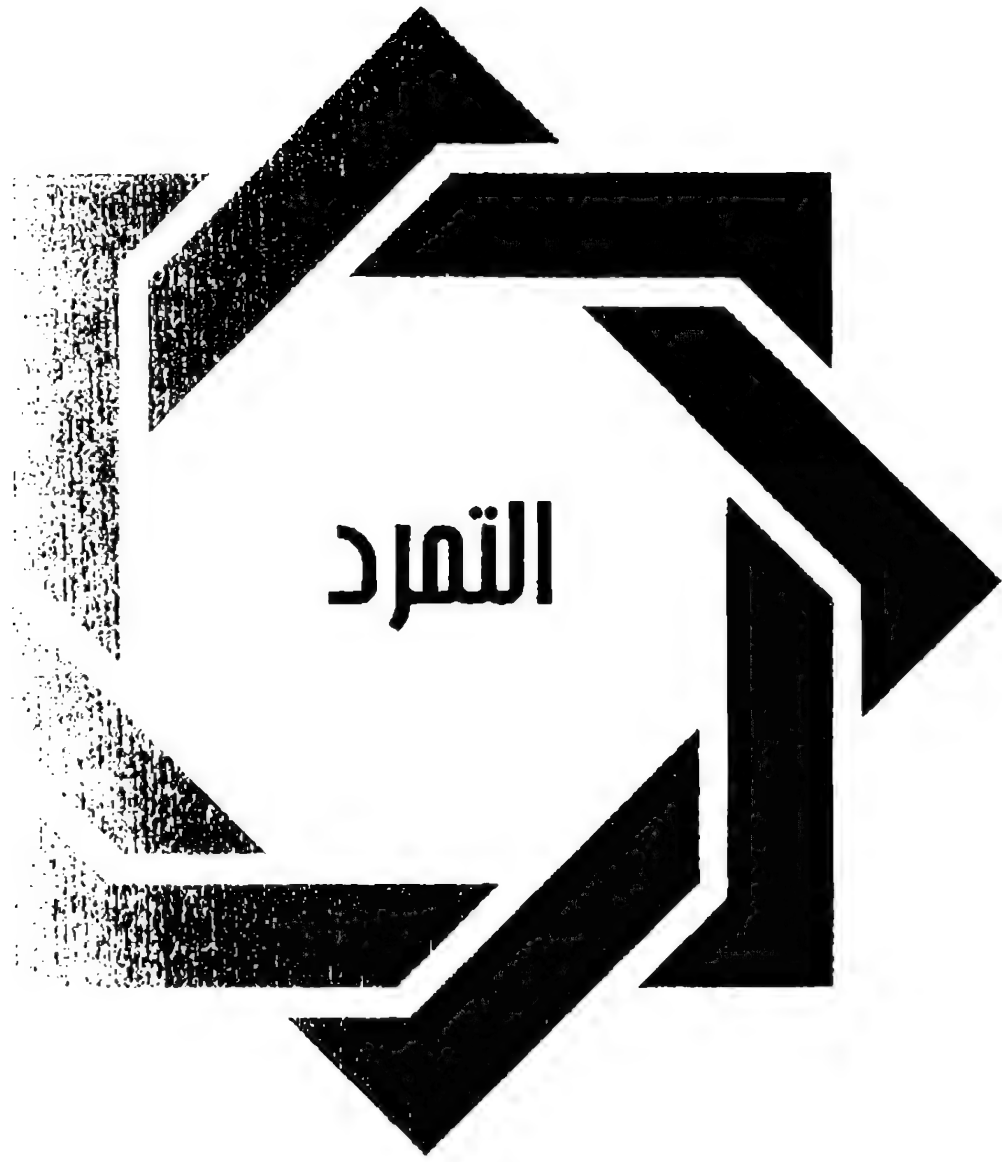
ولو قال: ((منذ ما طلعت)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أرغمت على الحياة ((فأُطْلِعْتُ)) دون إرادتها؛ ولم ((تُطْلَعْ)) هي بمشيئتها.

ومثل هذه الدقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخطأً في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة. والذي يستحق التنبيه أن هناك جرأة في الاشتقاق، قد تؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلها العاجزون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعد: فهناك مباحث طويلة عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (الغزل) وفصل (الوطنيات) أتركها للقراء..^(١)

١ - اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تلامي، والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.



إن نفسي ليس تَرْضَى : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسكّان القبور؟

عزلة ضي ثوراة!!*

حَدَّثَنِي أَنْتِ يَا نَفْسِي فَمَا أَفْهَمُ الْعَالَمَ أَوْ يَفْهَمُنِي
إِنِّي أَنْكَرْتُهُ الْيَوْمَ كَمَا أَنَّهُ بِالْأَمْسِ قَدْ أَنْكَرَنِي
لَمْ أَجِدْ فِي الْكَوْنِ إِلَّا أَلَمًا إِنَّمَا الْوَحْدَةُ أَصْلُ الشَّجَنِ

* * *

وَحْدَةُ الْأَرْوَاحِ أَنْكَسَى الْوَحْدَاتِ وَحْدَةُ الْأَجْسَامِ تُنْسَى وَتَهُونُ^١
أَيُّ بُؤْسِي تَسْتَحِثُّ الذِّكْرِيَّاتِ كَانْفِرَادِ الرُّوحِ فِي وَادِي الشُّجُونِ
إِنَّ رُوحِي قَدْ تَنَاسَتْ ((خُذْ وَهَاتِ)) وَانْزُوتِ فِي عَالَمِ جَمِّ السُّكُونِ^٢

* * *

لَمْ أَجِدْ قَلْبًا إِذَا ارْتَعَتْ خَفَقَ خَفَقَةُ الْحُبِّ بُوْحَى صَادِقِ^٣
وَإِذَا شَدَّ فِؤَادٌ فَصَدَقَ أَتْبَعَ الْحُبِّ بِغَدْرِ مَاحِقِ^٤
وَفِؤَادِي يَتُنَزَّى^٥ فِي حَرَقِ وَاجِفًا مِنْ كُلِّ حَدْسٍ طَارِقِ^٥

* * *

وَحَبِيبٍ قَدْ سَمَتَ رُوحِي إِلَيْهِ وَعَبَدْتُ الطُّهْرَ فِيهِ وَالْجَمَالَ
وَوَقَفْتُ النَّفْسَ وَالْفِكْرَ عَلَيْهِ وَالْأُمَانِيَّ وَأَطْيَافَ الْخَيَالِ
وَرَأَى مِنِّي أَسِيرًا فِي يَدَيْهِ فَتَوَلَّى لَاهِيًا عَنِّي وَمَالَ

* * *

لم أجِدْ في الكونِ ما أنشُدُهُ مَثَلاً أَعْلَى فَأَرْوِي ظَمْئِي
وَإِذَا صَوَّرْتُ مَا أَقْصَدُهُ بُهِتَ النَّاسُ لِهَذَا النَّبَأِ
وَتَوَلَّى بَعْضُهُمْ يَنْقُذُهُ جَاهِداً وَبَعْضُ يَرْوِي خَطْئِي

* **

وَتَقَالِيدُ وَأَسْرَى يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ مُغْلُولِي الْفِكْرِ
وَإِذَا ثَرْتُ عَلَيْهَا يَسْخَطُونَ وَيَقُولُونَ تَمَادَى وَكَفَرَ!
وَيَحْهَمُ مَاذَا تَرَاهُمْ يَبْتَغُونَ؟ أَتُرَى نَحْيَا شُخُوصاً مِنْ حَجَرٍ؟!

* * *

إِنْ ذَكَرْتُ الْحُبَّ قُدْسِيّاً نَقِيّاً حَسْبُوهُ مِنْ خِيَالِ الشُّعْرَاءِ
إِنِّي أُدْرِكُهُ رُوحاً خَفِيّاً يَهْبِطُ الْأَرْضَ وَمَأْوَاهُ السَّمَاءُ
وَهُمْ يَبْغُونَهُ إِثْماً فَرِيّاً يُرْتَدَى فِي أَثْوَابِ الْبَغَاءِ!

* * *

أَتُرَى أَحْيَا بُرُوحٍ لَا تَحْسُ وَفُؤَادٍ لَيْسَ يَدْرِي مَا الشُّعُورُ؟
أَكْتُمُ الْأَنْفَاسَ إِنْ جَالَتْ بِحَسٍّ ثُمَّ أَبْقَى صَخْرَةً بَيْنَ الصُّخُورِ؟
إِنَّ نَفْسِي لَيْسَ تَرْضَى: أَيُّ نَفْسٍ تَقْبَلُ الْعَيْشَ كُسُكَّانِ الْقُبُورِ؟
حَدَّثَنِي أَنْتِ يَا نَفْسُ إِذَنْ وَاتْرَكِي الْعَالَمَ فِي الْكَوْنِ يَمْوِجُ

واعشقي كلَّ جمالٍ يُفتَتَنُ واضحَ الطَّلعةِ بَسَّامٍ بهيجٍ
وخُذِي ما شِئْتَهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ ودَّعِي مَنْ هَاجَ فِي الأَرْضِ يَهيجُ!
* * *

حَلِّقِي يا نَفْسُ فِي كُلِّ فضاءٍ واهِطِي بَيْنَ الأَقاحِي والزُّهورِ
واسمعي ما شِئْتَ مِنْ عَذْبِ الغِناءِ حينَما تَهْتِفُ باللَّحْنِ الطُّيُورِ
إنَّما الكَوْنُ وَمَنْ فِيهِ هَباءٌ بعدما يَرْضَى عَنِ النَفْسِ الضَّميرُ
* * *

حَدِّثِي يا نَفْسُ إني لَسَمِيعٌ إنَّ لَهَا النَّاسُ وَلَمْ يَسْتَمِعُوا^(١)
وَصِفِي إحْساسَكَ السَّامِي البَدِيعِ ودَّعِيهِمْ حَيْثُ هُمْ قَدْ ودَّعُوا
وَإِذا الأَلْفاظُ أَعْيَتْ، فالدموعُ فَإِذا جَفَّتْ، فَخَفَقَ يُسْمَعُ
* * *

أَقْفِرِ العَالمُ مِنْ كُلِّ سَميرٍ يُبْعِدُ الوَحْشَةَ عَنِّي غَيْرَ نَفْسي
فَلْيَفِضْ ما جَاشَ فِيها مِنْ شَعورٍ وَلتَكُنْ إلْفِي وَمَنْ أَرْجُو لَأُنْسي
وَخُدَّةً فِيها هُدوءٌ وَسُرورٌ وَمناجاةٌ، فِيا نَفْسي لَتَأْسي
* * *

١ - لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب ماتقا!

أحياة أم نار الجحيم بلظاهها الهائج المستعر؟^(١)
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم من حَيَاتِي فوق مَا فِي سَقَر! * * *

آه. لا شَكْوَى ولا بَثَّ شَجْنٍ لا أريدُ الضعف. كلا. لا أريدُ
سوف لا يظهرُ مِنِّي مَا كُمنُ فليشدَّ الخطُّبُ إنِّي لشديد^(٢)
* * *

ولمن أشكو إذا شئتُ الشَّكاه؟ ولمن أسطيعُ إيضاحَ شعوري؟
أينَ مَنْ ينظرُ مِنِّي مَا أراه في شعوري، غيرَ نفسي وضميري؟! * * *

أغربي عني بعيداً يا حَيَاتِي قد كرهتُ العيشَ في جَوْ قَدْر!
أغربي محفوفةً باللعناتِ أبُعدي عن سَاخِطِ جهمِ ضَجْر!^(٣)
* * *

لا فِراراً من جهادِ كالجَبَانِ لا. فما كنتُ جَبَاناً أَحْذَر!
إنما أَنْتِ سَبيلٌ للهوانِ لستُ أَرْضَاه ونفسي تَشْعُرُ
* * *

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كُمن: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه، ضجر ضاق وتبرم

أَنَاسِيًّا أَرَى أَم حَشَرَاتٍ شَوَّهَتْ مِنْ طَلَعَةِ الْكَوْنِ الْجَمِيلِ؟
يُشَبِّهُونَ النَّاسَ فِي تِلْكَ السَّمَاتِ بَيْنَمَا أَنْفُسُهُمْ رِجْسٌ يَسِيلُ!
* * *

حَقَرُوا الْكَوْنَ وَأَغْرَضَ الْحَيَاةَ حَسَبُوهَا دَنَسًا فِي دَنَسٍ
وَصَغَارًا لَيْسَ يَرْضَاهُ إِلَهٌ وَهَبَ الْأَرْوَاحَ نُورَ الْقَبَسِ! (١)
* * *

إِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَى الْجَمَالِ إِنَّهُمْ قَدْ جَهِلُوا سِرَّ الْوُجُودِ
وَإِذَا طَالَعَهُمْ طَيْفُ الْكَمَالِ لَانْحَا يَهْفُؤُ، تَوَلَّوْا فِي جُمُودِ
* * *

فَهَمُّوا الْعِيشَ طَعَامًا وَشَرَابًا وَرَوَاحًا حَيْثُ شَاؤُوا وَغَدُّوا
أَنْفُسَ كَالْكَهْفِ مَا زَالَتْ خَرَابًا مِنْ شَعُورٍ يُلْهِمُ النَّفْسَ السُّمُورَ
* * *

فَإِذَا حَدَّثَتْ عَنْ طُهْرِ بَدِيعٍ وَشَعُورٍ يَغْمُرُ النَّفْسَ بَرَاءً (٢)
أَدْرَكُوهُ سَافِلِ الشَّانِ وَضِيعٍ وَهُوَ أَسْمَى مَا اسْتَطَاعَتْهُ السَّمَاءُ!
* * *

١- القبس: النار أو الشعلة

٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَرُوا الْعِفَّةَ وَالْحِسَّ الْبِرَّاءَ حَقَرُوا الرُّوحَ وَهَامُوا بِالْجُسُومِ
حَقَرُوا الْإِخْلَاصَ مُحْضاً وَالْوَفَاءَ وَرَأَوْا فِي النَّفْسِ مَحْيَاهَا الذَّمِيمَ
* * *

أَيْذَا مَا أَخْلَصَ الْوَدَّ فُؤَادَ لِفُؤَادٍ مُخْلِصٍ، فَاتْلَفَا
لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا لِفَسَادٍ يَثْلُمُ الْعَرِضَ وَيُؤْذِي الشَّرَفَا؟^(٣)
* * *

لَا. فَمَا أَقْفَرَ هَاتِيكَ الْنفُوسَ لَا. فَمَا أَجْمَدَ ذِيكَ الشُّعُورَ
إِنَّ وَجْهَ الْكَوْنِ مُغْبَرٌّ عَبُوسٌ بِهِمُومٌ. فَلْيَغْرُبُوا عَنْهُ يُنِيرُ!

* * *

^١ - يثلم: يجرح، يحدث فيه ندبة

زفرات بامسة مكبومة*

اذهب وخلفني هنا متألماً لا تلقني سمحاً ولا متجهماً
اذهب وخلفني تذوب حشاشتي ويُبضُّ قلبي من قرارته دماً^(١)
اذهب فلن أشكو إليك عواطفي يوماً ولن ألقاك إلا أبكماً
أرخصت حبي إذ بثت بك بعضه فليبق مكبوحاً إذن فتكتماً
إن كان بث الحب عندك ماثماً فكذلك عندي سوف يغدو ماثماً
* * *

اذهب وفي نفسي لبعدك حسرة والعيش بعدك صار صلباً علقماً
سأنام مهموماً وأضحو حائراً وأهيم في وادي الأسى متألماً
ويخيم البؤس الممض فلا أرى إلا شقاءً في الحياة مخيماً^(٢)
لكن سأكتن ما تكن جوانحي وأعيش مكبوح الجوى مستسلماً^(٣)
* * *

واويلتاه لقد أهنئت عواطفي وحسبتها عبثاً يمجُّ مذمماً^(٤)
وأراك تأتي أن أكون متابعاً لك في الغدو وفي الرواح ميمماً

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، يتر.

٢- الممض: المؤلم من أمضه الألم

٣- الجوى: حُرقة الشوق

٤- يمجُّ: يلفظ

لَكَ مَا تَشَاءُ، فَمَا أَطِيقُ تَبَدُّلاً مَنِي وَلَسْتُ أَطِيقُ مِنْكَ تَبَرُّماً
لَكَ مَا تَشَاءُ، فَلَنْ أَرَى مَتْنَائِي عَنِّي فَأَرْجُو عَطْفَهُ مُسْتَرْحِماً
وَإِذَا شَكُوتُ فَلِلسَّمَاءِ سَأَشْتَكِي أَلَمِي وَأَبْدُو صَابِراً مُتَبَسِّماً

سَأَعِيشُ عَيْشَ الزَّاهِدِينَ وَكَانَ لِي أَمَلٌ حَطَمْتُ قِوَامَهُ فَتَحَطَّماً
أَمَلِي الَّذِي قَدْ كَانَ لِي هُوَ أَنْ يَعِيشَ شَ الْحُبِّ فِينَا طَاهِراً وَمُكْرَماً
أَمَّا وَقَدْ أَرْخَصْتَهُ وَأَهْنَيْتَهُ وَرَأَيْتَهُ إِثْمًا لَدَيْكَ مُحَرَّماً
فَلِيَذْهَبِ الْأَمَلُ الَّذِي أَمَلْتُهُ حِينَا وَعِشْتُ بِظِلِّهِ مُتَنَعِّماً
سَأُصُونُ عَهْدَ الْحُبِّ عَفْأً طَاهِراً حَتَّى أَمُوتَ بِهِ شَهِيداً مُغْرَماً

* * *

عاشقها المعال*

ضِقْتُ بِالْقَيْدِ فَانْطَلِقُ أَيُّهَا الْآبِقُ الشَّرُودُ^(١)
قَدْ تَحَرَّرْتُ فَاسْتَبِقْ لِلصَّرَاعَاتِ مِنْ جَدِيدٍ

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّبَاهِ ثُمَّ تَهْوِي إِلَى السُّفُوحِ
شَارِداً تَقْطَعُ الْحَيَاهِ فِي التَّعَلَّاتِ وَالطُّمُوحِ^(٢)

انْطَلِقْ تَفْجَأُ الْخَطَرُ كَالَّذِي يَفْجَأُ الرَّجَاءُ
لُعْبَهُ فِي يَدِ الْقَدَرِ تَزْرَعُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ

جَمْرَةٌ أَنْتَ تَتَّقِدُ خَلْفَ سِتْرِ مِنَ الرَّمَادِ
وَهِيَ تَذْكُو بِلا مَدَدٍ ثُمَّ تَغْدُو إِلَى نَفَادِ

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ الْقَلْقِ صَاغِكَ اللَّهُ وَالْجُمُوحُ
تَعْشَقُ الْأَيْنَ وَالْحَرْقَ وَالْعَقَابِيلَ وَالْجُرُوحُ^(٣)

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١ - الآبق: الهارب، الشرود: المطارد

٢ - التعلات: جمع التعلة: ما يُتَعَلَّلُ أو ما يُتَلَهَى به.

٣ - الأين: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْتَ تَرْنُو إِلَى الْمَحَالِّ عَاشِقًا بُعْدَهُ السَّحِيقُ
فَإِذَا شَارَفَ الْمَنَالَ خَلَّتْهُ مِنْ لُقَى الطَّرِيقِ^(٢)

ضِقْتُ بِالْقَيْدِ مِنْ ذَهَبٍ ضِقْتُ بِالْأَمْنِ وَالْقَرَارِ
فَانْطَلَقْتُ ثُمَّ لَا تَثْبُ عِشْتُ لِلْخَوْفِ وَالْعِثَارِ^(٣)

١ - اللُّقَى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق

٢ - العِثَار: السقوط

علم قديم*

طَافَ بِي مُسْتَطِلِعاً حُلْمِي الْقَدِيمُ
فَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ فِي وُجُومٍ
قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؛ فَأَغْضَى خَجَلاً
قَالَ لِي: حُلْمُكَ فِي الْعَهْدِ الْوَسِيمِ!^(١)
قُلْتُ! يَا حُلْمُ. مَتَى عَهْدِي ذَاكَ؟
مَنْذُكُمْ يَا حُلْمُ قَدْ طَافَتْ رُؤَاكَ
قَالَ: لَمْ يَبْعُدْ بِأَطْيَافِي الْمَدَى
قُلْتُ: مَا أَبْعَدَ مَا مَرَّتْ خُطَاكَ
شَدَّ يَا حُلْمِي مَا قَدْ حَالَ حَسِّي؟
شَدَّ يَا حُلْمِي مَا أَنْكَرْتُ نَفْسِي!
أُتْرَى ذَاكَ الَّذِي نَعْرِفُهُ؟
قَالَ: مَا تُبْصِرُ عَيْنِي غَيْرَ رَمْسٍ!^(٢)

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم: الحسن الجميل

٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

وَمَضَى عَنِّي فِي يَأْسٍ عَقِيمٍ
سَادَرَ الْخَطْوَةُ فِي الْأَرْضِ يَهِيمٌ^(١)
قلت: يَا حُلْمِي تَمْضِي مُفْرَدًا
ليسَ فِي الرَّمْسِ سِوَى قَلْبِ رَمِيمٍ!^(٢)

* * *

١ - يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢ - الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآن والأيام مُدْبِرَةٌ، تُؤَلِّولُ بِالنُّوَاحِ
والأفقُ مَحْضُوبُ الأَدِيمِ، وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالرَّوَاحِ^(١)
أَقْبَلْتُ وَيَحْكُ تَبَسِّمِينَ، فَأَيْنَ كُنْتَ لَدَى الصَّبَاحِ؟
وَجْهَهُ الْخَرِيفُ، يُطَلُّ فَاسْتَمِعِي لِإِعْوَالِ الرِّيحِ!

* * *

بَعَثَرْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ، فَوَيْحَ أَيَّامِ الشَّبَابِ!
لَا نَسْتَقِي إِلَّا عَلَى رَنَقٍ وَأَنْفُسُنَا غَضَابُ^(٢)
لَمْ تَصِفْ كَأْسُ حَيَاتِنَا يَوْمًا وَلَا لَذَّ الشَّرَابِ
وَالآنَ تَنْطَلِقِينَ فِي لَهْفٍ إِلَيَّ وَفِي ارْتِقَابِ

* * *

عَيْنَاكَ وَاهْتَانِ لَاهِفَتَانِ كُلُّهُمَا دُعَاءُ^(٣)
وَحْنِينَ مَلْهُوفٍ تَطْلُعُ فِي قُنُوتٍ^(٤) لِلسَّمَاءِ

*

نشرت عام ١٩٤٧م

١- الأديم: بياض النهار.

٢- الرنق: كدر (الماء المتعكر)

٣- اهتاتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان

٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأين أنا وأين حنين أيامي الظَّماء؟!
صَمْتُ الحَرِيفِ يَلْفُنِي وعليه شاراتُ المساء!

* * *

ذَهَبَ الزَّمانُ هُنَاكَ، فامضي أنت عَنِّي
ما عادَ يُوقِظُنِي نِداؤُكَ خِلْسَةً مِنْ بعدِ وَهْنٍ
ماتَ مُنَايَ جَمِيعُهَا، فَعَلَامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنِّي؟
فَرَقَ الزَّمانُ طَرِيقَنَا، فامضي وَحَسْبُكَ ذَاكَ مِنِّي!

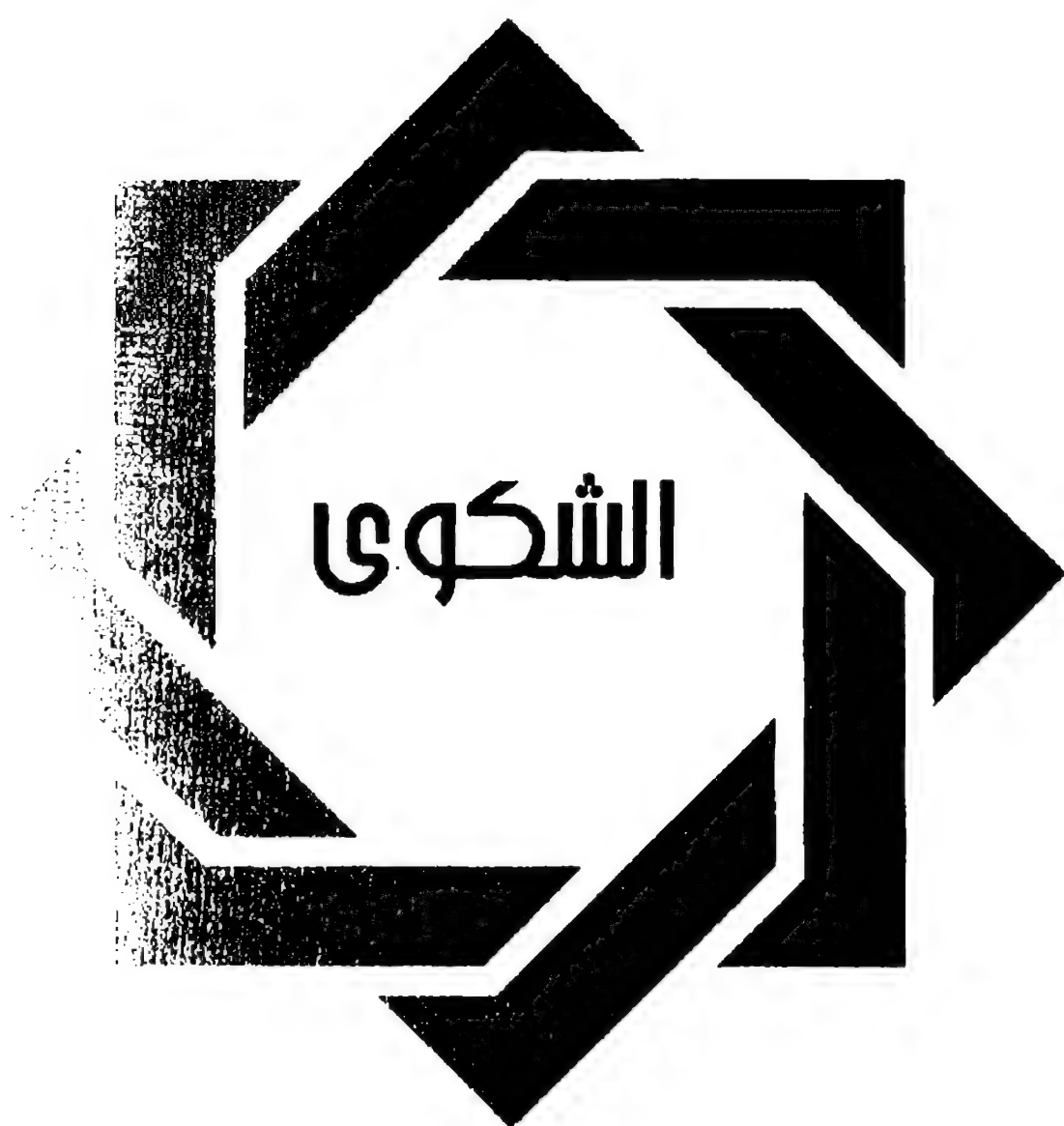
* * *

هَذِي خُطَايَ عَلَى الطَّرِيقِ وتلكَ وَاجِفَةٌ خُطَاكَ^(١)
الريحَ تَطْمِسُهَا فلا خَطْوٌ ولا أثرٌ هُنَاكَ
شَبَحَانَ قَدْ عَبَرَا فلمَ تَشْعُرُ بِهَذَا أوْ بِذَاكَ
تَتْلُوهُمَا الْأَشْبَاحُ وَالْأَيَّامُ مَاضِيَةً دَرَاكَ!^(٢)

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكَ: متتابعة



لكنها نفسٌ سميتُ قتالتي

والماءُ لا يصفو الحياةَ لشاربٍ

سعادة الشعراء*

دَعْنِي وَلَا تَنْفُسْ عَلَيَّ مَوَاهِبِي خُذْهَا وَخُذْ أَلْمِي بِهَا وَمَتَاعِي^(١)
دَعْنِي فَلَسْتُ كَمَا حَسِبْتَ مُنْعَمًا بِمَوَاهِبِ مَلَكَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
أَنْتَ الْخَلِّي فَخَلِّنِي وَعَوَاطِفِي أَلَمْتُ وَجَدَانِي فَلَسْتُ بِصَاحِبِي
دَعْنِي أَعِشْ كَمَا يَشَاءُ لِي الْأَسَى لَا كُنْتُ مِثْلِي. لَا دَهْتَكَ نَوَائِي
إِنِّي شَقِيٌّ لَوْ عَلِمْتَ دَخَائِلِي فَدَعْ الْمَظَاهِرَ لَا تَرُعْكَ جَوَانِي^(٢)

* * *

الشَّعْرُ مِنْ نَعَمِ الْحَيَاةِ عَرَفْتُهُ وَعَرَفْتُ فِيهِ الْبُؤْسَ ضَرْبَةً لَا زِبِ^(٣)
الشَّعْرُ ذُوبٌ حُشَاشَةٌ مَسْفُوكَةٌ أَلْمًا وَوَجْدًا فِي حَنِينٍ ذَاهِبٍ^(٤)
مَا ضَرَّ قَوْمًا لَا تُذَابُ قُلُوبُهُمْ شِعْرًا وَدَمْعًا مِثْلَ قَلْبِي الذَّائِبِ

* * *

النَّاسُ تَقْنَعُ بِالْحَيَاةِ وَتَرْتَضِي مِنْهَا مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمَثَالِبِ
وَالشَّاعِرُونَ تَوَزَّهَمُ أَذْرَانُهَا يَبْغُونَهَا لَمْ تَمْتَزِجْ بِشَوَائِبِ^(١)

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لا زب: ثابت، لاصق.

٤- الحشاشة: بقية الروح في الجسد.

حِسُّ أَرْقٍ مِنَ الْأَثِيرِ يُهَيِّجُهُ مَا قَدْ تَمَرُّ عَلَيْهِ مَرَّ اللَّاعِبِ^(٣)

وَهِيَ الْحَيَاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُعُورُهُ أَلَمْ وَأَنْ يُكْثَفَ^٥ فَلَذَّةٌ رَاغِبِ^(٣)

* * *

مَنْ لِي إِذَا جَنَّ الظُّلَامُ بِهِدَاةٍ كَالِهَادَيْنِ وَمَنْ يُطْمَأْنِنُ جَانِبِي

أَنَا فِي الطَّبِيعَةِ مُغْرَمٌ بِمُشَاهِدِ تُلْهِي فُؤَادِي عَنْ أَعَزِّ رَغَائِبِي

الَلَّيْلُ يُشْجِينِي بِرَائِعِ صَحْوِهِ وَكَوَاكِبُ يَغْرُبْنَ إِثْرَ كَوَاكِبِ^(٤)

وَالْبَدْرُ يُوحِي لِي بِسَرِّ طَوَافِهِ مُسْتَوْحِشاً لَمْ يَأْتَنَسُ بِمُصَاحِبِ

وَالْحُسْنُ يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَأَنْشِي وَيُصَدِّدُنِي عَنْهُ بِصَفْقَةٍ خَائِبِ

* * *

الْبَائِسُونَ إِذَا سَمِعَتْ أُنِينَهُمْ أَحْسَسْتُ أَنْ مَصَابَهُمْ هُوَ صَائِبِي

وَالْبَاسِمُونَ إِذَا شَهِدَتْ ثَغُورَهُمْ هَاجَتْ حَيْنِي لِلصَّفَاءِ الذَّاهِبِ

وَالْبَعْدُ يُؤْذِينِي وَرُبَّ مَفَارِقٍ لَمْ يُؤْذِهِ يَوْمًا تَنَائِي غَائِبِ

وَكِرَامَةٍ لَوْ مُسَّ مِنْهَا جَانِبٌ أَصْغَرْتُ عَيْشِي عِنْدَهَا وَمَطَالِبِي

بَلَغَ الْحِفَاطُ بِهَا الْقِدَاسَةَ وَالتَّقَى وَحَذَارٍ وَهُمْ خَاطِبِي أَوْ صَائِبِ

* * *

١- تَوَزَّهْم: تَزَلَّزَلْهُمْ، أَدْرَاغَهَا: أَوْسَاخَهَا

٢- الْأَثِيرُ: الْمَرَادُ النَّسِيمُ

٣- يُكْثَفُ: مِنْ كَثَفَ يُكْثِفُ: يَغْلِظُ

٤- الصَّحْوُ: الْهُدُوءُ وَالصَّفَاءُ.

٥- سَمَتْهَا: أَذَقْتُهَا

يَا لَيْتَ لِي نَفْسًا إِذَا مَا سَمْتُهَا عَكَرَ الْوُرُودِ اسْتَرْشَدْتُ بِتَجَارِيهِ^(٥)
لَكِنَّهَا نَفْسٌ سَمَتْ فَتَأَلَّمْتُ وَالْمَاءُ لَا يَصْفُو الْحَيَاةَ لِشَارِبِ
دَعْنِي أَعِيشُ مُعَذِّبًا مَتَأَلِّمًا بِمَوَاهِبِي يَا شِقُوتِي بِمَوَاهِبِي
* * *

سفرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنّها ألعابُ دهرٍ ساخرٍ
ماهرٍ يهزأُ بالمُسْتَهْزئينَ يبعثُ النُّكْثَةَ عفوَ الخاطرِ!^(١)

* * *

وسواءٌ أضحكتُ سُمَّارَه أم دَهَتَهُمُ بالرزايا والمحنِ
فهو يُلقِي أبدأً أدوارَه وهو لا يُسألُ عن ماذا ومَن؟

* * *

يسمعُ الأناتِ تشقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشجياتِ النُّواحِ^(٢)
ليكادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يذوبُ وهو يَلْقَاهَا بِهِزءٍ ومِزاح!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردتها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثوا لي ما استطعتم عن صديقٍ فلقد أعياني البحثُ الكثيرُ!
مخلص الطَّبَعِ له قلبٌ رقيقٌ خالصُ الإحساسِ فيَّاضُ الشعورِ
* * *

إنَّ هذا القلبَ يَهْفُو أبداً
لصديقٍ أَصْطَفِيهِ مُفَرِّداً
وأريدُ الودَّ رطباً كالندى
غيرَ أنَّ الكونَ ذو طَبَعٍ صَفِيقٍ^(١) ناضبِ الإحساسِ مَمْسُوخِ الضميرِ
يحقرُّ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقِ وَيَرى الغدرَ بِاعجابٍ جديرٍ
* * *

طالما هَمْتُ بِحُبِّ الأصدقاءِ^(٢)
وتغنيتُ بألحانِ الوفاءِ
سامياتِ كَأَناشيدِ السَّماءِ
سكرةً عَجَلَى وَمِنْ ثَمَّ أَفِيقُ فإذا بي أَلَمَسُ الغدرَ الحقيِرُ
وإذا الإخلاصُ خَلَّابٌ بريقُ مِنْ سَرابٍ أو سَنَا بَرَقٍ قَصِيرٍ^(٣)

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلققت.

٣- خلَّاب: خداع ببريقه.

أيهذا الكون إن كنت تُجيبُ!
أي عيش في حمي الغدرِ يطيبُ؟
ثم ماذا تبتغي تلك القلوبُ
غير إحساسٍ من العطفِ رقيقٍ يَغْمُرُ الأرياحَ فيّاحِ العبير^(١)
فإذا العيشُ رجاءٌ ووُثوقٌ وإذا الكونُ رضاءٌ وحُبورٌ

* * *

إن هذا العطفَ رمزٌ للخلودِ
وغذاءُ الرُّوحِ في هذا الوجودِ
كلُّ ما في الكونِ لولاه زهيدٌ
ورحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضيقٌ والنعيمُ العزْبُ مَسْلُوبُ النعيمِ^(٢)
وأرى الإنسانَ بالعطفِ خليقٌ في جحيمِ العيشِ والعيشُ جحيمٌ

* * *

١- فياح : منتشر
٢- العزْبُ: البعيد الخفي.

ابحثوا لي بين أطراف الرجاء
عن صديقي ذلك الطُّهرِ البراءِ
لن أملُ البحثَ لو طالَ العناءُ

ليس هذا اليأسُ باليأسِ الحقيقُ فهو لن يُنجي في نفسي السَّعيرُ
حيرةٌ تائهةٌ ما إنْ تُفِيقَ وهي الوحدةُ أو عيشُ القُبورِ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يا طيفَ الأملِ
هَاهُنَا قَلْبٌ مِنَ الْوَحْدَةِ مَلٌ
ينشدُ الإخلاصَ في قلبٍ خَضَلُ^(١)

وهو لا ينوي عتاباً لصديقٍ حينما يُخطيءُ أخطاءَ الغريرِ^(٢)
فبحسبي قلبه السمحُ الرقيقُ في فيافي العيشِ إلفاً لي سميرُ

* * *

١ - خَضَلُ: عضُّ طري

٢ - الغرير: الساذج، عديم التجربة

فَرَاب...!*

أَقْفَرْتُ شَيْئاً فَشَيْئاً كَالْيَابِ غَيْرَ آثَارٍ مِنَ النَّبْتِ الْهَشِيمِ^(١)
بَاقِيَاتٍ رِيثَمَا يَسْفَى التَّرَابُ فَإِذَا الْكَوْنُ خَلَاءً فِي وُجُومٍ^(٢)
* * *

كَانَ يَنْمُو هَاهُنَا النَّورُ صَغِيرٌ فَوْقَ نَبْتٍ لَيِّنِ الْعُودِ هَزِيلٌ
فَذَوَى النَّورُ، وَمَا كَانَ نَضِيرٌ إِنَّمَا الْمُعْدَمُ يَرْضَى بِالْقَلِيلِ!
* * *

زَهْرَةٌ فِي إِثْرِ أُخْرَى تُحْتَضِرُهُ وَهُوَ يَرْنُو ذَاهِلاً لِلزَّهْرَاتِ
مُلَقِيَاتٍ حَوْلَهُ بَيْنَ الْحَفْرِ وَالرَّيَّاحِ الْهُوجُ تَدْوِي مُعُولَاتٍ
* * *

وَإِذَا الْكَوْنُ حَوَالِيهِ خَرَابٌ مُوَحِّشٌ الْأَرْجَاءِ مَفْقُودُ الْقَطِينِ^(٣)
وَهُوَ يَرْنُو فِي وُجُومٍ وَاكْتِثَابٍ يَكْتُمُ الْعَبْرَةَ فِيهِ وَالْأُنَيْنَ
* * *

وَيُدْوِي حَوْلَهُ صَمْتُ الْفَنَاءِ حَيْثُ تُمَحَى كُلُّ آثَارِ الْوُجُودِ
أَيْنَ؟ - لَا أَيْنَ! - الْأُمَامِي وَالرَّجَاءُ طَمَسَ الْيَأْسُ عَلَيْهَا وَالْكُنُودُ^(٤)
* * *

*

نشرت عام ١٩٣٢

١- الهشيم: اليابس من كل شيء

٢- يسفى: يتطاير، ومنه: الريح السافية.

٣- القطين: المقيم.

٤- الكنود: نكران النعمة من كند النعمة: كفرها وجحدها.

* فريفا الحياة *

بَكَرَ الْخَرِيفُ فَلَا وَرُودَ وَلَا زَهْوَرَ وَمَشَى الرُّكُودُ فَلَا نَسِيمَ وَلَا عَبِيرَ
صَمَتَتْ صَوَادِحُهَا فَمَا تَشْدُو الطُّيُورُ رُبَّمَا، وَمَا تَشْدُو الْجَدَاوِلُ بِالْخَرِيرِ
وَسَرَى الْقَفَارُ بِكُلِّ مُخَصَّبَةٍ فَمَا تَجْدُ الْخَصِيبَ هَسَا، وَمَا تَجْدُ النُّضِيرَ
وَالسُّحْبُ طَافِيَةٌ تُغَشِّي كَالسُّتُورِ وَتَسِيرُ وَانِيَّةَ الْخُطَا سِيرَ الْأَسِيرِ
فَإِذَا الْحَيَاةُ يَغْضُ رَوْنَقُهَا الْأَسْيَ * * * وَإِذَا الْقُلُوبُ بِهَا كَلِيمٌ أَوْ كَسِيرٌ^(١)

وَالْحُبُّ! وَيَحَ الْحُبُّ مِنْ هَذَا الْبُكُورِ غَامَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةُ الْيَأْسِ الْمَرِيرِ
وَذَوَتْ بِجَنَّتِهِ أَفَانِينَ الْمُنَى وَخَبَا بِهَيْكَلِ حُسْنِهِ الْقَبْسُ الْمُنِيرِ
وَسَهَا عَنْ التَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ فِي مَحْرَابِهِ الْعُبَادُ مَسْجُورُوا الدَّهْوَرِ
وَمَشَوْا بِسَاحَتِهِ كَمَا يَمْشِي الْخَلِيُّ مِنْ الْغَرَامِ فَلَا حَيْنَ وَلَا شُعُورَ
هَانَتْ شَعَائِرُهُ وَمَسَّ سَتُورُهُ فِي جُرْأَةٍ، غَيْرِ الْمُقَدَّسِ وَالطَّهْوَرِ

* * *

الْأَرْضُ غَيْرُ الْأَرْضِ فِي دَوْرَانِهَا لَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ السَّامَةِ لَا تَدُورُ
وَالرِّيحُ غَيْرُ الرِّيحِ فِي جَوْلَانِهَا لَتَكَادُ تَكْتُمُ فِي جَوَانِحِهَا^(١) الزَّفِيرَ^(١)

* نشرت عام ١٩٣٤
١ - يَغْضُ: يَتَرَجَع. الرُّونَقُ: الصَّفَاءُ وَالْحُسْنُ.

والطيرُ غيرُ الطيرِ في أَلحانِها لتكادُ تَنعَبُ بالخرابِ وبالشور^(٢)
والناسُ غيرُ الناسِ في آمالِها ليكادُ يَجْشُو اليأسُ في تلكِ الصدورِ
بَكَرِ الخريفِ فويله هذا البكورَ ودنا المصيرُ فويله هذا المصيرُ!^(٣)

* * *

١ - الجوانح: مفردها الجائحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢ - الشور: الهلاك.

٣ - هنا نداء محذوف: (فياويله)

النفس الضائعة*

أَنِّي أَنَا؟ أَمْ ذَاكَ رَمَزٌ لِّغَابِرٍ؟ لَأُنْكُرْتُ مِنْ نَفْسِي أَحْصَ شَعَائِرِي!
لَأُنْكُرْتُ إِحْسَاسِي وَأُنْكُرْتُ مَنْزَعِي وَأُنْكُرْتُ آمَالِي، وَشَتَّى خَوَاطِرِي^(١)
وَأُنْكُرْتُ شِعْرِي وَهُوَ نَفْسِي بَرِيئَةٌ مُمَحَضَّةٌ مِنْ كُلِّ خِلْطٍ مُخَامِرٍ
وَتَفْصِلُنِي عَمَّا مَضَى مِنْ مَشَاعِرِي عَهْدٌ وَآبَادٌ طَوَالُ الدِّيَاجِرِ
وَأَحْسِبُهَا ذِكْرِي؛ وَلَكِنْ بَعْدَهَا يَخِيلُ لِي: أَنْ لَمْ تَمُرَّ بِخَاطِرِي!
* * *

أُنْقَبُ عَنْ مَاضِيٍّ بَيْنَ سَرَائِرِي فَأَلْمَحُهُ كَالْوَهْمِ؛ أَوْ طِيفٍ عَابِرٍ^(٢)
أَعِيشْ بِلَا مَاضٍ كَأَنِّي نَبْتَةٌ عَلَى السَّطْحِ تَطْفُو فِي مَهَبِّ الْأَعَاصِرِ!
وَمَا غَابِرُ الْإِنْسَانِ إِلَّا جُذُورُهُ فَهَلْ ثَمَّ نَبْتُ دُونَ جَذَرٍ مُوَازِرٍ؟
وَقَدْ يَتَعَزَّى الْمَرْءُ عَنْ فَقْدِ قَابِلٍ فَكَيْفَ عِزَاءُ الْمَرْءِ عَنْ فَقْدِ غَابِرٍ؟
* * *

أُنْقَبُ عَنْ نَفْسِي الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا بِنَفْسِي الَّتِي أَحْيَا بِهَا غَيْرَ شَاعِرٍ!
وَاطْلُبُهَا فِي الرُّوْضِ إِذْ كَانَ هَمُّهَا تَأَمُّلُهُ يُفْضِي بِتِلْكَ الْأَزَاهِرِ
وَفِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَكَانَتْ إِذَا غَفَا تَقَظُّ فِيهَا كُلِّ غَافٍ وَسَادِرٍ

* نشرت عام ١٩٣٤

١ - مترعي: المترع: التروع إلى الغاية والتروع: الحنين والشوق.

٢ - أنقب: أبحث

وفي الليلة القمراء إذ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ للأرواح إيماءً ساحرٍ
وفي الفجر، والأنداء يَقْطُرْنَ والشذى يفوح، ويشجى سَمْعَهُ لحنُ طائرٍ^(١)
وفي الحبِّ إذ كانت شواظاً وحرقةً ومهبطَ آمالٍ ومطمَحِ ثائرٍ
وفي النكبةِ النكباءِ والغبطةِ التي تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المحاذِرِ!
ولكنني أئسْتُ أن ألتقي بها وتاهتُ بوادٍ غامرٍ التيه غائرٍ
سأحيا إذن كالطيفِ ليست تحسُّه يدان، ولا يجلوه ضوءٌ لناظرٍ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجى: يطرِب أو يثير إحساساته.

الفد المجهول*

يَا لَيْتَ شِعْرِي، مَا يُخَبِّئُهُ غَدِي؟ إني أروُّحُ مع الظنونِ وأُغتدي^(١)
وأَجِيلُ بَاصِرَتِي بِهَا وَبَصِيرَتِي أَبْغِي الْهُدَى فِيهَا، وَمَا أَنَا مُهْتَدٍ^(٢)
حَتَّى إِذَا لَاحَ الْيَقِينُ خِلَالَهَا أَشْفَقْتُ مِنْ وَجْهِ الْيَقِينِ الْأَسْوَدِ
وَأَشْحَتُ عَنْهُ، وَلَوْ أَطَقْتُ دَعْوَتَهُ وَطَرَحْتُ عَنِّي حَيْرَتِي وَتَرَدُّدِي
فَكَأَنِّي الْمَلَّاحُ تَاهَ سَفِينُهُ وَيَخَافُ مِنْ شَطِّ مَرِيْبٍ أَجْرَدٍ!

* * *

مَاذَا سَيُولَدُ يَوْمَ تُولَدُ يَا غَدِي؟ إِنِّي أَحْسُ بِهَوْلٍ هَذَا الْمَوْلِدِ!
سَيَصْرُخُ الشُّكُّ الدِّفِينُ بِمُهْجَتِي فَأَيُّتُ فَاقَدَ خَيْرَ مَا مَلَكَتْ يَدِي
سَتَرْوُغُ مِنْ حَوْلِي عَوَاطِفُ لَمْ تَزَلْ تُضْفِي عَلَيَّ بِعَظْفِهَا الْمُتَوَدِّدِ
سَتَجِفُّ أَزْهَارُ يَفْوُحٍ عَابِرُهَا حَوْلِي؛ وَيَنْفَحُنِي بِهَا الْأَرْجُ النَّدِي^(٣)
وَالْمِشْعَلُ الْهَادِي سَيَخْبُو ضَوْوُهُ وَيَلْفُنِي اللَّيْلُ الْبَهِيمُ بِمَفْرَدِي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصِّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيب: فاح

ماذا تُخَلِّفُ يومَ تذهبُ يا غدي ؟ لا شيءَ بعدَ الفَقْدِ للمتفقدِ
«سَتُخَلِّفُ الأيامَ قاعاً صفصفاً تذرُّو الرياحُ بها غبارَ الفدْفِدِ»^(١)
لا مُرتجى يُرجى، ولا أسف على ماضٍ يضيعُ كأنَّه لم يُوجدِ
أبدأ ولا ذكري تُجددُ ما انطوى حتى التَّألم لا يعودُ بِمَشْهَدِي!
رَبَّاهِ إني قد سئمت ترُدُّدي فالآنِ، فلتُقدِّمُ بهولِكَ يا غدي

* * *

^١ - صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدْفَدُ: الأرض الواسعة المستوية لا شيء فيها

* غريب..! *

غريبٌ . أجل أنا في غُرْبَةٍ وإن حَفَّ بي الصَّحْبُ والأقربونُ
غريبٌ بنفسِي وما تنطوي عليه حَنايَا فؤادي الحُنُونُ
غريبٌ وإن كَانَ لَمَّا يَزُلْ ببعضِ القلوبِ لِقلي حنينُ
ولكنَّها داخلَتْها الظنونُ وجَاوَرَ فيها الشُّكوكَ اليقينُ
غريبٌ فَوَاحِجَتِي للمُعِينِ ووالهف نفسي للمُخلصينُ

* * *

أكادُ أَشَارُفُ قَفَرِ الحَيَاةِ فَأُشْفِقُ من هَوْلِهِ المرعبِ
هنالك حيثُ رُكَّامُ الفَنَاءِ يَلُوحُ كمقبرة الغيْهبِ^(١)
هنالك حيثُ يموتُ الرِّجَاءُ وتَشوي الأُماني كالمُتَعَبِ
فأَرْجِعُ كالجَزَعِ المُسْتَطَارِ أُرْجِّي أُماني في المَهْرَبِ^(٢)
ولكنه مُقْفَرٌ أو يكادُ فيا للغريبِ، ولم يَغْرُبِ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغيْهبُ: الظُّلْمَةُ.

٢- المُسْتَطَار: الفِرْع المذعور

* مر يوم

مَرَّ يَوْمٌ مِنْذُ مَا اسْتَيْقَظْتُ أَمْسَ مَرَّ يَوْمٍ!
نَبَأُ يَأْبَاهُ وَجَدَانِي وَحَسِّي فَهُوَ وَهُمْ
* * *

مَرَّ يَوْمٌ؟ قَالَتْ السَّاعَةُ مَرَّ، قَوْلُ وَاثِقٍ!
أَسْأَلُ الشَّمْسَ: أَحَقًّا؟ وَالْقَمَرَ فَيُوافِقُ!
* * *

أَهْوِ يَوْمٌ فِي الرُّؤْيَى لَا فِي الزَّمَانِ وَالْحَقِيقَةُ؟
أَمْ تُرَى يَوْمٌ طَوَاهِ الْعَقْرَبَانِ فِي دَقِيقَةٍ؟^(١)
* * *

كَيْفَ مَرَّ الْيَوْمُ! مَا هَذَا الْعَجَبُ كَيْفَ مَرَّ
تَكْذِبُ الْأَفْلَاكُ أَمْ حَسِّي كَذَبٌ؟ أَمْ سَخِرَ؟
* * *

لَمْ تَكُنْ فِيهِ حَيَاةٌ أَوْ أَمَلٌ أَوْ تَمَتُّعٌ
وَهُوَ مُحْسُوبٌ عَلَيْنَا فِي الْأَجْلِ فَهُوَ أَضْيَعُ!
* * *

تَحْسُبُ الْأَقْدَارُ بِالْكُمْ فَلَا هِيَ تُفَرِّقُ^(٢)
بَيْنَ يَوْمٍ مَرَّ أَوْ يَوْمٍ حَلَا أَوْ تُحَقِّقُ!^(٣)
* * *

وَنُودِيهَا كَمَا تَبْغِي الْحِسَابَ وَهُوَ عُمْرُ!
فِيهِ مِنْ خَصْبٍ وَفِيهِ مِنْ يَبَابٍ وَهِيَ تَذُرُّ^(٤)
* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرَّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثلاثين نصي! الرّكّاب حثيثة^(١) يالِال^(١)
مضي من العمر أغلى اللّباب فليست آسٍ لغال
مضى من العمر ما يُستطاب^(٢) من بهجة أو جمال
مضى كما جاء عهد الشّباب عهد المنى والخيال
وضاع في غمرة واضطراب ومرّ دون احتفال
فأسرعي يالِال
علام من بعده تمهلين؟ وأي غيب تهاب؟
وما احتفال بمرّ السنين؟ من بعد مرّ الشّباب؟
وما الذي يالِال يكون بعد اكتهال الرّغاب
يكون - واحسرتاه - السكون على ضفاف اليباب؟^(٢)
يكون - كالقيد - عقل رزين! يعطو لشطّ الصّواب!^(٣)
في السوء المآب^(٤)

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤

١ - نصي : اظهري من نص ينص: رفع وأظهر، عن وحدد.

٢ - الرّكّاب: ما توضع فيه الرّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.

الحثيثة: السريعة الجادة.

٣ - يعطو: يطلّع.

٤ - المآب: المصير

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شرُّ العُناه^(١)
يزودنا عن مراقبي الخلودِ وخير ما في الحياة
والطيشُ رمزُ الشبابِ المريدِ يسْمُو بنا عن مداه
فنحنُ نرُنو لهذا الوجودِ بفتنةٍ وانتباه
فلا نبالي بصرفِ الجدودِ ولا نخافُ الغداه^(٢)
فكلُّ يومٍ حياة
يُضَاعَفُ اليومَ مني المصابِ إن لم أعش بالخيالِ
قَضَيْتُ - واحسرتاه - الشبابَ كالكهل في كلِّ حالِ
يجيشُ بالنفسِ سَيْلُ الرِّغَابِ فلا يُمَسِّي اعتدالي
وَوُجَّهَتِي في الحياةِ الصَّوَابُ ونظرتي للمآلِ!^(٣)
عصيتُ أَمَرَ الحياةِ المُجَابُ فكان رُشدي ضلالي!
فأسرعي ياليلِ

* * *

١ - العُناه: مفردُها عان: الخاضع الذليل.

٢ - بصرف: من صرف الدهر: نوائبه وحدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد: فلا يبالي بالأحداث التي يخططها الحظ لنا.

٣ - المآل: المصير والنهاية.

فطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمَنِ الوَثَّابِ بَعْضَ التَّوْتُبِ إِلَى أَيْنَ؟ قَدْ أَوْغَلْتُ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ
تَمَرِّينَ كَالْأَوْهَامِ لَا أَسْتَبِينُهَا وَتَمَضِينَ عَنِّي مَوْكِباً إِثْرَ مَوْكِبِ
وَإِنِّي كَالْمَحْمُورِ قَدْ غَابَ وَعْيُهُ وَكَالشَّيْبَحِ الْهَيْمَانِ فِي غَيْرِ مَطْلَبِ^(١)
تَشَابَهَتْ الْأَبْعَادُ عِنْدِي فَمَا أَرَى أَمَامِي فَرَقاً بَيْنَ نَاءٍ وَمُكْتَبِ^(٢)
وَيَا رَبُّمَا أَنْسَ أُمُوراً قَرِيبَةً وَأَوْغَلَ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ الْمُنْكَبِ^(٣)
* * *

خُطَا الزَّمَنِ الوَثَّابِ. بَعْضَ التَّوْتُبِ طَوَيْتَ حَيَاتِي بَيْنَ صُبْحٍ وَمَغْرِبِ
قَفِي لَحْظَةً؛ أَنْظُرْ إِلَى الْأَمَلِ الَّذِي ضَمَمْتُ ثَنَائِيهِ عَلَى كُلِّ مُعْجَبِ
وَأَسْتَرْجِعُ الْمَاضِي رُويَداً وَهِينَةً أَدَاعَبُ فِيهِ الطِّفْلَ أَوْ أَضْحِكُ الصَّبِيَّ^(٤)
وَأَسْمَعُ أَوْهَامَ الْفَتَى وَخَيَالَهُ كَمَا يَسْمَعُ الْمَشْتَاقُ الْحَانَ مُطْرِبِ
قَفِي لَحْظَةً؛ أَنْظُرْ إِلَى الْأَمَلِ الَّذِي أَبْحَثُ لَهُ مِنْ مُهْجَتِي كُلَّ مَشْرَبِ
وَعَذِّيَّتِهِ نَفْسِي، وَقَدْ بَعْتُ دُونَهُ حَوَاضِرَ أَيَّامِي وَمَاضِي الْمَجْرَبِ

* نشرت في تشرين (أكتوبر) عام ١٩٣٧

١ - الهيمان: من هَام يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢ - ناء: بعيد. مكثب: قريب.

٣ - المنكب: من نكب عنه: عدل وتنحى.

٤ - هينة: بطيئاً.

قَفِي. أَنْتِ قَدْ جَفَلْتِ مَاضِيَّ فَاَنْزَوِي * * * وَنَفَّرْتِ آمَالِي وَعَمَّيْتِ مَآرِبِي^(١)

تَمَرِّينِ يَا أَيَّامَ قَفَرَاءَ؟ أَمْ أَنَا خَوِيْتُ مِنَ الْإِحْسَاسِ؟ قُولِي وَأَطْنَبِي^(٢)

وَأَحْسَبُ أَنَّ لَن تَعْرَبِي بِمِقَالَةٍ إِذَا كَانَ سَمْعِي لَا يَصِيخُ لِمُغْرَبٍ!^(٣)

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

* نهاية المطاف

تَنْشُدُ السُّلُوانَ مِنْ حُبِّ عَقِيمٍ وَتَرُومُ الْبُرءَ مِنْ دَاءٍ قَدِيمٍ
 هَا هُوَ السُّلُوانُ فَاَنْظُرْ: أَتَرَى شَارَةَ الْمَوْتِ عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ؟^(١)
 شَاهَ فِي خَاطِرِكَ الْكَوْنُ وَمَاتَ وَتَخَلَّتْ عَنْكَ أَحْلَى الذِّكْرِيَّاتِ^(٢)
 وَبَدَا الْعُمُرُ حَزِينًا عَاطِلًا كَامِدَ السَّحْنَةِ مَجْفُورَ السَّمَاتِ
 قَدْ مَضَى الْحُلُمُ، فَحَقِّقْ فِي الْعَيَانِ هَلْ تَرَى إِلَّا خَوَاءً فِي الزَّمَانِ؟^(٣)
 وَتَهَاوِيلُ الرُّؤْيَى... يَا وَيْحَهَا! غَالَهَا الصَّحُوفُ فَمَاتَتْ مُنْذُ كَانَ!^(٤)
 نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ إِنْ كُنْتَ تَنَامُ لَفَكَ الصَّمْتُ وَغَشَّاهُ الظَّلَامُ
 يَأْمَنُ الدُّنْيَا وَيَخْلُو لِلْكَرَى مُعْدَمَ الْكَفِينِ مَفْقُودَ الْحَطَامِ!^(٥)
 قَدْ خَلَا الْهَيْكَلُ مِنْ وَحْيِ الصَّنَمِ وَغَدَا مَعْبُودُكَ الْأَسْنَى حُطَمَ^(٦)
 أَتُطِيقُ الْآنَ تَحِيًّا مُلْحِدًا أَمْ تُرَى تَخْلُو لِشَيْطَانِ النَّدَمِ
 ضِقَّتْ بِالْخَوْفِ وَدُنْيَا الْاضْطِرَابِ أَتَرَى الْأَمْنَ هُنَا بَيْنَ الْيَبَابِ؟

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قُبْح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها: أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

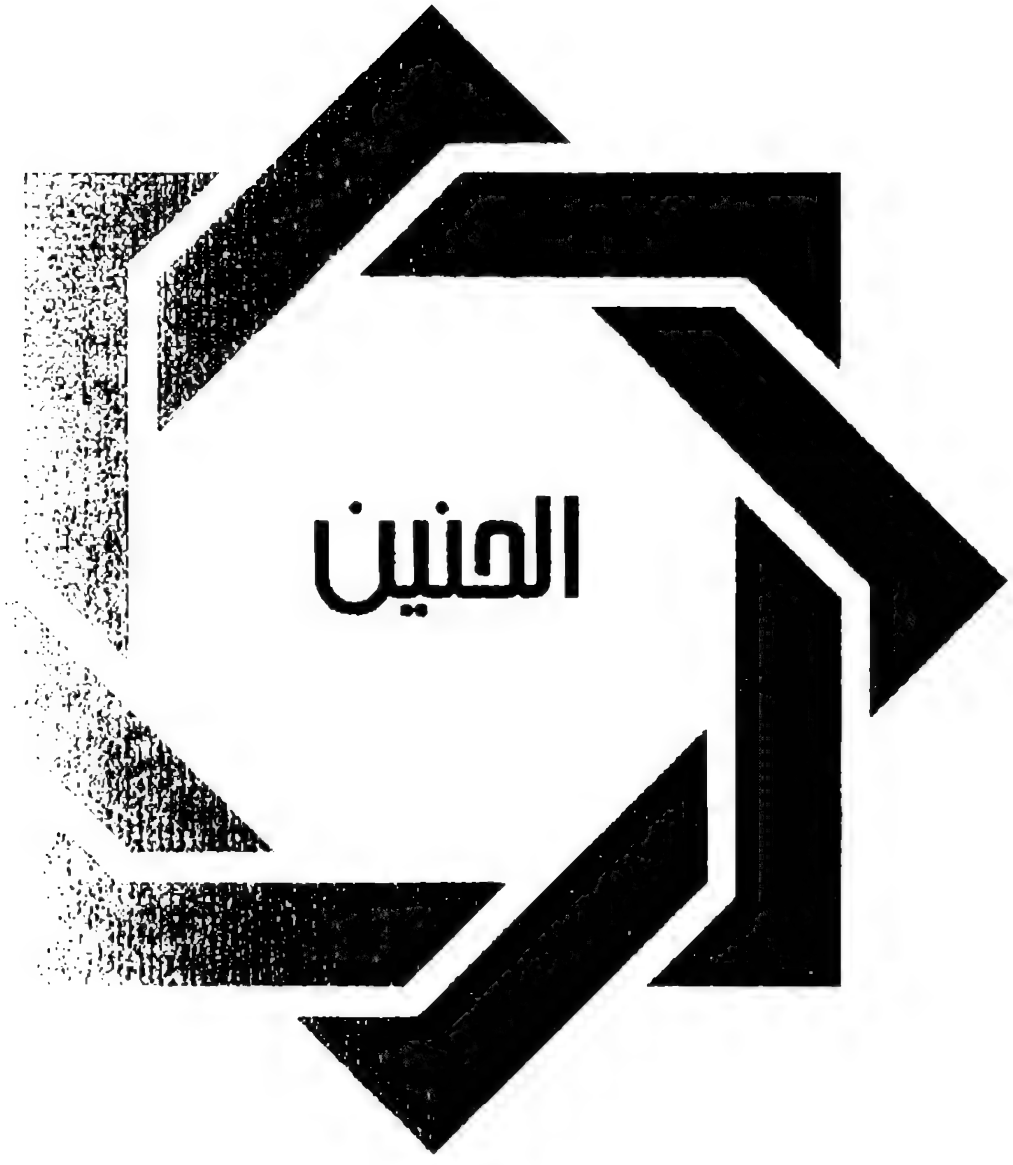
٦- الأسنى: الأعلى

أَيُّهَا الْمُنْكَوبُ فِي أَحْلَى الْمُنَى الْحَيَاةُ الْحُبُّ وَالْحُبُّ الْعَذَابُ!
ضَمَقْتَ بِالْقَيْدِ! فَهَا أَنْتَ طَلِيقٌ! مَا يُبَالِيكَ إِذْنُ حَادِي الرَّقِيقِ!
فَهُوَ يُخْلِي فِي الْفِيَا فِي كُلِّ مَنْ لَا يُسَاوِي ثَمَنَ الْقَيْدِ الْوَثِيقِ!^(١)
عَمْرُكَ الْفَارِغُ كَالثَّقَلِ زَهِيدٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ طَرِيفٍ^٢ أَوْ تَلِيدٍ^(٢)
وَهِيَ الْأَيَّامُ تَقْضِي مِثْلَمَا تَنْقُضِي أَيَّامُ مَاجُورٍ شَرِيدٍ
أَيْنَ أَحْلَامُكَ بِالْعُشِّ الْجَمِيلِ؟ أَيْنَ آمَالُكَ فِي الظِّلِّ الظَّلِيلِ؟
قَدْ مَضَى الْحُلْمُ وَوَلَّى مُوهِنًا فَارْكُنْ الْآنَ إِلَى الصَّحْرِ الطَّوِيلِ!
تَمَضُّ يَا مِنْكَوْدُ مَا كُنْتَ تَرُومُ وَمَشَى السُّلُوانُ فِي الْحَبِّ الْقَدِيمِ
نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَاهْنًا بِالْكَرَى الْكَرَى الْمَيِّتِ فِي الْقَلْبِ الْعَقِيمِ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم



كان، والمؤلم في (كان) الفناء!

حيث لا رجعي ولا طيف أمل

عهد الصفر *

إذا الليل جنّ تَجِيْشُ الْفِكْرِ وَيُورِّقُ جَفْنِي مَرُّ الذِّكْرِ^(١)
وَيَخْلُو فؤادي لِأَحْلَامِهِ فيجعلُ منها حديثَ السَّمَرِ
وتَخْلُدُ رُوحِي إلى الذكرياتِ فَتَسْرِي تَبَاعاً سِرَاعاً تَمُرُ
فَأَنَا تُؤَزُّ وَأَنَا تَلْدُ وَأَنَا تَسُوءُ وَأَنَا تَسُرُّ^(٢)
هدوءٌ طويلٌ وصمتٌ رهيبٌ وفي النَّفْسِ أَشْجَانُهَا تَشْتَجِرُ
إذا مَا ذَكَرْتُ زَمَاناً تَقْضَى بَدِيعَ الرُّسُومِ جَمِيلِ الأَثَرِ
تراءى لِنَفْسِي عهدُ الصَّغَرِ فَتَشْتَاقُ نَفْسِي لِعَهْدِ الصَّغَرِ
لعهدِ الرِّضَاءِ وعهدِ الحُبُورِ وعهدِ الصَّفَاءِ القليلِ الكَدَرِ
أَنَامُ وَأُصْحَوُ عَلَى مَا أَشَاءُ طَرُوبَ الْفؤَادِ قَرِيرَ النَّظَرِ
وتَصْحَوُ الغَزَالَةُ مِنْ خَدْرِهَا فَتَرْهُوَ السُّورُودُ وَيَحْيَا الزَّهْرُ^(٣)
وتَبْدُو الرِّيَاضُ رِيَاضُ الْقُرَى بوشِي جَمِيلِ وَوَجْهِ نَضْرُ
وَيَسْجَعُ فِيهَا الحَمَامُ طَرُوباً وَتَشْدُو البَلَابِلُ فَوْقَ الشَّجَرِ

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تَجِيْشُ الْفِكْرِ: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تَوْزُ: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعى الله عهداً جَمِيلاً تَوَلَّى وخَلَفَنِي للأُسى ثُمَّ مَرَّ
وأَسْلَمَنِي لِصَعَابِ الأُمُورِ وَكَيْدِ الصُّرُوفِ وَطُولِ السَّهْرِ
* * *

أَلَا يَا رَعَى اللهَ عَهْدَ الصَّغَرِ أَلَا يَا لِحَا اللهَ عَهْدَ الْكِبَرِ^(١)
فذلك عهدٌ صَبُوحٌ أَغْرَ وهذا عبوسٌ ظُلُومٌ قَتَرَ
* * *

١ - لِحَا فلاناً: قَبَحَ فلاناً.

بَهْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَاضِي*

حَدَّثَانِي بِمَا مَضَى حَدَّثَانِي وَأَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الْأَمَانِي
وَإِذْكَرَا لِي زَمَانَ عَشْتُ طَرُوبًا لَا أَبَالِي بِحَادِثَاتِ الزَّمَانِ
وَصِفَا لِي لَيَالِيًا قَدْ تَقَضَّتْ كُنْتُ فِيهَا كَالْحَالِمِ الْوَسْنَانِ
صَوَّرَا لِي الرِّيَاضَ وَالزَّهَرَ وَالْوَرْدَ وَلَحْنَ الطَّيُورِ عَذْبَ الْأَغَانِي
وَأَعِيدَا لِمَسْمَعِي ذَكْرِيَّاتٍ لَا تَصْدَى لَهَا يَدُ النَّسِيَانِ
وَاسْمَحَا لِي بِزَفْرَةٍ وَحَنِينٍ لَيْسَ لِي سَلْوَةٌ سِوَى التَّحْنَانِ^(١)
وَإِغْفِرَا لِي دُمُوعَ عَيْنِي فَإِنِّي لِأَرَى الدَّمْعَ فَوْقَ كُلِّ بَيَانٍ
إِنَّهُ النَّفْسُ رُقِّقْتُ ثُمَّ سَالَتْ أَوْ هُوَ الْقَلْبُ ذَائِبًا مِنْ حَنَانٍ
وَأَقْلُ الْوَفَاءِ لِلْعَهْدِ ذِكْرِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ حَاضِرِ الْأَزْمَانِ
وَقَلِيلٌ عِنْدَ التَّذَكُّرِ شَوْقٌ وَدُمُوعٌ تُكِنُّ أَسْمَى الْمَعَانِي
إِنَّ ذِكْرِي الْقَدِيمَ لِلنَّفْسِ تُؤْسِي وَتُهَيِّجُ الشُّجُونَ لِلْوَجْدَانِ
وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْضُ أَجْزَاءِ نَفْسِي بَاعَدَتْ بَيْنَهَا يَدُ الْحَدَثَانِ^(٢)
فَاذْكُرَا لِي الْقَدِيمَ هَمْسًا وَرَفَقًا وَدَعَايَ أَجِيشُ لَا تَعْدِلَانِ

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يا دياراً نشأت فيها صبياً وصحبتُ الشبابَ في العُفْوانِ
لكِ مني تحيةً وسلامٌ أنتِ دارُ النعيمِ والرّضوانِ
فيك يا دارُ من صباي رسومٌ زاهياتُ النقوشِ والألوانِ
هي عندي أعزُّ من كلّ شيءٍ وهي تبقى وكلُّ ما عَزَّ فإنِ
فيك يا دارُ من هَوَايَ رَسيْسُ وألْدُ الهوى هوى الشُّبانِ^(١)
* * *

فهو رَوْضُ الحِياةِ في ذلكِ الحينِ وفيه القُطُوفُ شتى دَوانِ
وهو وحي من جانبِ الله يُوحِي وهو سرُّ الإله في الإنسانِ
ما أرى العيشَ غيرَ حبٍّ برىءٍ من ذميمِ الأهواءِ والأدْرانِ
رُبَّ يومٍ قضيتُه في حُبورٍ بين جمعٍ من صفوةِ الخِلالِ
دونه الدهرُ والحياةُ جميعاً في رِضاءٍ ومتعةٍ وامتنانِ
* * *

إن تلك الحياةَ شيءٌ عَجيبٌ وهي النَّفْسُ كلَّ يومٍ بِشَانِ
كيف كان الربيعُ ثوباً بهيجاً وهو اليومَ ناصِلُ الألوانِ؟^(٢)
ها هو الروضُ والوردُ والزهرُ وهذا الحَمَامُ من فوقِ بانِ
لا أرى الوردَ غيرَ جذرٍ وساقٍ أو أَحِسُّ الغِناءَ عذباً شَجاني

١- رسيس من رَسَّ يُرْسُ رسيساً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.

٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصَلَ اللون : زال اللون

إنَّهَا النَّفْسُ حِينَ تَصْفُو تَرَاهَا خَلَعَتْ صَفُوهَا عَلَى الْأَكْوَانِ
وَهِيَ النَّفْسُ حِينَ تَغْبَرُ يَبْدُو كُلُّ نَوْرٍ أَمَامَهَا كَالدُّخَانِ
لَوْ تَسَاوَى الْإِحْسَاسُ فِي كُلِّ آنٍ تَسَاوَى الْأَشْيَاءُ فِي كُلِّ آنٍ
عَمَّكَ اللَّهُ مَا الْمَحَاسِنُ إِلَّا صُورَةُ النَّفْسِ فِي بَدِيعِ افْتِنَانٍ
وَكَذَا الْقُبْحُ صُورَةٌ قَدْ تَرَاءَتْ فِي خِيَالٍ فَحُقِّقْتَ لِلْعِيَانِ
فَرَعَى اللَّهُ عَهْدَ أَنْسٍ أَرَانِي صُورَةَ الْكَوْنِ فِي جِهَالِ الْحَسَنِ
وَرَعَى اللَّهُ خَيْرَةً وَرِفَاقاً وَرَعَى اللَّهُ أَرْبَعاً وَمَغَانِي^(١)

* * *

١ - أربعاً: مفردة ربع، والرُّبْعُ محلة القوم ومترلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَبَّحُ المَاضِي وَمَا المَاضِي سِوَى بَعْضُ نَفْسِي قَدْ تَوَلَّاهُ العَدَمُ
يَتَرَاءَى كُلَّمَا شَطَّ النَّوَى فَإِذَا الذِّكْرَى شُجُونٌ وَأَلَمُ
وَإِذَا الكَامِنُ فِي نَفْسِي ثَارَ
جَائِشًا مُضْطَرِمًّا

كَالْجَحِيمِ
كُلَّمَا أَقْبَلَ يَوْمٌ وَمَضَى أَوْغَلَ المَاضِي بِمَجْهُولٍ سَاحِقٍ
ذَاهِبًا عَنِّي كَبْرَقَ أَوْمَضًا ثُمَّ دَوَّى بَعْدَهُ الصَّمْتُ العَمِيقُ
وَهُوَ صَمْتُ تَحْتَهُ صَخَبٌ مُثَارٌ
وَحْنِينٌ أَضْرِمًا
وَوُجُومٌ

أَهْ لَوْ مَلَكَتُ تَصْرِيفَ الزَّمَنِ كَيْفَمَا أَهْوَى وَأُنِّي أَرْغَبُ
لَرَجَعْتُ الدَّهْرَ لِلْمَاضِي إِذَنْ فَإِذَا بِي حَيْثُ كُنَّا نَلْعَبُ
وَرِفَاقُ لَيْلِي العُودِ صِغَارُ
لَيْسَ تَدْرِي الأَلَمَا
وَالْهُمُومُ

زَهْرَاتٌ نَضَرَاتٌ بِاسْمَاتٍ تَلْمَحُ الغِبْطَةُ فِيهَا وَالرِّضَاءُ
مَرَحَاتٌ مَشْرِقَاتٌ لَاهِيَاتٌ لَا تَرَى فِي الكَوْنِ إِلَّا مَا تَشَاءُ
فَهُوَ رَوْضٌ زَاهِرٌ دَانِي الثَّمَارِ
وَهِيَ نُورٌ قَدْ نَمَا
فِي الكُرُومِ

تَتَسَاقَى الْوَدَّ مِنْ غَيْرِ انْتِبَاهٍ فَإِذَا الْعِشُّ سُرُورٌ وَفَرَحٌ^(١)
وَإِذَا الْكَوْنُ وَمَا فِيهِ حَيَاةٌ تَبْدَى فِي نَشَاطٍ وَمَرَحٍ
تِلْكَ أَيَّامٌ طَوِيلَاتٌ قِصَارُ

فِي زَمَانٍ بَسَمًا

وَنَعِيمٌ

أَيْنَ مَنِّي ذَلِكَ الْعَهْدُ الْوَسِيمُ أَيْنَ مَنِّي بَعْضُ أَيَّامِ الصَّغَرِ
إِنَّهَا مَرَّتْ كَمَا يَهْفُو النَّسِيمُ فَيُحْيِي وَيُحْيِيهِ الزَّهَرُ
ذَهَبَ الْمَاضِي وَأَعْيَا الْإِنْتَظَارُ

وَهُوَ يَعْدُو قُدُمًا

كَالظَّلِيمِ^(٢)

أَيُّهَا الْمَاضِي رُويِدًا فِي خُطَاكَ فَعَلَامَ الْيَوْمِ تَمْضِي مُسْرِعًا
إِيَّاهُ مَهْلًا حَسْبُنَا طَوْلُ نَوَاكٍ وَبِحَسْبِي مِنْكَ أَنْ لَنْ تَرْجِعَا^(٣)
لَجَّتِ الذِّكْرَى وَلَمْ يَبْقَ اصْطِبَارُ

وَسْتَغْدُو عَدَمًا

لَا يَدُومُ

* * *

١ - تتساقى: تتبادل الشراب

٢ - كالظليم: ذكر النعام.

٣ - نواك: فراقك.

رثاء عهد*

أَنَا أَرْتِيكَ يَا عَهْدَ الْمُنَى؟ أَنَا أَرْتِيكَ يَا عَهْدَ الْوَفَاءِ؟
أَنْتَ يَا عَهْدُ أَرْتِيكَ أَنَا؟ لَا. فَلَنْ أَقْوَى عَلَى هَذَا الرِّثَاءِ!
* * *

لَا. وَلَنْ يَجْرَى عَلَى الطَّرْسِ قَلَمٌ لَا. وَلَنْ تُعْلِنَ هَذَا كَلِمَاتٌ^(١)
أَرِثَاءُ؟ أَغْدَا الْمَاضِي عَدَمٌ؟ أَوْ هَلْ يَغْدُو رَهِينًا بِفَوَاتٍ؟
* * *

رَبِّ. حَقٌّ ذَاكَ أَمْ هَاجِسُ سُوءٍ يَنْفُتُ الْهَمَّ بِنَفْسِي وَالْقَلْقُ؟
أَمْضَى عَهْدٌ هُوَ الْعَمْرُ الْهَنِيءُ؟ أَوْ حَقٌّ ذَاكَ يَارَبُّ أَحَقُّ؟
* * *

أَوْ عَهْدٌ هُوَ رِيًّا مُهْجَتَيْنِ وَهُوَ سَارٍ فِي الْحَنَايَا وَالشَّعَابِ^(٢)
يَنْطَوِي كَمَا لِبَرْقٍ فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ ثُمَّ يَبْدُو لَا نَحْأَ مِثْلَ السَّرَابِ؟
* * *

أَوْ يَغْدُو ذَلِكَ الْعَهْدُ الْوَسِيمُ حُطْمًا^{١١} تَلْهُو بِهِ أَيْدِي الْفَنَاءِ؟
زَهْرَةٌ فِي الْكُمِ تَلْقَاهَا هَشِيمٌ وَنَعِيمًا وَادِعَا يَضْحَى شِقَاءُ^(٣)

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه.

٢- رِيًّا مهجتين: ما يروى قلبين.

٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أَهْنَا مَثْوَاكَ يَا عَهْدُ. هُنَا؟ أَهْنَا يَا عَهْدُ أَقْصَى خُطَوَاتِكَ؟
وَإِذَا أَدْعُوكَ يَا عَهْدَ الْمُنَى لَمْ تُجِبْ دَاعِيكَ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِكَ؟
* * *

وَإِذَا قَلَّبْتُ يَا عَهْدُ يَدَيَّ حَسْرَةً قَاتِلَةً أَوْ لَهْفًا
أُتْرَى تَرُنُّو بِإِشْفَاقٍ إِلَيَّ أَمْ تَرُدُّ الطَّرْفَ عَنِّي صَدَفًا؟^(١)
* * *

وَلَوْ أَنِّي اسْطَعْتُ يَا (عَهْدُ) الرِّثَاءَ بَعْدَ إِذْ يَمْضِي مِنَ الْعَمْرِ سَنِينَ
فَبِأَيِّ الْقَوْلِ اسْطِيعُ الْوَفَاءَ وَبِأَيِّ الدَّمْعِ تُذَرِّيهِ الْعَيُونَ؟
* * *

أَنْتَ جِزءٌ مِنْ فُؤَادِي قَدْ فَقَدْتُهُ مَا غِنَاءُ الْقَوْلِ فِي صَدْعِ فُؤَادٍ؟
أَوْ غِنَاءُ الدَّمْعِ فِي مَاضٍ عَدِمْتُهُ هُوَ أَغْلَى مَا أَرْجَى مِنْ تِلَادٍ؟^(٢)
* * *

آه يَا عَهْدُ وَمَا آلمَ آهٌ وَهِيَ ذَوْبُ النَّفْسِ لَا رَجْعُ أُنِينَ
أُغْرِبِي عَنِّي بَعِيداً يَا حَيَاهُ لَا يَطِيقُ الْعِيشَ مَنَكُوبٌ حَزِينٌ
* * *

١ - صَدَفًا: مَنْ صَدَفَ عَنْهُ يَصْدَفُ: أَعْرَضَ وَمَالَ، وَصَدَفَ فُلَانٌ عَنِ الشَّيْءِ: صَرَفَهُ.

٢ - تِلَادٌ: الْمَالُ الْأَصْلِيُّ الْقَدِيمُ وَالْمُرَادُ: الْأَصَالَةُ

عهد ذاهب؟!*

عُزَّ حَتَّى لَتُوقِيَهُ الْعَيُونُ وَتَقْدِيهِ الْأَمَانِي وَالْقُلُوبُ
وَتَسَامِي عَنْ مَنَالَاتِ الظُّنُونِ وَبَدَا كَالْخُلْدِ مَأْمُونِ الْمَغِيبِ
لَا تَرَاهِ النَّفْسُ إِلَّا بَاقِيَا

أَبَدَ الدَّهْرِ قَوِيًّا وَاقِيَا

طَاهِرَ الْأُرْدَانِ عَفَا سَامِيَا^(١)

كَالرَّجَاءِ الْعَذْبِ فِي الذَّهْنِ الْخَصِيبِ زَاخِرًا مَا إِنْ يُرَائِي أَوْ يَخِيبُ
هُوَ عَهْدٌ صِغَ مِنْ حُبِّ نَقِيٍّ وَسُمو فَوْقَ إِحْسَاسِ الْبَشَرِ
وَوَقَاءً سَابِغُ الْغَيْضِ نَدِيٍّ وَحَنَانٌ مِثْلَ أَرْوَاحِ الزَّهْرِ^(٢)
صَوَّرَتْهُ سَاعَةَ الْعَطْفِ السَّمَاءِ

وَرَعَتْهُ يَدُ أَمْلَاحٍ بَرَاءِ

فَغَذَتْهُ بِأَفَاوِيقِ النَّقَاءِ^(٣)

وَتَجَلَّى الْغَيْبُ عَنْهُ فَسَفَرَ فِي جَلَالٍ وَجْهَالٍ مُزْدَهَرِ
كَانَ. وَالْمَوْلُومُ فِي (كَانَ) الْفَنَاءُ! حَيْثُ لَا رُجْعِي وَلَا طَيْفُ أَمَلٍ
وَرَمَاهُ بَغْتَةً سَهْمُ الْقَضَاءِ فَتَرَاخَى فِي انْحِلَالٍ وَاضْمَحَلِّ

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- الأردان: مفردا رَدَن: وهو طرف الكُم كناية عن الطهارة العامة.

٢- الغيظ: القليل.

٣- أفويق: مفردا، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتراءى بعد حين خاليا

من رواء كان فيه حالياً^(١)

موحش الأرجاء يبدو خاويًا

غاض منه كل أنس وارتحل مثلما يخلو من أهل الطلل^(٢)

أيها العهد الذي مرّ وداعاً هو ذوب النفس أو فيض الألم

سوف تبقى أبد الدهر شعاعاً في ضميري يتراءى في الظلم

سوف أبكي بكاء الثاكل

وأرويك بدمعي الهاطل

وأناجيك بقلبي الذابل

طالما أحيّا فأما ينصرم ذلك العمر تولانا العدم

* * *

١ - حالياً: مزيناً

٢ - الطلل: بقايا الدور

السعادة مديت الأشقيا، *

إِيَّاهُ حَدَّثَ عَنِ السَّعَادَةِ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُ الشَّقَاءَ كُلَّ الشَّقَاءِ
أَطْلَعَ الصُّبْحَ فِي حَدِيثِكَ يَجْلُو بَعْضَ هَذَا الْأَسَى بِفَيْضِ الضِّيَاءِ
يَا أَخِي ضَاقَ بِالْحَوَادِثِ ذُرْعِي وَسَمِئْتُ الشُّكَاةَ مِنْ بَأْسَائِي
وَمَلَلْتُ الْحَدِيثَ فِيهَا فَحَدَّثَ أَنْتَ يَا صَاحِبِي حَدِيثَ الْهَنَاءِ
إِنَّ بَعْضَ الْحَدِيثِ يُدْنِي الْأَمَانِي بِخِيُوطٍ - وَإِنْ وَهَتْ - مِنْ رَجَاءِ

أُبْعَثُ الطَّرْفَ فِي الْفَضَاءِ مَلِيًّا فَأَرَى الْأَفَقَ ضَيْقًا فِي الْفَضَاءِ
وَالصَّبَاحُ الْوَدِيعُ مَا عَادَ يَسْرِي لِفَوَادِي كَمَا سَرَى بِالرَّضَاءِ
وَالرَّبِيعُ الْأَنِيقُ مَا عَادَ يُذَكِّي فِي وَمَضِ الْحَيَاةِ كَالْأَحْيَاءِ
وَالْجَمَالُ الَّذِي يَشِيعُ فِي النَّفْسِ رُوحًا عَادَ مَيِّتًا مُعْطَّلَ الْإِيْحَاءِ
هِيَ نَفْسٌ أَحَالَتْ الْكَوْنَ قَفْرًا فَتَرَاءَى مُعْطَلًا مِنْ وَرَاءِ
هِيَ نَفْسٌ تَحْطُمْتُ بِالنَّفْسِي هِيَ دَائِي فَلَسْتُ أَرْجُو شِفَائِي

يَا أَخِي ثَارَتْ الشُّجُونُ وَهَاجَتْ حُرْقَاتِي وَأَيَقُظْتُ لِأَوَائِي^(١)
يَا أَخِي هَاتِ مِنْ حَدِيثِكَ صَوْرَ فِي خَيَالِي مَلَامِحَ السُّعْدَاءِ
كَيْفَ يَحْيَوْنَ غَبْطَةً وَابْتِسَامًا كَيْفَ يَرْضَوْنَ لِلْأَمَانِي الْوَضَاءِ
أَوْ فَاْمِسْكَ فِكْلُ شَيْءٍ مُثِيرٌ لَشُّجُونِي. وَخَلَّنِ وَشَقَائِي

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١ - الأواء: الشدة والألم.



ياريف تدعوني إليك؛ إنني

للمستطار إلى لقاء الظامي

ليلات في الريف *

مِنْ حَنِينِ الْفَوَادِ؛ مِنْ خَفَقَاتِهِ ذَلِكَ الشُّعْرُ، مِنْ صَدَى زَفَرَاتِهِ
وَسِعَتْهُ الْأَلْفَاظُ وَزْنَاً وَمَعْنَى ثُمَّ ضَاقَتْ عَنْ رُوحِهِ وَسِمَاتِهِ
هُوَ وَحْيٍ لَذَكْرِيَّاتٍ حَسَّانٍ أَوْدَعَ الْخُلْدُ بَيْنَهَا ذِكْرِيَّاتِهِ
وَلِيَالٍ يَا حُسْنَهَا مِنْ لِيَالٍ يَشْتَرِيهَا مُخَلَّدٌ بِحَيَاتِهِ
هَمَسَ الصَّمْتُ بَيْنَهَا هَمَسَاتٍ خَفَضَ الْكَوْنُ عِنْدَهَا خَفَقَاتِهِ
وَسَرَى الْبَدْرُ مُغْمِضَ الْجَفْنِ وَسَنَا نَ كَطِيفٍ مُسْتَغْرِقٍ فِي سُبَاتِهِ

يَا جَمَالاً بَرِيفٍ مَصْرٍ قَرِيرَاً هَادِئِ الْبَالِ فِي خُشُوعٍ وَقُورِ
لَسْتُ أَنْسَى فَيْكَ لِيَالِي مَرْتٌ هُنَا أَطِيفُ عَهْدِنَا الْمَأْثُورِ
حِينَ نَسْرَى وَالْبَدْرُ يَنْشُرُ ضَوْءَاً فَوْقَ سَهْلٍ كَالْعَيْلَمِ الْمَسْجُورِ^(١)
بَيْنَمَا الزَّهْرُ حَالِمٌ فِي رُبَاهِ وَغُصُونٌ مُهْدَلَاتِ الشُّعُورِ
وَحَرِيرُ الْأَمْوَاهِ سَاجٍ رَتِيبٌ مِثْلَ شَدْوٍ فِي عَالَمٍ مَسْحُورِ
وَنَجِيٍّ مِنَ الرَّفَاقِ بِهِمْسٍ وَحَدِيثٍ مُسْتَعَذِبٍ مِنْ سَمِيرِ
قَدْ وَعَى الدَّهْرُ هَذِهِ اللَّيَالِ وَوَعَيْنَا آثَارَهَا الْبَاقِيَاتِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيْلَمُ الْمَسْجُور: البحر المملوء

فهي ذُكِرَى تَوَشَّجَتْ بِنَفُوسٍ حَانِيَاتٍ لَطِيفِهَا رَاجِفَاتٍ^(٣)
سَوْفَ تُعِيهِ رُقِيَّةٌ مِنْ خُلُودٍ عَوَّذَتْهَا الْفَنَاءُ وَالْحَادِثَاتُ!^(٤)
هذه مَسْكَةٌ مِنَ الْأَبَدِ الْبَاقِيِ الْمَعْهُودِ قَبْلَ خَلْقِ الْحَيَاةِ
ذَحَرَتْهَا الْأَحْقَابُ حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَأَبِيحَتْ فَمَالَهَا مِنْ فَوَاتٍ

* * *

١ - ساج: ساكن هادئ.

٢ - نَجِيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.

٣ - تَوَشَّجَتْ: ارتبطت برباط قوي.

٤ - عَوَّذَتْهَا: حصنتها

* العودة إلى الريفا *

مَهْدَ الرَّجَاءِ وَمَهْبِطَ الْأَحْلَامِ وَطَنِي عَلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
يَا رَيْفَ فَيْكَ مِنَ الْخُلُودِ أَثَارَةٌ تَنْسَابُ فِي خَلْدِي وَفِي أَوْهَامِي^(١)
وَتَرَدُّ إِحْسَاسِي إِلَيْكَ إِذَا خَلْتُ نَفْسِي إِلَى الْأَمَالِ وَالْآلَامِ
وَكَأَنِّي الْمَسْحُورُ يَقْفُو سَاحِرًا فِي بُهْرَةٍ كَالطَّائِفِ النَّوَامِ!^(٢)

إِنِّي فَقَدْتُكَ فِي الطُّفُولَةِ غَافِلًا عَمَّا حَوَيْتَ مِنَ الْوُجُودِ السَّامِي
لَكِنْ وَجَدْتُكَ إِذْ كَبُرَتْ بِخَاطِرِي رَمْزًا أُحِيطَ بِغَمْرَةِ الْإِبْهَامِ
وَتَكَشَّفَتْ نَفْسِي فَلَحْتُ كَأَنَّمَا نَفْسِي وَأَنْتَ جُمِعْتُمَا بَتُّوَامِ^(٣)
وَوَجَدْتُ أَحْلَامِي لَدَيْكَ وَضِيئَةً لَمْ تُبَلِّ جِدَّتْهَا يَدُ الْأَيَّامِ
وَالْيَوْمَ عُدْتُ إِلَيْكَ أَحْسَبُ أَنِّي طَيْرٌ يَوُوبُ بَعْدَ جَهْدٍ دَامِ
يَا رَيْفُ تَدْعُونِي إِلَيْكَ؛ وَإِنِّي لِلْمُسْتَطَارِّ إِلَى لِقَاكَ الظَّامِي!

هَذَا الْهَدْوُءُ كَأَنَّمَا هُوَ عَالَمٌ فِي الْوَهْمِ، لَمْ يَتَبَدَّ لِلْأَقْوَامِ
وَكَأَنَّهُ الْحُلُمُ الْجَمِيلُ يَحُوطُهُ صَمْتُ كَصَمْتِ الْعَابِدِ الْمُتَسَامِي
وَتُحَسُّ بِالسَّرِّ الْعَمِيقِ تَخَالُهُ يُضْفِي عَلَى الْأَيْقَاضِ وَالنُّوَامِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١ - أثارة: بقية

٢ - في بهرة: في دهشة.

٣ - بتوأم: التوأم: الصَّدَف، التوأمية: الدَّرَّة

ويلوح في وضوح النهار وينطوي ما بين طيات الظلام الطامي^(١)
هو ذلك السر الذي مفتاحه ضمت عليه جوانح الأهرام
* * *

إني أجول بخاطر متقل في حيثما امتد البسيط أمامي
فإذا مواكب للجمال وديعة جمعت طرائفها يد الإلهام
للطير فيها، للأزاهر، موكب للناس، للحشرات، للأنعام!
متآلفين، سرى الرضا لنفوسهم فيما اغتدوا من مشرب وطعام!
كل يرجع للطبيعة لحنه في ذلك الوادي الخصب النامي
وهنا الطبيعة كالغريرة إنما ورثت وقار أبوة مرام!^(٢)
تلهو، ولكن في براءة طفلة من نسل آله غبرن كرام!
عبدتهم الأوهام في غمراتها واندس بعض الوهم في الأفهام
وتوارثته طبيعة خلدت بها مصر على كر من الأعوام
يا ريف مصر، وأنت سر بقائها اسلم، فدتك مواهي وحطامي.

* * *(١)

١ - الطامي: الشديد .

٢ - الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليرات المبعوثه*

بعد عام كامل من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلها، في جَوْ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلات الأولى والثانية مُتحدداً.

أهو البعثُ ياليلي الخلود؟ أم تُرى أنتِ نفخةٌ من جديد؟
أم تُرى صورةٌ منك صيغتُ بين وحي الإلهام والتجويد؟
يا ليالي ما أراكِ سوى أنتِ كما كنتِ مرة في الوجود!
ها هنا والزمانُ يحلمُ وسُنا ن سعيدها بحلم سعيد!
ورنا البدرُ في حياءٍ وديع وهو راضٍ رضاء طفل وليد
ورفاقي هم الرفاق، ونفسي هي نفسي، وعالمي؛ وعهودي!
ما أرى معلماً تغير أو رسماً محته يد الزمان الكنود^(١)
أنتِ ليلتنا! فقضى علينا كيف أفلت من زمان القيود؟

قد تسللن خفية في الظلام بينما الدهرُ سادرُ الأوهام!^(٢)
ثم وافيننا وهن سكارى حلمات أغرقن في الأحلام
هامسات لنا. لقد بعث العهدُ فهيا من كل لهفان ظام^(٣)

* نشرت عام ١٩٣٤

١ - الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢ - سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣ - اللفان: المتحسر.

فأَجَبْنَا دُعَاءَهُنَّ سِرَاعاً وَخَلَعْنَا دُنْيَا الْحِجَا وَالْحُطَامِ^(١)
وَرَقِينَا مَدَارِجَ الْخُلْدِ وَالْكُونِ مُسَجِّى فِي غَفْلَةٍ وَظِلَامِ
هَاهُنَا كُنْتَ مِنْذُ عَامٍ! وَلَكِنْ يَا لِنَفْسِي! فَهَاهُنَا أَيَّ عَامٍ!
مَا أَرَى لِلزَّمَانِ رِسْمًا! فَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ هُنَا كَرْمِ الدَّوَامِ
إِيَّهِ لِيَلَاتِنَا، أَعْيَدِي عَلَيْنَا قِصَّةَ الْخُلْدِ، فَلَأَمَانِي ظَوَامِ^(٢)
* * *

خَيْمَ اللَّيْلِ فِي خُشُوعٍ رَهيبٍ غَيْرِ لَمَحِ الرُّؤْيِ، وَخَفَقِ الْقُلُوبِ
وَسَرِينَا نَرْتَادُ سِرَّضَ اللَّيَالِي وَهِيَ تُفْضِي بِسَرِّهَا عَجِيبٍ!
وَمَتَاعاً مِنَ الْحَيَاةِ نَفِيساً ضَمَّنَتْهُ آلَافُ عَهْدٍ خَصِيبِ
قَدْ رَشَفْنَا خِلَاصَةً مِنْهُ تُغْنِي عَنْ حَيَاةِ الْوَرَى وَعِيشِ الشُّعُوبِ
وَسَرَى فِي النُّفُوسِ مَعْنَى جَدِيدٍ عَبَّرَتْ عَنْهُ بِالْغِنَاءِ الرَّتِيبِ
وَتَسَامَتْ أَرْوَاحُنَا فِي نَجَاءٍ وَتَقَادَتْ قُلُوبُنَا فِي دَيْبِ
تِلْكَ لِيَلَاتِنَا، وَهَذَا صَدَاهَا إِيَّهِ لِيَلَاتِنَا؛ اخْلُدِي، لَا تَغِيبي

* * *

١ - الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحطام: متاع الحياة.

٢ - ظوامي: مفردتها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى

أو

العرمان *

ريحانتي الأولى وزّوَح شَبَابِي أَذْدا دَعَوْتُ سَمِعْتُ رَجَعَ جَوَابِ
أنا في الجحيم هنا وأنتِ بجنةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجَابٍ وَرَيْقِ شَبَابٍ^(١)
أنا في الجحيم وأنتِ ناعمةُ المنى خَضْرَاءُ ذَاتُ تَطْلَعِ وَطِلَابِ
أنا لا أريدُكِ هاهنا في عالمي إني أُعِيدُكِ مِنْ لَظَى وَعَذَابِ
لكنّها الذِّكْرَى تُشَوِّرُ بِخَاطِرِي مَجْنُونَةٌ حَقَاءُ ذَاتُ غِلَابِ

عَيْنِي رَعَتْكِ وَأَنْتِ نَابِتَةٌ فَلَمْ تَغْفُلْ وَلَمْ تَفْتُرْ وَلَمْ تَتَأَلَمِ
وتعهدتِكِ يَدِي وَأَنْتِ نَحِيلَةٌ وَغِذَاكِ مِنْ نَفْسِي الْحَنَانُ وَمِنْ دَمِي
فَنَمَوْتَ وَالْأَمَالُ حَوْلَكَ تَنْتَشِي وَتَهْمُ رَاقِصَةٌ وَتَهْتِفُ بِالْفَمِ
حتى إِذَا أَيْنَعْتَ وَانْطَلَقَ الشَّذَى أَلْفِيَتْ نَفْسِي فِي صَمِيمِ جَهَنَّمَ
مُلَقًى هُنَالِكَ لَا أَحْسُ وَلَا أَرَى إِلَّا الشُّوَاظَ وَكُلَّ دَاجٍ مُعْتَمٍ^(٢)

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٧

١- رَيْقٌ: مِنَ الرُّوقِ: أَوَّلُ الشَّيْءِ، رَوْقُ الشَّبَابِ: أَوَّلُهُ.

٢- دَاجٍ مُعْتَمٍ: شَدِيدُ الظُّلْمَةِ.

بيني وبينك شُيَّةٌ لا تَنْتَهِي أَبداً أَقاربُ حَوْلَها وأُباعِدُ
هي شُقَّةُ النَّفْسِ الخرابِ، وإنَّها لمجاهلٌ لم تُكْتَشَفْ وفَدافِدُ^(١)
الشمسُ فيها لا تُطِلُّ وما بها إلا الرواكِدُ والظَّلامُ البَارِدُ
أنا لَسْتُ سَالِكُها وأنتَ حَفِيَّةٌ أن تَجُنِّبِي عَنْها ونَجْمُكَ صَاعِدُ^(٢)
فإذا الَّذي بَينِي وبينكَ كُلُّهُ ذَكَرِي تُطِلُّ بِرَأْسِها وتُعَاوِدُ
* * *

وأراكِ مِنْ خَلَلِ الغيومِ أَسِيفَةً إِذْ تَذَكِّرِينَ رِعايَتي وجُهودِي
وترِينَ حَاضِرَنا وَغابِرَنا مَعاً وتُراجِعِينَ مَوائِقي وعُهودِي
نَفْسي فداكِ فلا أراكِ شَجِيَّةً تُرقي الغُضُونُ لوجْهَكَ المَعْبُودِ
وقِفْ عَلَيْكَ تَطْلُعِي وتَلْهُفِي وقِفْ عَلَيْكَ قِصائِدِي ونَشِيدِي
لكن أُعِيدُكَ خَطْرَةً في عَالَمِي إِنِّي أُعِيدُكَ وَحْشَتِي وَكُودِي

* * *

١ - فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.

٢ - حَفِيَّة: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لَكَ يَا جَمَالَ عِبَادِي لَكَ أَنْتَ وَحَدَكَ يَا جَمَالَ
تَعْصِي تَعَالِيمُ الطُّغَاةِ، أَوْ الْهُدَاةِ عَلَى ضَلَالٍ
وَيُخَالَفُ التَّشْرِيعُ جَهْرًا أَوْ خَفَاءً فِي احْتِيَالٍ
وَتُجَانِبُ الْأَدِيَانَ أَوْ تُنْسِي وَتُهْجِرُ عَنْ مَلَالٍ
وَأَرَاكَ وَحَدَكَ يَا جَمَالَ تَلْقَى الْخُضُوعَ وَالْاحْتِفَالَ
وَالْحُبَّ وَالْإِيمَانَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ بِكُلِّ حَالٍ!

الْمَالُ مَعْبُودُ الْحَيَاةِ الْمُسْتَدَلُّ قُوى الرِّجَالِ
هُوَ بَعْضُ قُرْبَانِ النُّفُوسِ إِلَى مَقَامِكَ فِي ابْتِهَالٍ
وَأَرَى الْأُلُوهَةَ فِيكَ تُوحِي بِالْعِبَادَةِ فِي جَلَالٍ
مَا أَنْتَ إِلَّا مَظْهَرٌ مِنْهَا تُوَشِّيهِ الظُّلَالُ^(١)
فَإِذَا عَبَدْتُكَ لَمْ أَكُنْ يَا حُسْنُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ
بَلْ كُنْتُ مَحْمُودَ الْعَقِيدَةِ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْخِيَالِ
أَعْنُو لِمَنْ تَعْنُو لَهُ كُلُّ النُّفُوسِ بِلَا مِثَالٍ^(٢)
مُتَفَرِّقًا فِي الْكَوْنِ فِي شَتَّى الْمَرَائِي^(٣) وَالْخِلَالِ
فَإِذَا تَرَكَّزَ هَاهُنَا بِطُلِّ التَّمَحُّلِ وَالْجِدَالِ^(٣)

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١ - تَوْشِيَّةٌ: تَنْقِشُهُ وَتُحَسِّنُهُ مِنْ وَشَى الشَّيْءِ وَشَيْئاً: نَمَقَهُ وَنَقَشَهُ وَحَسَنَهُ.

٢ - أَعْنُو: أَحْضَعُ.

٣ - التَّمَحُّلُ: الْإِحْتِيَالُ

تسليم...!

لعينيك تسبيحي وهمس سرائري وفي صمتها الموحى مراد خواطري
تطل على الدنيا فتوقظ قلبها وتمنح هذا الكون إيمان شاعر
وتسكب في أحنانه عبقرية من الفن لم تخطر بآمال ساحر
وتجلو من الدنيا عميق فنونها وتكشف في أطوائها كل خاطر
ومن عجب توحى بفتنة ساحر وتهمس في صمت بتقديس طاهر
* * *

لقد شف هذا الوجه حتى كأنه خواطر فنان ندي المشاعر
وقد رق هذا الجسم حتى كأنه هواتف حلم ناعمات البشائر
وقد رق هذا الصوت حتى كأنه أغاريد لحن في السماوات عابر
وقد خف هذا الخطو حتى كأنه مرور نسيم بالأزاهير عاطر
وخلت طيفاً هامساً في ضمائري وإنك طيف هامس للنواظر!
* * *

لأيقظت في نفسي سعادة شاعر وراحة موهوب وغبطة ذاخر
وأشعرتني معنى الطلاقة والرضا ومعنى الغنى عن كل آت وغابر
مدى فيه من أفق الخلود مدارج رقيت إليها في سنى منك باهر
سبقت به خطو الحياة لنهجها وجرت به آفاقها في المعابر
فيا لك من هاد سنى المنائر ويالي من سار وحى البصائر
* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظت أنبل ما يُجنُّ ضميري وبعثت جوهراً عُصري المَطْمُور^(١)
 فإذا أنا الروح التي تَسْمُو بها دُنيا الحياة لأَوْجها المنظور
 وإذا أنا النُّور الذي تجلُّو به تلك الحياة غَيَاهِب الدَّيجور^(٢)
 وإذا أنا الشَّوق الذي يحدُّو لها فتَغدُّ بين مَسالكِ وصُخور
 وإذا أنا الشَّعر الذي تشدُّو به في نَشوةٍ وتجيِّشٍ بالتعبير
 وإذا أنا الخير المَحضُّ والهدى والحبُّ والنَّجوى خِلالِ ضمير

* * *

فبأى معجزةٍ كَشَفْتَ ضمائري وجَلَوْتَ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورٍ؟
 وغَدَوْتَ في فضائلي ورويتُها حتى أَطَلَّتْ بالجنى المَذْخُورِ؟
 وجعلت من زادِ الخلودِ مَطامِحي وجعلت أشواقِي صِلاةَ طُهورٍ؟
 بالحبِّ والحُسْنِ الوديعِ ونظرةٍ بيضاءَ صافيةٍ تُريحُ شُعوري
 وتُحيلُ أشواقِي رِضاءٍ مُخلَّدٍ راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبِّ بِقُصُورِ
 وتُحيلُني رُوحاً تَرِفُ على الوري كالعطفِ، أو كالحبِّ، أو كالنُّورِ
 فإليك تَسْبِيحي وهَمْسُ سرائري وإليك غَايَةُ غِبْطِي وسُروري

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجنُّ: يستر.

٢- الدَّيجور: الظلام.

لين عهدين *

طَرْتُ عَنْ عُشِّكَ الْجَمِيلِ فَأُوبِي شَدَّ مَا اشْتَأَقَ طَيْرُهُ أَنْ تَوُوبِي! ^(١)
 كَانَ دِفْئاً وَكَانَ مَرْتَعٌ صَفْوٍ فَكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثَوْبَ الْقُطُوبِ ^(٢)
 مِنْذُ غَادَرْتَهُ قَدْ انْتَشَرَ الْحُبُّ وَطَاحَتْ بِهِ رِيَّاحُ الْهُبُوبِ
 وَتَخَلَّيْتُ عِنَايَةَ اللَّهِ عَنْهُ فَهُوَ فِي وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْكَثِيبِ
 وَلَيَالِيهِ شَاجِيَاتٌ حَيَارَى يَتَرَامِينَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ ^(٣)

* * *

عُودِي إِلَى الْعُشِّ عَوْدِي وَرَفْرَفِي مِنْ جَدِيدِ
 وَرَنِّمِي بِالْأَغَانِي فِي جَوْهِ وَاسْتَعِيدِي
 وَأَدْفِنِي بِالْأَمَانِي مَا مَسَّهُ مِنْ جُمُودِ
 وَتَمْتَمِي بِالتَّعَاوِيدِ وَالرُّقَى وَالنَّشِيدِ
 وَأُطْلِقِي فِيهِ لَحْناً يَشْدُو حُبِّ سَعِيدِ
 وَيَطْرُدُ الْيَأْسَ عَنْهُ بِالشَّدْوِ وَالتَّغْرِيدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٤٢

١ - اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَالَ انْتِظَارُكَ وَهَنًا فِي ظُلْمَةٍ وَكُنُودٍ^(١)
وَالرَّيْحُ تَعَبْتُ فِيهِ بِكُلِّ غَالٍ مَجِيدٍ
وَكُلُّ خَفَقِ جَنَاحٍ أَوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعِيدٍ
يَخَالُ فِيهَا مَا بَاءَ بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرُودِ

* * *

عُودِي إِلَى الْعُشِّ عُودِي وَرَفْرَفِي مِنْ جَدِيدٍ
أَضْنَاكَ طُولُ الشُّرُودِ وَلَذَّةُ التَّصْعِيدِ
عُودِي إِلَى الدَّفْءِ فِي عُشِّكَ الْأَمِينِ
الْعُمُرُ يَمْضِي فَهِيَ نَعِيدُهُ
الْوُدُودِ
لِلْوُجُودِ

* * *

١- وَهَنًا: لَيْلًا ، كُنُود: الْمَرَاد فِي انْقِطَاعِ

نداء الفريفا *

تَعَالَى. أَوْشَكَتْ أَيَامُنَا تَنْفَدُ
تَعَالَى. أَوْشَكَتْ أَنْفَاسُنَا تَبْرُدُ
بِلا أَمَلٍ، وَلَا لُقْيَا، وَلَا مَوْعِدٍ
* * *

تَعَالَى. هَذِهِ الْأَيَّامُ لَا تَرْجِعُ
وَلَا تُصْغِي لَنَا الدُّنْيَا وَلَا تَسْمَعُ
وَلَا تُجْدِي شَكَاةَ الدَّهْرِ أَوْ تَنْفَعُ
* * *

كَالَنَا ضَائِعٌ فِي الْكَوْنِ مَفْقُودُ
فَلَا هَدَفَ لَهُ فِي الْأَرْضِ مَشْهُودُ
وَلَا أَمَلٌ لَهُ فِي الْغَيْبِ مَوْعُودُ
* * *

أَلَا مَا أَحْمَقَ اثْنَيْنِ غَرِيبَيْنِ!
إِذَا عَاشَا - مَعَ الْحَبِّ - فَرِيدَيْنِ!
وَهَذَا الْكَوْنُ لَا يَذْرِي الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أَدَمَّتْ الْأَشْوَاكُ قَلْبَيْنَا
وَسَدَّتْ هَذِهِ الدُّنْيَا طَرِيقَيْنَا
وَلَكِنْ أَيْنَ مَاضِي حُبِّنَا أَيْنَا؟
* * *

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣

تَعَالَى نُحْيِ بِالْأَشْوَاقِ مَاضِينَا
وَنَبْعَثُ فِي حَمَى الْحُبِّ لِيَالِينَا
فَهَذَا الْحُبُّ إِذْ نُحْيِيهِ يُحْيِينَا
* * *

تَعَالَى لَمْ يَعُدْ فِي الْعُمْرِ مُتَّسِعُ
تَعَالَى لَمْ يَعُدْ فِي الْكَوْنِ مُنْتَجِعُ^(١)
وَعُغُولُ الدَّهْرِ لَا يُبْقِي وَلَا يَدَعُ
* * *

تَعَالَى! نَحْنُ بَعَثْنَا السُّوَيْعَاتِ
وَضَحَّيْنَا بِأَيَّامِ عَزِيزَاتِ
فِيَا أَخْتَاهُ يَكْفِينَا حِمَاقَاتِ
* * *

أَجَلْ يَا أَخْتُ مَا قَدْ ضَاعَ يَكْفِينَا
فَعُودِي. هَا هُوَ الْعُشُّ يُنَادِينَا
فَلَا نُخْرِبُهُ يَا أَخْتُ بِأَيْدِينَا
* * *

رَبِيعُ الْعُمْرِ يَا أَخْتَاهُ قَدْ مَرَّ
فَلَمْ نُطْعِمْهُ أَوْ نَغْنَمْ بِهِ ذُخْرًا
وَمَا عَادَ لَنَا مِنْهُ سِوَى الذِّكْرِ
* * *

١ - منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلَا نَحْشُرُ هَزِيعِينَ مِنَ الْعُمَرِ^(١)
فَدَفَّءُ الْعُشِّ قَدْ يُجَدِّي لَدَى الْقَرِّ^(٢)
وَرُوحُ الْحُبِّ قَدْ يُحْيِي لَدَى الْقَبْرِ
* * *

وَيَا أُخْتَاهُ زَادُ الْعُشِّ يَغْذُونَا
فَإِنَّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بِأَيْدِينَا
وَجَدْبُ الْعُمَرِ يَا أُخْتَاهُ يُؤْذِينَا
* * *

تَعَالَى نَقْطَعُ الْبَاقِيَ مِنَ الْعُمَرِ
رَفِيقَيْنِ عَلَى الْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ
حَلِيفَيْنِ عَلَى الْيُسْرِ عَلَى الْعُسْرِ
* * *

تَعَالَى أَوْشَكَتْ أَيَامُنَا تَنْفَذُ
تَعَالَى أَوْشَكَتْ أَنْفَاسُنَا تَبْرُدُ
بَلَا أَمَلٍ وَلَا لُقْيَا وَلَا مَوْعِدُ

* * *

١- هزيعين: الهزيع: ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.

٢- القر: شدة البرد.

هتافاروح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا (سان فرانسيسكو).

في الجوِّ يا مصرُ دِفءٌ يُدْنِي إلى خيالكِ
وتستجيشُ حيني إلى الليالي هُنالكِ
للأمسيات السُّكاري نشوى ترفُّ حِيالكِ
ونسمةٌ فيك تسري رِيانةٌ^{١٢} من جمالكِ
نجواكِ ملءُ فُؤادي تُرى خَطَرْتُ بِبالكِ

* * *

النيلُ والموجُ سَارٍ يُقْبَلُ (الشُّطَّانُ)
والبدرُ والنورُ سَاهٍ كحالمٍ وَسَنَانُ
وفي الجِواءِ حنينٌ مُجَنِّحُ حَيْرَانُ^(١)
ومن هُنالكِ لَحْنٌ يَهْفُو إلى الآذانِ
صداهُ ناءٍ عميقٌ في ناي هذا الزَّمانُ

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠
١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

فِي النَّفْسِ يَا مُصْرَ شَوْقٌ لِحَظَرَةٍ فِي رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَرَاكِ لِنَفْحَةٍ مِنْ هَوَاكِ
لِوَمْضَةٍ مِنْ سَمَاكِ لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤَاكِ
لِلَّيْلِ فِيكَ أُخْرَى مَعَ الرَّفَاقِ هُنَاكَ
ظَمَانُ تَهْتَفُ رُوحِي مَتَى تَرَانِي أَرَاكَ؟

* * *

دعاء القريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائيات الضِّفَافُ هُنَا فَتَاكِ الحَيِّبِ
عليه طَالَ المَطَافُ متى يعودُ الغريبُ؟

* * *

متى تُمْسُ خُطَاهُ ذَاكَ الأَدِيمِ المَغْبَرِ
متى يَشُمُّ شَذَاهُ كالأُقْحَوَانِ المَعْطَرِ؟

* * *

متى تَمرى عِينَاهُ تَلَسُّكَ الرِّبُوعِ المَوَائِلِ؟^(١)
أحلامُهُ وَمَنَاهُ تَدْعُوهُ خَلْفَ الحَوَائِلِ^(٢)

* * *

حينُهُ رَفَافٌ إِلَى الدِّيَارِ البَعِيدِ
مَتَى مَتَى يَا ضِفَافُ تَأْوِي خُطَاهُ الشَّرِيدِ؟

* * *

رُؤَاكِ فِي نَاطِرِيهِ تَرَفُّ كالأَحْلَامِ
تُرى هَفَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى مَدَى الأَيَّامِ؟

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١ - الموائل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢ - الحوائل: الموانع

ليلاُتِكِ السَّارياتُ كالنَّسَمَةِ العبقريَّة
حالتُ إلى ذكرياتٍ مُعطَّراتٍ نديَّة

* * *

مُجنَّحاتٍ العبيرُ مُرفرفاتٍ الأمانِي
في عَالَمٍ مسحورٍ مُوسِعٍ بالأغانِي

* * *

هُنالِكَ حيثُ خُطاهُ مَنشورَةٌ في الطريقِ
ما زالَ فيها الحياةُ تَدْعُو دُعاءَ الغريقِ!

* * *

يا أرضُ رُدِّي إليكَ هذا الوحيدَ الغريبَ
هَواهُ وقفْ عليكِ رُدِّي فتاكِ الحبيبَ

ابتسامه*

أنر بفؤادي كل أسوان مظلم ببسمة راضٍ في الحياة منعم^(١)
وصور بها الآمال: إنني رأيتها تطيف برياً ثغرك المتبسّم
وطالع بها وجه الحياة نديّة تمسّ حشاشات القلوب ببلسم
وتسري إلى الأرواح روحاً مهوماً يفيض عليها من رضاء وأنعم^(٢)
فديتك لا تأل الحياة ابتسامه أرق وأحني من خيال مهوم^(٣)
مرنحة الأعطاف تومض خلصة وتخطر في رفق بذيالك الفم!
فديتك أرسلها على الكون غبطة تشافهه همس الرجاء المتمم
وتدركها الأرواح في خطراتها كما تدرك الأسماع همس الترنم
فديتك لا تأل الحياة تبسماً فإنك لم تخلق لغير التبسم
وقتك الليالي العاسات عبوسها إذن فتبسّم كيفما شئت وأنعم

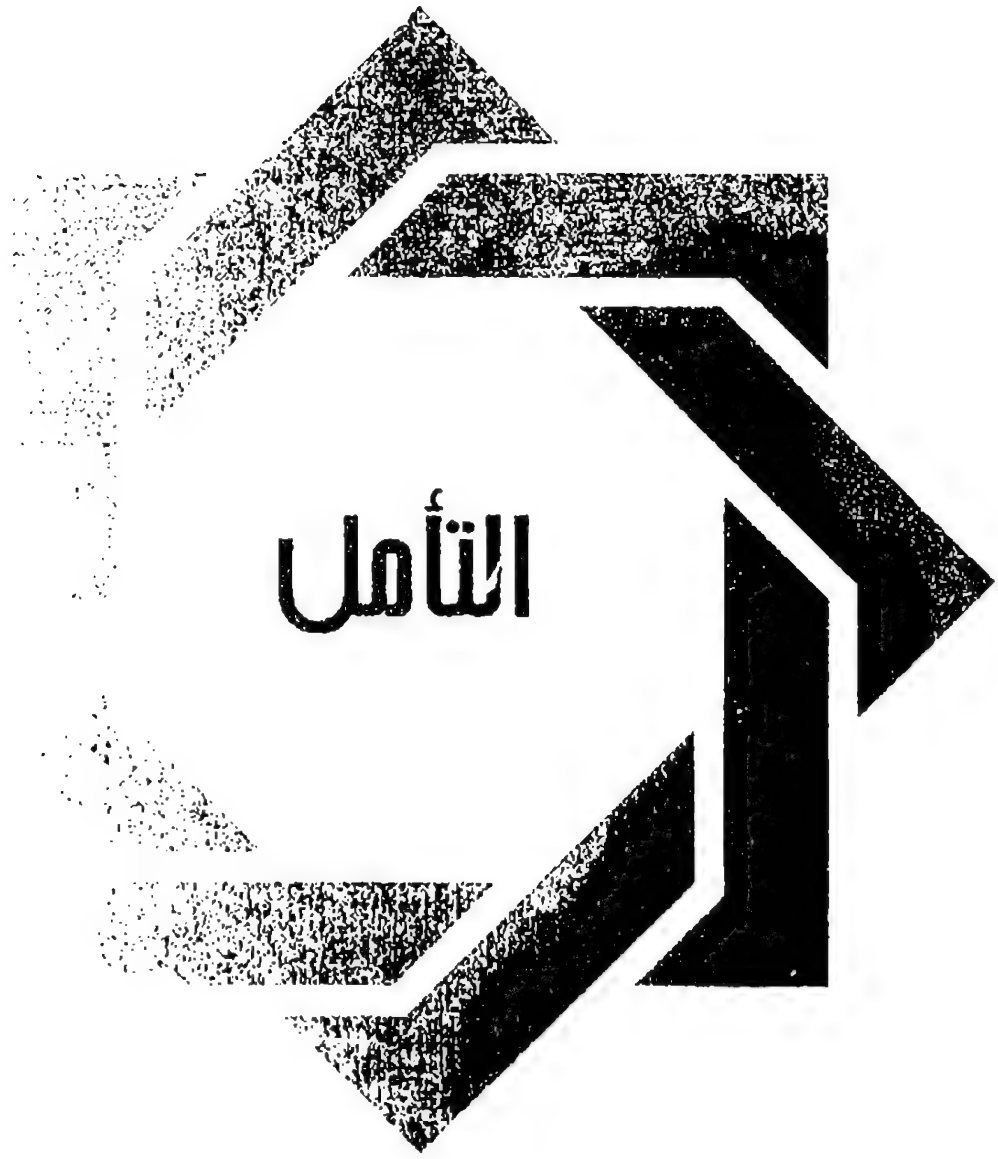
* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١ - أسوان: حزين.

٢ - مهوماً: في أول النوم.

٣ - لا تبخل، لا تقصر



إلى الشاطئ المجهولِ والعالم الذي

حننتُ لمرأة، إلى الضفة الأخرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

معالمُ للأزمانِ والكونِ تُستقرأ

بسمة بعد العبوس أو مياة بعد موت*

بَسْمَةٌ! أَمْ تِلْكَ أَنْفَاسُ الْحَيَاةِ؟ وَلِقَاءُ ذَاكَ أَمْ رَجْعُ الْعُمُرِ؟
نَفْحَةٌ تَنْفُثُهَا^٢ تِلْكَ الشُّفَاهُ تَبْعُثُ الْمَيِّتَ وَتُحْيِي مَا انْدَثَرَ
* * *

بَسْمَةٌ كَاللَّحْنِ مِنْ قِيثَارَةٍ رَائِقِ الْمَعْنَى رَقِيقِ النِّغَمَاتِ
أَوْ شَذَى يَأْرَجُ مِنْ نَوَّارَةٍ فِي غُصُونِ الْوَرْدِ زَاكِي النَّفْحَاتِ
* * *

بَسْمَةٌ أُنْدَى عَلَى الْقَلْبِ الْكَلِيمِ مِنْ نَسِيمِ الصُّبْحِ أَوْ طَيْفِ الْأَمَلِ^(١)
بَسْمَةٌ تُشْرِقُ فِي الْوَجْهِ الْكَرِيمِ كَاتِبَسَامِ الزَّهْرِ فِي الرُّوْضِ الْخَضِلِ^(٢)
* * *

نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهَا فَاِبْتَسَمَ وَسَرَتْ فِي الْقَفْرِ فَاخْضَلِ الْجَدِيبُ
سَرِيانَ الْبُرْءِ هَوْنًا فِي السَّقَمِ وَدَبِيبُ الرُّوحِ فِي الْمَيِّتِ السَّلِيبِ
* * *

ذَلِكَ الْقَلْبُ وَقَدْ جَفَّ نَدَاهُ وَغَدَا أَجْوَفَ كَالنَّبْتِ الْهَشِيمِ
وَحَبَا فِي أَفْقِهِ ضَوْءُ الْحَيَاةِ وَبَدَا كَالْمَعْبَدِ الْبَالِي الْقَدِيمِ
* * *

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩

١- الكلیم: المجروح
٢- الخضل: من خضل يخضل: ندى وابتل.

ذَلِكَ الْقَلْبُ قَدْ اخْضَلَ وَحَنَّ وَأَحْسَّ الرُّوحَ فِي رَفَقٍ تَسِيلُ
إِذْ تَرَاءَى الْأَمَلُ الْخُلُوعُ الْأَعْنُ فِي ثَنَائِهَا ذَلِكَ الثَّغْرِ الْجَمِيلُ
* * *

هَتَفَتْ رُوحِي وَحَيَّاهُ فُؤَادِي فِي هَدْوٍ شَامِلٍ ضَافٍ حُنُونُ
وَتَزَوَّدْتُ مِنَ الْحَبِّ بَزَادٍ * * * وَمِنْ الْإِخْلَاصِ تُبْدِيهِ الْعَيُونُ

إِنَّ عَيْنِيهِ إِذَا تَرُنُّو إِلَى تَسْكَبِ الرُّوحِ بِقَلْبِي وَالرَّجَاءِ
وَهُوَ إِذَا يَحْنُو بِعَظْفِيهِ عَلَيَّ يَغْمُرُ النَّفْسَ بِفَيْضٍ مِنْ رِضَاءِ
* * *

إِنَّ فِي عَيْنِيهِ مَعْنَى لِلشَّمُو فَوْقَ مَا يُدْرِكُ هَذَا الْبَشَرُ
وَبِهَا آيَاتُ عَظْفٍ وَحُنُوٍ * * * لَسْتُ أَذْرِيهَا وَلَكِنْ أَشْعُرُ

أُتْرَى أَنْعَمُ مِنْ بَعْدِ الشَّقَاءِ؟ أُتْرَى فِي الشُّوْكِ قَدْ تَحْيَا الْوُرُودُ؟
بِحَيَاتِي وَأَمَانِي الْوِضَاءِ عَهْدُنَا الْغَابِرُ لَوْ كَانَ يَعُودُ

هدأت يا قلب!*

هدأت يا قلب فاهداً هكذا أبداً وعش هنيئاً إذا أحسست سُلوانا
فجمة الحب قد تخبرو ويعقبها برد السلو وتنسى كل ما كانا
فلا بقاء ولا شكوى ترددها ولا دلال ولا وجداً وتحنانا
تمسي وتصبح حراً غير مضطرب ثبت الجنان مريح البال طمانا
نعم ستعدهم حساً رقيق جانبه ودق في عالم الإحساس ميزانا
وما يضيرك من فقدان رقيقه إذا فقدت بها بؤساً وأشجانا
وما الحياة إذا رقيق الشعور سوى بؤس يجرعه الإنسان غصانا
* * *

ستبصر الورد ورداً والسماء كما تلوح للناس والأكوان أكوانا !
وتبصر الحب شيئاً أنت تعرفه وليس سراً . ويبدو الإلف إنسانا !
خلعت ثوباً عليه أنت واهبه لولاه ملاح في الأنظار فتانا !
* * *

فخل يا قلب آمالاً تجيش بها فقد تغرك الآمال أحياناً
هذا الهدوء تنميه وتآلفه فيستحيل مع الأيام نسياناً
* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إِيَّاهُ يَا دُنْيَا وَمَا أَنْتِ سِوَى عِبَثِ الْأَطْفَالِ فِيمَا يَلْعَبُونَ
ضَجَّةٌ صَاحِبَةٌ لَا تَحْتَوِي غَيْرَ أَصْدَاءِ قَوِيَّاتِ الرَّنَيْنِ
فَإِذَا فَتَّشْتَ عَنْ مَبْعَثِهَا لَمْ تَجِدْ شَيْئاً تُخْبِيهِ الْوُكُونُ! (١)

* * *

عهدة الحياة*

عَجَبٌ خَفَقُكَ يَا قَلْبِي فِي هَذِهِ الْأَضْلَعِ مِنْ بَعْدِ الْخُفُوتِ!
أَوْ مَا زِلْتَ إِذْنُ لَمْ تَشْتَفِ مِنْ حَنِينِ فَيْكِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؟

* * *

أَوْ مَا زَالَ إِذْنُ نَبْعِ الْحَيَاةِ لَمْ يَغْضُ فَيْكِ وَلَمْ يَنْضُبْ مَعِينُهُ
رُبَّمَا فَاضَ عَلَى تِلْكَ الْفَلَاةِ فِي فَوَادٍ مُقْفِرٍ جَفَّتْ غُصُونُهُ!

* * *

طَالَ عَهْدِي أَيُّهَا الْقَلْبُ بِهِ ذَلِكَ الْخَفَقُ الَّذِي ذَكَّرْتَنِي بِهِ
ذَلِكَ الْخَفَقُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي حَيْثُ يَسْرِي الشَّعْرُ كَالْتِيَارِ فِيهِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١ - الوكون: مفردة وكن والوكن: عش الطائر حيث كان.

كَمْ ربيعٍ مَرَّ يَتْلُوهُ ربيعٌ وفؤادي في خريفٍ راكِدِ
هَامِدِ الإحساسِ جاثٍ بالضلوعِ في حياةٍ ذاتِ نَمَطٍ واحدِ
* * *

وَحُرْمَتُ الحِسِّ ، حتى بالألمِ والنَّدى حتى بتسكابِ الدَّموعِ
إيه . ما أَقْفَرَ إحساسَ العَدَمِ والأمانِ راكِداتٌ في القُنُوعِ
* * *

هاتِ ياقلبُ من النبضِ القويِّ وتَفَتَّحْ كُلَّ يومٍ عن جديدِ
لَمْ يَزَلْ في جَعْبَةِ الكَوْنِ الغنيِّ مَا يُغَذِّيكَ بأحلامِ الوُجُودِ
* * *

وإذا لَمْ تستطعْ فاخلقْ حَيَاةَ! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِ
ومن الحبِّ، وما صاغَتْ يَدَاهُ مِنْ جحيمٍ يتلظى أو جنانِ
* * *

البعث *

قد بُعِثْتُ اليَوْمَ أَحْيَا مِنْ جَدِيدٍ فَهُوَ بَعُثٌ مِنْ حَيَاةٍ خَامِدَةٍ
مَرَّ نِصْفُ الْعُمُرِ أَوْ كَادَ يَزِيدُ لَهْفَ نَفْسِي - فِي حَيَاةٍ رَاكِدَةٍ
فِي حَيَاةٍ لَمْ أَجِدْ فِيهَا حَيَاةً!
بَلَغَ الْعُقْمُ بِهَا أَقْصَى مَدَاهِ
وَتَبَدَّتْ بَلْقَعاً مِثْلَ الْفَلَاهِ^(١)

ثُمَّ لَاحَتْ تَتَرَاءَى مِنْ بَعِيدٍ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِ حُبٍّ وَاقِدَةٍ
تُلْهَبُ الْحَسَّ وَتَسْتَوْحِي الْقَصِيدَ وَالْأَنَاشِيدَ الْعَذَابِ الْخَالِدَةِ
شَاعِرٌ قَدْ صِغَ مِنْ فَيْضِ الشُّعُورِ مُلْهِمٌ الْفِطْرَةَ مِنْهُومَ النَّظَرِ^(٢)
نَابِضٌ بِالْعَطْفِ حَسَّاسُ الضَّمِيرِ يُدْرِكُ الْهَمْسَةَ تَسْرِي فِي حَذَرٍ
كَيْفَ يَحْيَا - وَهُوَ هَذَا - فِي عَمَاءٍ
مُغْلَقِ الْإِحْسَاسِ مَطْمُوسِ الرَّجَاءِ

مُقْفَرًا كَالْكَهْفِ مَحْجُوبِ الضِّيَاءِ؟
هَكَذَا عِشْتُ كَسَاكِنِ الْقُبُورِ فِي رِبِيعِ الْعُمُرِ فِي الْعَهْدِ النَّضْرِ
آه لَوْ أَسْطِيعُ لِلْمَاضِي الْحَسِيرِ رَجْعَةً مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ وَمَرَّ!
* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١ - بَلْقَعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بَلْقَع

٢ - مِنْهُومٌ: الجائع، شديد الرغبة بالشئ.

كُنْتُ أُحْيِيهِ كَمَا يَحْيَا الشَّبَابُ! نَابِضاً بِالْحُبِّ جَيَّاشَ الْأُمَانِي
مُمْسِكاً أَهْدَابَهُ خَوْفَ الذَّهَابِ مُسْتَعِزّاً فِيهِ حَتَّى بِالثَّوَانِي! ^(١)
ظَافِراً أَمْرُحُ فِيهِ كَالطَّيُورِ
حِينَمَا تَشْدُو بِالْحَنِّ الْبُكُورِ
بَعْدَمَا تَنْفُحُهَا رِيحُ الزَّهْوِ
نِصْفُ عُمْرِي قَدْ تَوَلَّى فِي اكْتِنَابِ فَلَأَقْضِ النِّصْفَ نَشْوَانَ الْأَغَانِي!
هَائِماً أَلْهُو بِمَعْسُولِ الرِّغَابِ أَوْ أُغْنِي بِالْأُمَانِي الْحِسَانَ!

* * *

١ - أهْدَاب: مفردُها هُدْبَة: طرف الثوب الذي لم يُنْسَج.

الشعاع الفابي*

لَا حَ لِي مِنْ جَانِبِ الْأُفُقِ شُعَاعٌ بَيْنَمَا أَخْبِطُ فِي دَاغِي الظَّلَامِ
فِي صَحَارَى الْيَأْسِ أُسْرِي فِي ارْتِيَاعٍ حَيْثُ تَبْدُو مُوَحْشَاتِ كَالرَّجَامِ^(١)
حَيْثُ يَسْرِي الْهَوْلُ فِيهَا وَاجِمَا
وَيَطُوفُ الرُّعْبُ فِيهَا حَائِمًا
وَالْفَنَاءُ الْمَحْضُ يَبْدُو جَائِمًا

وَتَرَى الْأَشْبَاحَ فِي رَأْسِ التَّلَاعِ كَالسَّعَالِي، أَوْ كَأَشْبَاحِ الْحِمَامِ^(٢)
فَاغْرَاتٍ تَتَشَهَّى الْإِبْتِلَاعَ تَنْهَشُ اللَّحْمَ؛ وَتَفْرِي فِي الْعِظَامِ

* * *

فَتَلَفْتُ عَلَى الضُّوءِ يُلُوحُ مِثْلَمَا تَلْمَحُ عَيْنُ السَّاهِرِ
أَوْ كَمَا تَهْمِسُ فِي الْأَجْدَاثِ رُوحٌ أَوْ كَمَعْنَى شَارِدٍ فِي الْخَاطِرِ
قَدْ تَلَفْتُ بِقَلْبٍ مُسْتَطَارٍ
شَفَّهَ الذُّعْرُ وَأَضْنَاهُ الْعِثَارُ^(٣)
طَالَمَا رَجَّضَى تَبَاشِيرَ النَّهَارِ

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الرَّجَام: من رجم القبر: وضع عليه الرّجام.

٢- السعالى : مفردهما السّعلى: الغول.

٣- شفه: من شَفَّ أي نحل ودق من همّ أو مرض ويقال : شَفَّهَ الْحَبُّ أَوْ الْهَمُّ.

ثم أزمعتُ إلى الأفق الصُّبُوحِ أرتجى فيه أمانَ الحائرِ
أصعدُ الرابيَ وأهوى في السُّفوحِ وكأني طيفُ جنِ نافرِ
ثم ماذا؟ ثم قد ساد الحلكُ فجأةً والقبسُ الهادي خبا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفلكِ لأهثاتٍ، تتراخى تعباً
رجفةُ الخائفِ أضناه العياءُ

وهو يعدو لأهثاً عدو الطلاء^(١)

قبلما يلحقها غولُ الفناء

وإذا قلبي خفوقٌ مُنتَهَكٌ ليس يدري خلاصِ سببِ
حواله الظلمةُ في أيِّ سلكٍ حيثُ ينسى الهاربون الهرباً!

قلتُ ماذا؟ قال لي: رجعُ الصدى إيه ماذا؟ قلتُ للوهم علاماً؟
قال لي اخشعُ أنت في وادي الردى حيث يطوي الضوء طراً والظلاماً!
ها هنا تُثوي الأماني؛ ها هنا
في مهاوي اليأسِ في كهفِ الفنا
كل شيءٍ هالكٌ، حتى أنا!
ثم ضاع الصوتُ يفنى بدداً وتلاشى تاركاً منه النماما
وإذا بي عدتُ أسرى مفرداً لا أرى شيئاً، ولا أدري إلماً!

١ - الطلاء: مفردا الطلاء، والطلا: ولد الطيبة

٢ - طراً: جميعاً

٣ - النماما: الآثار الباقية

في الصمرا، *

في ليلة من ليالي الخريف القمرية، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد^(١) - كانت، تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كثيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قمیئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنا في ذلك القفر هنا ما برحنا منذ حين شاحصات؟
كل شيء صامت من حولنا وأرانا نحن أيضاً صامتات؟
تطلع الشمس علينا وتغيب
ويطل الليل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزهر تغدو وتثوب
وهجير وأصيل... وطلوع وأفول... ثم نبقى في ذهول ساهمات!

* * *

أفلا تدرين يا أختي الكبيرة ما الذي أطلعنا بين الياب؟
أيمّا إثم جنينا أو جريرة سلكنا في تجاويف العذاب؟

١ - الأبيد: الموحش

قد سئمت اللَّبَثَ في هذا المكانَ
لَبْثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانِ
أفما آن لتبديل... أوان؟

حدثني لم نَشَقَّى؟ حدثني كم سَنَلَقَى؟ حدثني كم سَنَبَقَى واقفات؟
* * *

الكبيرة:

أنا يا أختاه: لا أدري الجوابَ ودَفِينِ السِّرِ لم يُكشَفَ لنا
منذ ما أطلعتُ في هذا الخرابِ وأنا أسأل: ما شأني هنا؟
فيجبُ الصمتُ حولي بالسُّكُونِ!

وأنا أخبط في وادي الظنونِ

لستُ أدري حِكْمَةَ الدهرِ الضنين^(١)

غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبَّما كُنَّا أسيراتِ القَدَرِ تَسْخَرُ الأيامُ مِنَّا والليالي!
تَضْرِبُ الأمثالُ فينا والعِبَرُ وإذا نشكو أذاها لا تُبالي!
رُبَّما كُنَّا مَساحيرَ الزَمَنِ!

قد مُسَخَّنًا هكذا بين القُنَنِ^(٢)

في ارتقابِ الساحرِ المُحيي الفِطَنِ!

فإذا كان يعود... فك هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح

٢- القنن: مفردهما قننة: وهي قمة الجبل

أَوْ تَرَانَا نَسْلَ أَرْبَابٍ قُدَامِي قَدْ جَفَاهَا وَتَوَلَّى الْعَابِدُونَ!
جَفَّتْ الْكَأْسُ لَدَيْهَا، وَالنَّدَامِي غَادَرُوا نَدْوَتَهَا تَنْعِي الْقُرُونُ
أَوْ تَرَانَا مَسْخَ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ!
صَاغَنَا فِي ذَلِكَ الْقَفْرِ الْغَشُومِ!
وَتَوَلَّى هَارِبًا خَوْفَ الرُّجُومِ!
فَبَقِينَا فِي الْعَرَاءِ.. يَجْتَوِينَا كُلُّ رَاءٍ.. وَسَنَبَقِي فِي جَفَاءِ شَارِدَاتٍ^(١)

* * *

لَسْتُ أُدْرِي، كُلُّ شَيْءٍ قَدْ يَكُونُ فَتَلْقَى كُلُّ شَيْءٍ فِي سُكُونٍ
وَإِذَا مَا غَالْنَا غُولُ الْمَنُونِ فَهَنَا يَغْمُرُنَا فِضُّ الْيَقِينِ!
* * *

ثُمَّ سَادَ الصَّمْتُ كَالطِّيفِ الْحَزِينِ
وَتَسَمَّعْتُ لِأَقْدَامِ السِّنِينِ
وَهِيَ تَخْطُو خُطْوَةَ الشَّيْخِ الرَّزِينِ
هَامَسَاتِ فِي الرَّمَالِ مُنْشِدَاتٍ فِي جَلَالِ كُلِّ شَيْءٍ لِلزَّوَالِ وَالشَّتَاتِ

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يا ذُكْرِيَايَ البعيدة
يا أُمْنِيَايَ الشَّريدة
إِلَى قَبْلِ الصَّبَاحِ
إِلَى مَنْ كُلِّ صَوْبِ
فَهْنِمِي حَوْلَ قَلْبِي
فَانْتَ وَخِي وَزَادِي
غَفَلْتُ يَا ذُكْرِيَايَ
بَيْنَ اصْطِخَابِ الْحَيَاةِ
وَكُلِّ جَارٍ قَوِيٍّ! ^(٢)
سَهْوَتِ يَا أُمْنِيَايَ
إِلَى مَرَاقِي الْحَيَاةِ
بِحَاضِرِ مَاتِيٍّ

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجار: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتي البعيدة

يا أمنياتي الشريدة

في عالم الأشباح

في عالم الأرواح

إلى قبل الصّباح

الليل أرخى سُتُورَه

والبدرُ أرسلَ نورَه

في هُدأة كالحلود

كبِسْمَة من وَليد

راضي المحيّا سعيد

وخَفَقَ الكونُ خَفَقاً

وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً

قد ضَرَمَتْهُ الليالي

بذكرياتي الخوالي

وأمنياتي الغوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ

ورُضْتُ نَفْسي فلانتْ

ضَاعَتْ ضِياعُ الإياسِ

من بَعْدِ طولِ الشّماسِ

وبعدِ صعبِ المراسِ

ورفرتْ ذكرياتٌ

ونصّرتْ أمنياتٌ

أثرنَ قلبي حيناً

ذبُلْنَ كالزهرِ حيناً

فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتي البعيدة

يا أمنياتي الشريدة في

في عالم الأشباح

عالم الأرواح

إلى قبل الصّباح

فالفجرُ في الكونِ لآح

والصبحُ يُذَكِّي الصياح

ورفرفي في فؤادي

فأقبلي في انفرادي

* * *

الإنسان الأفير*

صَحَا ذَاتَ يَوْمٍ حِينَ تَصْحُو الْبَوَاكِرُ وَتَسْتَيْقِظُ الدُّنْيَا وَتَجْلُو الدِّيَاجِرُ^(١)
وَيُشْرِقُ وَجْهُ الصُّبْحِ فِي غَمْرَةِ الدَّجَى كَمَا تَشْرِقُ الْأَمَالُ وَالْيَأْسُ غَامِرُ
وَتَضْطَرِبُ الْأَنْفَاسُ خَفْضَهَا الْكَرَى وَتَخْفِقُ أَرْوَاحٌ وَتَذْكُو مَشَاعِرُ
وَحِينَ يَعِجُّ الْكَوْنُ بِالصَّوْتِ وَالصَّدَى وَبِالْكَدَحِ تُزْجِيهِ الْمُنَى وَالْمَخَاطِرُ
وَبِالصَّرْخَةِ الْهُوجَاءِ وَالضَّحْكَةِ الَّتِي يَضُجُّ بِهَا الْأَحْيَاءُ، وَالْدَّهْرُ سَاخِرُ
* * *

وَلَكِنَّهُ لَمْ يُلَفِّ بِالْكَوْنِ نَأْمَةً تَنِمُّ عَلَى حَيٍّ، وَلَمْ يَهْفُ خَاطِرُ
فَفِي نَفْسِهِ مَا يُشَبِّهُ الْمَوْتَ سَكْرَةً وَمِنْ حَوْلِهِ مَوْتُ نَمْتِهِ الْمَقَابِرُ
جَلَالٌ كَأَنَّ اللَّهَ أَطْلَعَ وَجْهَهُ عَلَيْهِ؛ فَقَرَّتْ فِي النَفُوسِ الضَّمَائِرُ
وَصَمَّتْ فَمَا فِي الْكَوْنِ صَوْتُ وَلَا صَدَى وَلَا خَفَقَةً يُحْيِي بِهَا الْكَوْنُ شَاعِرُ
فَأَدْرَكَ فِي أَعْمَاقِهِ عَنْ بَدِيهَةٍ نَهَايَةَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْمَصَائِرُ
* * *

وَمَا هَمَّ بِالتَّنْقِيبِ عَنْ أَيِّ صَاحِبٍ فِي نَفْسِهِ يَأْسٌ مِنَ النَّفْسِ صَادِرُ
وَلَكِنَّهُ أَلْقَى بِهَا عَبْرَ نَظَرَةٍ عَلَى الْكَوْنِ وَالْأَيَّامِ وَهِيَ دَوَائِرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدِّيَجُور: ذ الظلام والجمع : دياجر

٢- عَجَّ يَعِجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكَّامٌ وَأَشْلَاءٌ وَأَطْلَالٌ نَعْمَةٌ وَبُؤْسٌ، وَشَتَّى مَا حَوَتْهُ الْأَدَاهِرُ
وَفِي نَفْسِهِ مِنْ مِثْلِهَا كُلُّ ذَرَّةٍ فَهَاتِيكَ أَشْلَاءٌ وَهَذِي خَوَاطِرُ
تَجَمَّعَ فِيهَا مَا تَفَرَّقَ فِي الْوَرَى وَمَا ضَمِنَتْ تِلْكَ السَّنُونُ الْغَوَابِرُ
خِلَاصَةٌ أَعْمَارٍ وَشَتَّى تَجَارِبٍ وَمَجْمَعُ أَشْوَاقٍ بِهَا الْكَوْنُ حَائِرُ
* * *

وَأَوْغَلَ فِي إِطْرَاقَةٍ مِلْؤُهَا الْأَسَى فَمَرَّتْ عَلَيْهِ الذِّكْرِيَّاتُ الْعَوَابِرُ
تَحْتَ خُطَاهَا مَوْكِبًا إِثْرَ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَاوَرَتْ فِيهَا الْمَآسَى الْبَشَائِرُ
وَأَقْبَلَتْ الْأَمَالُ وَالْيَأْسُ حَوْلَهَا تُمَزِّقُهَا أَنْيَابُهُ وَالْأَظَافِرُ
وَجَمَعَ فِيهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ رَابِطٌ مِنَ النَّفْسِ مَشْدُودٌ إِلَيْهَا مُخَامِرُ^(٢)
وَشَتَّى عِبَادَاتٍ وَشَتَّى عَقَائِدٍ يُؤَلِّفُهَا الْإِيمَانُ وَهِيَ نَوَافِرُ
وَفِيهَا مِنَ الْمَجْهُولِ سِرٌّ وَرُوعَةٌ وَرَغْبَةٌ مُحْرُومٍ وَخَوْفٌ مُسَاوِرُ
وَقَدْ كَانَ فِي الْمَجْهُولِ مَطْمَحٌ كَاشِفٌ تُحَجِّبُهُ عَنْ طَالِبِيهِ السَّتَائِرُ
فِيَالَيْتَهُ يَذَرِي بِمَا خَلْفَ سِتْرِهِ فَيَخْتَمُ سَفَرَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ظَافِرًا!^(١)

* * *

١ - مُخَامِرٌ : خَامَرَ الشَّيْءَ : مَرَّاسَهُ وَخَالَطَهُ وَخَامَرَ الْمَكَانَ : لَزِمَهُ وَأَقَامَ بِهِ.
٢ - مُسَاوِرٌ : وَاثِبٌ ثَائِرٌ ، يُقَالُ : سَاوَرْتَهُ الْهُمُومُ وَالْمُحَاجَسُ وَالْأَفْكَارُ : صَارَعْتَهُ.
٣ - سَفَرَ النَّاسِ : كِتَابُ النَّاسِ

وعادت له الآمال إذ جدّ مطمَحٌ يُرجى، وأذكاه الخيال المغامر
لعل وراء الكون مفتاح لغزه وطلسم ما ضمت عليه السرائر
وما هي إلا ومضة تكشف الدجى ويخلع هذا الجسم والجسم جائر
ولولا موثيق الحياة تشده إليها لأمضى عزمه وهو صابر
وخلف هذا الجسم للموت والبلى وأشرق رُوحاً حيث تصفو البصائر
وعاوده حب الحياة لذاتها وقد أجفلت تلك النوازي الكوافر
وهاجت به الأطماعُ حب امتلاكها له وحده والناس ميّت ودائر
فعاد إلى الدنيا العريضة مالكاً ولا من يلاحيه ولا من يشاطر!
ولكنه لم يستطع ملّكه الذي تمحّض لا يسعى به أو يغامر
وما فيه من كد ولا من تسابق ولا سابق في الكادحين وقاصر
وكيف يطيب العيش إلا تراحمًا فيربح مجدوداً ؛ ويخسر عاثراً؟!

هنالك دوت في السماكين صيحة دعاء لعزرائيل والكون سادر
((برمت بهذا الكون همدان موحشاً برمت بملك ربّه فيه خاسر))
((فهيا إذن للموت أروح رحلة لتكشف أستار ويهدأ ثائر))

وفيما يعاني سكرة الموت هينمت^{٢٧} إلى مسمعيه هاتفات سواحر
((هو السر أن تهفو إلى السر لهفة وأن تشتروا الآتي بما هو حاضر))!

إلى الشاطئ المجهول*

تَطِيفُ بِنَفْسِي وَهِيَ وَسَنَانَةٌ سَكْرَى هَوَاتِفُ فِي الْأَعْمَاقِ سَارِيَةٌ تَتَرَى^(١)
هَوَاتِفُ قَدْ حُجِّبَتْ؛ يَسْرِرِينَ خَفِيَّةً هَوَامِسُ لَمْ يَكْشِفْنَ فِي لَحْظَةٍ سِتْرًا
وَيَعْمُرْنَ مِنْ نَفْسِي الْمَجَاهِلَ وَالْدُّجَى وَيُجَنِّبْنَ مِنْ نَفْسِي الْمَعَالِمَ وَالْجَهْرَ
وَفِيهِنَّ مَنْ يُوحِيَنَّ لِلنَّفْسِ بِالرِّضَا وَفِيهِنَّ مَنْ يُلْهِمَنَّهَا السُّخْطَ وَالنَّكَرَ
وَمَنْ بَيْنَ هَاتِيكَ الْهَوَاتِفِ مَا اسْمُهُ حَيْنٌ، وَمِنْهُنَّ التَّشَوُّقُ وَالذِّكْرَى!
أَهْبَنَ بِنَفْسِي فِي خُفُوتٍ وَرَوْعَةٍ وَسِرْنَ بِهَمْسٍ، وَهِيَ مَاخُودَةٌ سَكْرَى
سَوَاحِرُ تَقْفُوهُنَّ نَفْسِي وَلَا تَرَى مِنْ الْأَمْرِ إِلَّا مَا أَرَدْنَ لَهَا أَمْرًا!
إِلَى الشَّاطِئِ الْمَجْهُولِ، وَالْعَالَمِ الَّذِي حَنِتْ لِمَرَّاهِ؛ إِلَى الضَّفَةِ الْأُخْرَى
إِلَى حَيْثُ لَا تَدْرِي إِلَى حَيْثُ لَا تَرَى مَعَالِمَ لِلْأَزْمَانِ وَالْكُونِ تُسْتَقْرَأُ.
إِلَى حَيْثُ ((لَا حَيْثُ)) تُمَيِّزُ حُدُودَهُ! إِلَى حَيْثُ تَنْسَى النَّاسَ وَالْكُونِ وَالذَّهْرَ
وَتَشْعُرُ أَنَّ (الْجُزْءَ) وَ(الْكُلَّ) وَاحِدٌ وَتَمَزِجُ فِي الْحَسِّ الْبِدَاهَةَ وَالْفِكْرَ
فَلَيْسَ هُنَا (أَمْسٌ) وَلَيْسَ هُنَا (غَدٌ) وَلَا (الْيَوْمُ) فَالْأَزْمَانُ كَالْحَلَقَةِ الْكُبْرَى
فَلَيْسَ هُنَا (غَيْرٌ) وَلَيْسَ هُنَا (أَنَا) هُنَا الْوَحْدَةُ الْكُبْرَى الَّتِي اخْتَجَبَتْ سِرًّا

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى: متتابعة.

خَلَعْتُ قِيُودِي؛ وَانْطَلَقْتُ مُحَلَّقًا وَبِي نَشْوَةُ الْجَبَّارِ يَسْتَلْهُمُ الظُّفْرَا
أَهْوَمُ فِي هَذَا الْخُلُودِ وَارْتَقَى وَأَسْلُكَ فِي مَسْرَاهُ كَالطَّيْفِ إِذَا أَسْرَى
وَأَكْشَفُ فِيهِ عَالَمًا بَعْدَ عَالَمٍ عَجَائِبَ مَا زَالَتْ مَمْنَعَةً بِكُرَا
لَقَدْ حَجَبَ الْعَقْلُ الَّذِي نَسْتَشِيرُهُ حَقَائِقَ جَلَّتْ عَنْ حَقَائِقِنَا الصُّغْرَى
هُنَا عَالَمُ الْأَرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الْحِجَابَ! فَتَغْنَمَ فِيهِ الْخُلْدَ وَالْحَبَّ وَالسَّحْرَا

الشاعر ضي وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكون عند مغرب الشمس، وقبل طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذة غريبة ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غير محدودة ؛ ولكنها تُثير فيه الشوق لمعاودتها كَرَّةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرق في الهزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حمى الموتى، مدفوعاً بشعورٍ غامض، لا يبالي وحشة مثل هذه الأماكن ، في جُحِّ الليل المُدْلهم!

وسار خطوات، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتاً من وراء الحفائر تتناجى، ثم توجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمع الصوت ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتاً واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعراً؛ بعد أن فقد كثيراً من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطيع عنها التعبير.

مَنِ الطَّارِقُ السَّارِي خِلَالَ المَقَابِرِ كخَفَقَةِ رُوحٍ فِي الدُّجَنَاتِ عَابِرٌ^(١)؟
مَنِ الوَجَلُ المَذْعُورُ فِي وَحْشَةِ الدُّجَى تَقْلُبُهُ الأَوْهَامُ فِي كُلِّ خَاطِرٍ؟
يَنْقُلُ فِي تِلْكَ الدِّيَاجِرِ خَطْوَهُ وَيَخْطُرُ فِي هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحَازِرِ؟
وَقَدْ سَكَنْتَ مِنْ حَوْلِهِ كُلُّ نَآمَةٍ سِوَى قَلْبِهِ الخَفَاقِ بَيْنَ الدِّيَاجِرِ؟
وَعَشَّاهُ رَوْعُ المَوْتِ، وَالمَوْتُ رَوْعَةٌ تَغْشَى، فَيَعْنُو كُلُّ نِكْسٍ وَقَادِرٍ؟

* * *

«هُوَ الشَّاعِرُ المَلْهُوفُ لِلْحَقِّ وَالهُدَى وَلِلسِّرِّ لَمْ يَكْشِفْهُ ضَوْءٌ لِنَظَرٍ!
تَحْيَرُ فِي سِرِّ الحَيَاةِ وَمَا اهْتَدَى إِلَيْهِ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِتِلْكَ الظُّوَاهِرِ
وَسَاءَلَ عَنْهُ الكَوْنُ وَالكَوْنُ حَائِرٌ يَسِيرُ كَمَعْصُوبٍ بِأَيْدِي المَقَادِرِ!
وَسَاءَلَ عَنْهُ المَوْتُ، وَالمَوْتُ سَادِرٌ وَسَاءَلَ عَنْهُ الشَّعْرُ فِي حَنْقٍ ثَائِرٍ!^(٢)
وَسَاءَلَ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمْ يُفْزَ بِشَيْءٍ وَلَمْ يَرْجِعْ بِصَفَقَةٍ ظَافِرٍ

* * *

أَفِي هَذِهِ الأَجْدَاثِ طَلَسَمُ سِرِّهِ لَعَلَّ! فَمَنْ يَدْرِي بِسِرِّ المَقَابِرِ؟
أَلَمْ يَخْلَعْ المَوْتَى الأَحَابِيلَ كُلَّهَا؟ أَحَابِيلُ أَوْهَامِ الحَيَاةِ الجَوَائِرِ!^(٣)
أَلَمْ يَتْرَكُوا الدُّنْيَا الغَرُورَ لِأَهْلِهَا؟ وَيَسْتَوْتِقُوا مِمَّا وَرَاءَ المَصَائِرِ؟

١- الدُّجَنَاتِ: الدُّجَنَةُ: السَّوَادُ أَوْ الظُّلْمَةُ

٢- سَادِرٌ: غَيْرُ مَبَالٍ بِشَيْءٍ.

٣- الأَحَابِيلُ: مَفْرَدُهَا الأَحْبِيُولُ، وَالأَحْبُولَةُ: المَصِيدَةُ، وَالمَرَادُ هُنَا المَظَاهِرُ الخَادِعَةُ.

ألا تمهس الأرواح بالسرِّ إن سرى إليها؟ ألا تُهدي اليقين لحائر؟
أجل! ربّما تُعطي الجواب لسائل ورُبّما تجلّو المصير لشاعر!
* * *

وفيما يُناجي في حمى الصمت نفسه تسمع همساً من خلال الحفائر
«من الطارق السّاري خلال المقابر فأقلق منّا كلّ غاف وسّاهر؟»
«أما يقنع الأحياء بالرحب كله؟ أيا ويح للأحياء صرعى المظاهر»
«تركنا لهم دُنياهم وديارهم ولم يدعونا في حمى غير عامر»
* * *

وقال فتى منهم حديث قدومه بنعمة إشفاق، ونبرة ساخر!
«لعلّ الذي قد دبّ في ذلك الحمى وأيقظ في أحشائه كلّ سادر»
أخو صبرة، يهفو إلى قبر ميّت له عنده وجدّ وتحنان ذاكر»
«يقربّه منها التذكّر والهوى وتبعده عنها غلاظ السّتائر»
«وما أخدع الحبّ الذي في ديارهم! يُغشى على أبصارهم والبصائر»
وقالت لهم أمّ وفي صوتها أسى ونبرة تحنان، وكتمان صابر
«ألا ربّما كانت ثكولاً حزينة على فلذة من قلبها المتناثر»
«وربّما كانت عجوراً تأيّمَتْ وضاقَتْ بدهر ناضب العون غادر»
* * *

وقَدْ ذَهَبُوا فِي حَدْسِهِمْ كُلَّ مَذْهَبٍ وفيما حَوَتْهُ نَفْسُهُ مِنْ مَشَاعِرِ!
وَجَلَجَلَ صَوْتُ الشَّيْخِ يَدْوِي كَأَنَّمَا هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظاهرِ
«مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي خِلَالَ المَقَابِرِ فأقلقِ مِنَّا كُلَّ غَافٍ وَسَاهِرِ!»
* * *

فَقَالَ أَخُو الأَحْيَاءِ؛ وَالْقَلْبُ خَافِقُ مِنَ الوَجَلِ الأَخَازِ، فِي صَوْتِ حَاسِرِ
«أَنَا الْحَيُّ لَمَّا يَدْرِ أسبابَ خَلْفِهِ أَنَا المُدْلِجُ الحِيرَانُ بَيْنَ الخَوَاطِرِ»
دَلَفْتُ إِلَى وَادِي المَنَايَا لَعَلَّنِي أَفْوزُ بِسَرٍّ فِي حَنَائِيهِ غَائِرِ؟
أَمَّا تَعْلَمُونَ السَّرَّ فِي خَلْقِ عَالَمٍ يَمُوتُ وَيَحْيَا بَيْنَ حَيْنٍ وَآخِرِ؟
وَتَكْنُفُهُ الأَحْدَاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَرْكَبُ لِلغَايَاتِ شَتَّى المَخَاطِرِ؟
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ غَايَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ مَسْهُوقٌ إِلَى تَحْقِيقِ رَغْبَةٍ قَاهِرِ!
ضَنِينٌ بِمَا يَبْغِيهِ لَيْسَ يُبِيحُهُ لِسَائِلِهِ عَمَّا وَرَاءَ الظُّوَاهِرِ
وَمَاذَا لَقِيتُمْ بَعْدَ مَا قَدْ خَلَعْتُمُو قِيُودَ اللَّيَالِي الخَادِعَاتِ المَوَاطِرِ؟
وَمَاذَا وَرَاءَ الغَيْبِ؛ وَالغَيْبُ مُطَبَّقُ؟ وَهَلْ يَتَجَلَّى مَرَّةً لِلنَّوَاطِرِ؟
سؤالُ أَخِي شَوْقٍ، وَقَدْ طَالَ شَوْقُهُ وَحَيْرَتُهُ، بَيْنَ الشُّكُوكِ الكَوَافِرِ
* * *

أَرَيْتَ لَوْ أَنَّ الهَوْلَ صَوَّرَ مَنْظَرًا تُجَلِّلُهُ الأَخْطَارُ جَدَّ غَوَامِرِ؟
كَذَلِكَ سَادَ الصَّمْتُ بَيْنَ الحَفَائِرِ وَرَانَ عَلَى أَرْوَاحِهِمُ والضَّمَائِرِ
وَأَذْهَلَ هَاتِيكَ النَفُوسَ فَخَفَضَتْ مِنَ البَهْرِ^{٩٢} والإِعيَاءِ دَقَّاتِ طَافِرِ!

وَجَلَجَلَ صَوْتُ الشَّيْخِ يَدْوِي كَأَنَّهُ
أَيَا وَيْلَهَا تِلْكَ الْحَيَاةَ وَأَهْلَهَا
وَتَطْلُبُ أَسْبَابَ الشَّقَاءِ لِنَفْسِهَا!
لَقَدْ أَغْمَضَ الْمَوْتُ الرَّحِيمُ جَفُونَنَا
نَسِينَا سَوْأَالاً؛ لَمْ يَزَلْ كُلُّ كَائِنٍ
نَسِينَاهُ فَارْتَحْنَا مِنَ الْحَيَرَةِ الَّتِي
وَهَا أَنْتَ ذَا تُذَكِّيه. يَا لَكَ جَائِراً
وَهَا نَحْنُ وَدَّعْنَا هَدُوءاً وَهِينَةً
أَرَيْتَ لَوْ أَنَّ الْهَوْلَ صَوَّرَ مَنْظِراً
كَذَلِكَ سَادَ الصَّمْتُ بَيْنَ الْحَفَائِرِ
وَأَذْهَلَ هَاتِيكَ النَفُوسَ فَخَفِضْتُ

* * *

وَعَادَ أَخُو الْأَحْيَاءِ يَعْطُو بِحَسْرَةٍ
لَقَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ مَا مَلَّ
فَأَلْفَى سَرَاباً ثُمَّ لَا يَنْقَعُ الصَّدَى
فَقَدْ كَانَ خَيْراً أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْمُنَى
وَيَا لَيْتَ هَذَا الْمَوْتُ يُسْرِعُ خَطْوَهُ
فَيَطْوِي حَيَا عُمُرِهِ رَبْحَ خَاسِرٍ!

* التجارب

كثيراً ما يَترَمُّ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخِطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقتَه كأنما وُلد في لحظة، ولكنه لم يستطعْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكِيزَةً يَرَكُنُ إليها، وودَّ لو أن الأقدار وهبته ماضياً سعيداً؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغرْبته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤْسَ ماضيه الحفيلِ الجوانبِ بكل مصابٍ فادِحِ العِبءِ صائبٍ! ^(١)
وضاق به صدرًا على طولِ صُحبةٍ تُمِلُّ، ويا بُؤْسَ الأسي من مُصاحبٍ!
وودَّ لو أن الدهرَ يُعْفِيه بُرْهةً من الغابرِ المملولِ جَمِّ النوائِبِ
فأصغَتْ له الأقدارُ في أُمْنِيَّاته على أنْها لم تُصْغِ يوماً لِطالبٍ
وأعفَتْه من ماضيه حتى كأنَّه وليدٌ خَلِيَّ القلبِ من كلِّ نائِبٍ!

* * *

نَضًا عَنْهُ أَعْبَاءُ السَّنينِ الغوارِبِ ونَحَى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ ^(٢)
وعَادَ طليقاً لا يُعوِّقُ خطوَه مَرَّاسٌ؛ ولا يَشْنِيهِ خَوْفُ العواقِبِ

* نشرت: ١٩٣٤

١ - نضًا الشيء: نزعَه وألقاه.

٢ - المَرَّاس: ذو الشدة العظيمة.

وَحُفِّضَ صَوْتُ الذِّكْرِيَّاتِ أَوْ أَمَّحَى وَجَلَّجَلَ كَالنَّاقُوسِ صَوْتُ الرِّغَائِبِ
وَأَضَى وَلِيدُ الْيَوْمِ فِي مَيْعَةِ الصَّبَا جَدِيداً بِدُنْيَاهُ؛ جَدِيدَ الْمَطَالِبِ^(١)
بَعِيداً عَنِ الْمَاضِي الَّذِي آدَاهُ الْأَسَى وَحَفَّتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ^(٢)

* * *

وَلَكِنَّهُ أَلْفَاهُ أَسْوَانَ مُوحِشاً كَمَا أُفْرِدَ الْإِنْسَى مِنْ كُلِّ صَاحِبِ
وَأَلْفَاهُ فِي هَذِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهُ غَرِيبٌ عَرَا، فِي عَالَمٍ مِنْ غَرَائِبِ^(٣)
وَأَلْفَاهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ إِذَا هَفَا إِلَى الْأَوْجِ لَمْ يُسْعِفْهُ عَزْمُ الْمُغَالِبِ
وَإِنْ هَمَّ لَمْ يُبْصِرْ لَهُ مِنْ رَكِيزَةٍ تَضَاعَفَ عِنْدَ الْوَثْبِ جَهْدُ الْمَوَائِبِ
وَقَدْ أَبْصَرَ الْآمَالَ عَرَجَاءَ لَمْ تَجِدْ لَهَا سَنَداً مِنْ ذِكْرِيَّاتِ ذَوَاهِبِ
فَعَادَ إِلَى الْأَقْدَارِ يَشْكُو صَنِيعَهَا وَيُوسِعُهَا فِي شَكْوِهِ عَثَبَ عَاتِبِ!
أَمَا يَسْتَطِيعُ الدَّهْرُ - لَوْ شَاءَ نَصْفَةً لَهُ - عَوْضاً مِنْ غَابِرٍ مِنْهُ خَائِبِ
بِمَاضٍ سَعِيدٍ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ الْأَسَى! فَيَحْيَا عَلَى رُكْنَيْنِ: آتٍ وَذَاهِبِ!

* * *

فَأَصْغَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ فِي أُمْنِيَّاتِهِ عَلَى أَهْمَا لَمْ تُصْغِ يَوْمًا لِطَالِبِ!
وَأَعْطَتْهُ أَنْقَى صَفْحَةٍ فِي كِتَابِهَا لِأَسْعَدِ مَخْلُوقٍ وَأَهْنَأِ رَاغِبِ!

* * *

١ - آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله

٢ - آداه: قوّاه وأعانه

٣ - عرا: من العرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً لما منَحْتَه مِنْ عَزِيزِ المَوَاهِبِ
وألفاه لم يَكْشِفْ خَبِيئَةَ نَفْسِهِ لَذيكَ المَاضِي الَّذِي لَمْ يُصَاحِبِ!
وأَبْصَرَ بالآمالِ حَيرَى كأنما تَسْأَلُ عَنْ دَاعٍ لَهَا جَدُّ دَائِبِ
دَعَاها فَلَمَّا أَقْبَلَتْ مِنْ سَمَائِهَا رَأَتْ غَيْرَهُ فِي غَفْلَةٍ غَيْرِ رَاقِبِ^(١)
وما الأملُ «البِشَامُ» إِلَّا رَغِيَّةٌ لِنَفْسٍ تَرى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضِبِ»

* * *

فَعَادَ إِلَى الأَقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَهَا عَلَى رَجْعِ مَاضِيهِ بِحَسْرَةٍ تَائِبِ!
أَجَلَ عَادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التَّجَارِبِ وَأَيَّامِهِ الأَوَّلَى الظَّمَاءِ السَّوَاعِبِ^(٢)
أَجَلَ ذَلِكَ المَاضِي الَّذِي هُوَ بَضْعَةٌ مِنْ النَفْسِ دُسَّتْ فِي الحِشَاوِ التَّرَائِبِ^(٣)

* * *

فَأَصْغَتْ لَهُ الأَقْدَارُ فِي أُمْنِيَّاتِهِ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تُضْغِ يَوْماً لِطَالِبِ!
وَعَادَ إِلَى دُنْيَاهُ مِنْ بَعْدِ غُرْبَةٍ وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِآيِبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواعب: مفرداها ساعبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسَّتْ في القلب والصدر.

فبيئة نفسي*

خبيئة نفسي؛ قد غفا الكون فاسفري وكوني سَميري، بعد أن نام سُمري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقها الكرى وهومٌ في جوفِ الدجى رُوحٌ خَيْرٌ^(١)
يُطيفُ على العانين بالعطفِ والرِّضا ويغمرُ بالإغفاءِ رأسَ المفكرِ
وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها عوالمٌ في وادي المني لم تُصوّرِ
فلا صوتٌ إلا خَفْقَةٌ من جوانحٍ كما خَفَقَتْ للضوءِ عينُ المصوّرِ
ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياةِ وأهلها سوى طيفها السَّاري بوادي التَّذكُّرِ

* * *

خبيئة نفسي من عهودٍ سحيقةٍ ومن جوفِ آبادٍ مضتْ قبل مولدي!
أَحْسُك في أغوارِ نفسي ولا أرى مُحَيَّاكَ إلا كالحَيالِ المُشَرَّدِ
علمتُكِ حتى أنتِ مِنِّي بُضْعَةٌ جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْهَدِ
ويا طالما أخلفتِ لي كلَّ موعِدٍ ويا طالما ألقاكِ في غيرِ موعِدِ!
عجبتُ فكم من نفرةٍ تنفُرينها على فرطِ ما تُبدينه من تَوَدُّدِ!
حديثُك من نفسي قريبٌ؛ وإنما إخالُك في وادٍ من التَّيه سَرْمَدِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنَّقها: كدَّرها.

خبيئة نفسي، ما ترى أنت؟ إنني أريدك في جو من الضوء معلّم
 أعصرُك الإيمان والطهر أصله وإلا إلى الكفران والرجس منتم؟
 وفي أي واد أنت تسرين خلسة؟ ومن أي عهد في الجهالات مبهم؟
 وكم فيك من نصر، وكم من هزيمة تجاوزتا في حشدك المترحم
 وكم فيك من يأس؛ وكم فيك مأمل وكم من ترد، أو وثوب تقحم
 وكم فيك من حب، وكم فيك بغضة ومن رُشد إلهام، إلى خبط مظلم

* * *

خبيئة نفسي في ثناياك معرض لما لقيته الأرض في الجولان
 وفيك من الآباد سرّ وروعة وفيك صراعات بكلّ زمان^(١)
 وفيك التقى الإنسان من عهد خلقه وفيك التقى الرّوحى والحيوانى
 وإنك طلسم الحياة جميعها وصورتها الصغرى بكلّ مكان^(٢)
 أبيني إذن عن ذلك العالم الذي تضمّنته من صورة ومعانٍ
 أبيني أطلع في ثناياك ما مضى وما هو آتٍ من رؤى وأمان

* * *

١ - الآباد: مفردھا الأبد وهو الدهر .

٢ - الطلسم: السرّ الغامض.

الفطيفة*

مِنْ خِلَالِ الظُّلَمَاءِ فِي بَهْمَةِ اللَّيْلِ تَمْشَتْ كَالْحَيَّةِ الرَّقُطَاءِ
تُوقِظُ الْجِسْمَ وَالْغَزِيرَةَ بِالْهَمْسِ وَتَطْفِئُ عَلَى الْحِجَا وَالذِّكَا
وَهِيَ مِنْ خَشْيَةِ الضَّمِيرِ تَوَارِي فِي زَوَايَا الْمِيُولِ وَالْأَهْوَاءِ
فَإِذَا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شِعَاعٌ أَرْجَفَتْ مِنْهُ، وَانْزَوَتْ فِي التَّوَاءِ
وَإِذَا خَيَّمِ الظُّلَامُ تَرَاءَتْ فِي احْتِرَاسٍ مِنْ أَعْيُنِ الرَّقَبَاءِ!

* * *

لَحْظَةً تَلُكُ ثُمَّ خَيَّمِ صَمْتُ وَظُلَامٌ؛ فَمَا تَرَى مِنْ ضِيَاءِ
فَمَضَتْ تُضْرِمُ الْغَرِيزَةَ نَاراً وَتُثِيرُ الشُّوَاظَ بَيْنَ الدِّمَاءِ
الْبِدَارِ الْبِدَارِ يَا أَيُّهَا الْجِسْمُ — مُمْ شِفَاءً مِنَ الطَّوَى وَالظُّمَاءِ! ^(١)

* * *

وَتَوَارِي (الْإِنْسَانِ) حِينَ تَبْدَى (حِوَانٌ) ذُو شِرَّةٍ نَكَرَاءِ
وَإِذَا بِالْخَطِيئَةِ السَّوْءِ نَشَوَى بَانْتِصَارٍ، نَالَتْهُ فِي الظُّلَمَاءِ!

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥
١- البدار: الإسراع. الطوى والظماء: الجوع والعطش.

* القطيع

لَظَى الشَّمْسِ ؟ أَمْ فَوَّارَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ تَسِيلُ شَطَايَاهَا، وَتَنْضَحُ بِالدَّمِ
هُوَ الْقَيْظُ قَدْ فَازَتْ يَنَابِيعُ وَقْدِهِ وَفَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِينَ فِي كُلِّ مَجْثَمٍ
وَضَاقَ رُواقُ الظِّلِّ عَنْهَا وَأَرْسَلَتْ مِنَ الشَّمْسِ أَرْسَالَ إِلَى كُلِّ مُبْتَلِمٍ
فَمَالَ إِلَى الرَّاعِي الشَّطُوطِ قَطِيعُهُ يَبْتَ رَجَاءً فِي تُغَاءٍ مُتَمِّمٍ
وَنَاجَاهُ، وَيَحِ الظِّلَّ إِنْ نَحْنُ لَمْ نَمَلْ إِلَيْهِ، وَيَا بُؤْسَاهُ سَعِيًّا لِمَغْنَمٍ!
عَيْنَا بِهَذَا الضَّرْبِ فِي كُلِّ حَرَّةٍ وَرَاءَ ذِمَاءٍ مِنْ شَرَابٍ وَمَطْعَمٍ^(١)
وَمَا أَنْتَ - لَوْ تَدْرِي - بِرَابِحِ صَفْقَةٍ وَلَا نَحْنُ؛ إِنَّا كُلُّنَا ذَلِكَ الْعَمَى!
نَسِيرُ بِصَحْرَاءِ الْحَيَاةِ، وَلَا نَرَى سِوَى ظِلَّنَا، يَطْفِئُ عَلَى كُلِّ مَعْلَمٍ
يُسَخِّرُنَا مَنْ لَا نَرَاهُ، لَغَايَةٍ يَرَاهَا، وَلَمْ نُؤْذَنْ بِهَا أَوْ نُفْهَمَ!
فِيَا أَيُّهَا الرَّاعِي هَدِوْءًا وَهَيِّنَةً إِلَى الظِّلِّ نَرْتَعْ لَحْظَةً أَوْ نُهَوِّمَ^(٢)
فَمَالَ بِهِ الرَّاعِي إِلَى ظِلِّ دَوْحَةٍ ظَلِيلٍ، وَعُشْبٍ نَابِتٍ قُرْبَ جَدُولٍ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١ - الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذمء: البقية.

٢ - النهوم: النوم الخفيف.

تَنَاهَى إِلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ وَقْدَةِ اللَّظَى وَثَابَ إِلَيْهَا الظِّلُّ فِي غَيْرِ مَعْجَلٍ
وَأَلْقَى عَصَاهُ، ثُمَّ أَلْقَى بِجَسَمِهِ وَقَدْ ضَافَهُ بِالْأَيْنِ طَوْلُ التَّنْقِلِ^(١)
وَرَاغَ إِلَى الْمَاءِ الْقَطِيعُ كَأَنَّمَا تَدَهَّدَهُ جَرَفٌ مِنْ بَطِيحٍ مُزَلْزَلٍ
يَعْبُ وَيَسْتَسْقِي بِشَوْقٍ وَلَهْفَةٍ وَيُفَعِّمُ رِيًّا مِنْ مُعَلٍّ وَمَنْهَلٍ
فَلَمَّا ارْتَوَى آوَى إِلَى الظِّلِّ مُجْهِدًا وَقَدْ خَلَّ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّ مَفْصَلٍ
فَنَامَ عَلَى الْأَعْشَابِ، مَا إِنْ تُرَى لَهُ رُؤُوسٌ، فَقَدْ دُسَّتْ بِأَحْنَاءٍ مَدْخَلٍ
تَوَحَّدَ جِسْمُ الشَّاءِ كَالزَّرْدِ التَّقْتِ مَدَاخِلُهُ، وَأَنْسَابَ جَمِّ التَّسْلُسِلِ^(٢)
كَأَنَّ شَاءَ ذِيَاكَ الْقَطِيعِ تَوَحَّدًا فَأَغْفَلَ ذَاكَ الرَّأْسَ رَمَزَ التَّعْقِلِ
وَيَا طَالَمَا قَدْ فَرَّقَ النَّاسَ رَأْسُهُمْ وَمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ طِمَاحٍ وَمَأْمَلٍ

* * *

وَطَافَتْ عَلَى الرَّاعِي رُؤَى عَسَجَدِيَّةٌ وَجَالَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ كُلِّ مَجَالٍ
لَقَدْ هَبَطَ الْوَادِي فَأَلْقَاهُ جَنَّةٌ بِمَا فِيهِ مِنْ خَفْضٍ وَهَدَاةٍ بَالٍ
وَمَاءٍ غَزِيرٍ النَّبْعِ سَلْسَالٍ مَنْهَلٍ يَحْفُ بِهَ عُشْبٌ وَفِيضٌ ظِلَالٍ
أَلَا إِنَّهُ هَذَا النِّعِيمُ، وَإِنَّمَا هِيَ الْجَنَّةُ الْفَيْحَاءُ خَلَقُ خَيَالٍ!
وَقَدْ غَادَرَ الْوَادِي إِلَى الْغَابِ، يَالَهُ مِنَ الْخَوْفِ فِي هَوْلِ بِهِ وَصِيَالٍ^(٣)

١ - الأَيْن: الإعياء والتعب.

٢ - الزُّرْد: حِلَقُ الدَّرْع، المراد أن الشَّاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حِلَق.

٣ - الصِّيَال: غَالِبُهُ وَنَافِسُهُ.

يُزَجْر فِيهِ الْوَحْشُ مِنْ كُلِّ فَاتِكٍ قَدْ اخْتَلَطَتْ أَصْوَاتُهُ كَعَوَالِ
وَتَعْصِفُ فِيهِ الرِّيحُ، يَاهُولُ عَصْفُهَا زَيْرُ أُسُودٍ، أَوْ فَحِيحُ صِلَالٍ^(١)
فَهَبَّ مَفِيقًا، يَسْتَبِينُ حَيَاتَهُ لِيُوقِنَ أَنْ لَمْ تَصْطَدَمْ بُوْبَالِ
فَأَلْفَى قَطِيعَ الشَّاءِ يَدْعُوُ فَصِيلَهُ إِلَى الثَّدْيِ، فِي صَوْتٍ يَجْلَجِلُ عَالِ
وَأَطْرَقَ يَسْتَوْحِي الرُّؤْيَى وَيَحْجِهَا الرُّؤْيَى إِلَى أَيْنَ قَدْ طَافَتْ بِهِ غَيْرَ عَالِمٍ؟
وَأَيْنَ مِنَ الْوَادِي خُطَاهُ؟ وَإِنَّمَا لَا مَالَ رَاجٍ أَوْ خِيَالَاتُ حَالِمٍ !
وَأَيْنَ هُوَ الْغَابُ الرَّعِيبُ؟ وَإِنَّهُ لِيَهْفُوَ إِلَى مَاضٍ سَحِيقِ الْمَعَالِمِ
لَأَعْيَاهُ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَى، غَيْرَ أَنَّهُ يَحْسُ هَدُوءًا فِي ضَلَالِ الْطَلَّاسِمِ
فَمَالَ عَلَى (أَرْغُولِهِ) يَسْتَجِيشُهُ خَوَاطِرُهُ بِالذِّكْرِيَّاتِ الْهُوَائِمِ
فَرَجَّعَ أَنْغَامًا مِنَ الْغَابِ وَزُنْهَا وَأَلْحَانُهَا نَسْمُ الرِّيَاضِ الْحَوَالِمِ
فَأَوَزَانُهَا ذِكْرَى، وَأَلْحَانُهَا مُنَى كَذَلِكَ يَشْدُو فِي الْوَرَى كُلُّ نَاعِمِ
وَقَدْ رَقَّتْ الْآصَالُ وَأَنْسَلَّتِ الصَّبَا وَصَاتَ مَعَ الْأَرْغُولِ صَوْتُ السَّوَائِمِ
فَكَانَ مَزَاجًا مِنْ جَمَالٍ وَوَحْشَةٍ وَلَذَاتِ مَوْهَوْبٍ وَآلَامِ غَارِمِ
وَعَشَّى عَلَى الدُّنْيَا ظِلَامٌ فَهُوَ مَتٌ وَنَامَتْ كَطْفَلٍ فِي الْغِرَارَةِ هَائِمِ

* * *

١- الصَّلُّ: الحية من أخصب الحيات، والجمع: الصَّلَال.

على القمة*

نظرتُ إليها وهي شَمَاءٌ تذهبُ كما لَاحَ في أفقِ السمواتِ كوكبُ
فأعجبني منها السُّمُوقُ وهالني تطاولُها والريحُ تطغى وتصخبُ^(١)
وطارَ خيالي فوقَها ووراءَها يصوّرُ من أطيافِها ما تغيّبُ
عجائبُ لم تخُطرَ على البالِ مثلُها ودُنيا من الأحلامِ تزهُو وتعجبُ
وقلتُ: سعيدٌ من تطاولَ كَفَّهُ ذراها وتدرى عينه ما تحجبُ
دَلَفْتُ إليها، والخطا تسبقُ الخطا وفي النفسِ شوقٌ يَسْتَحِثُّ ويلهبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفه وقفُوه رُؤاه مغرياتٍ وتغرُبُ
هو الشوقُ للرقيا وفي الحيِّ حافرٌ إليها فيرقى في الحياةِ ويغلبُ
دَلَفْتُ فلم أنظرُ إلى الخلفِ مرةً وهل ينظرُ العَجَلانُ ماذا يُعَقِّبُ؟
وما عاقني جُهدٌ ولا وَقَعُ عُسْرَةٌ وأنسَني الأشواقُ أني مُتَعَبُ
هنا القِمَّةُ الشَمَاءُ يا حُسْنَه هنا! ويا حُسْنَ ما يدنو إلى النفسِ مَأْرَبُ
تأملتُها فرحانَ أخفقُ نشوةً وأوشكُ أُغْذي سَناها وأشربُ
وقلتُ: هنا يا نفسُ أشرفِ بُقعةٍ وأرْحَبِ أفقٍ في السماواتِ يَرْقُبُ
وإنَّكَ من فوقِ التلالِ طليقةٌ ولم يَبْقَ مستورٌ عليك مُغَيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السُمُوق: الارتفاع والعلو

فَقَرِّى هِنَا يَا نَفْسُ جَدَّ سَعِيدَةٍ فليس وراء الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ
وَأَغْمَضْتُ عَيْنِي سَابِحاً فِي خَوَاطِرِي وبِي نَشْوَةٌ تَطْفُو بِنَفْسٍ وَتَرْسُبُ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا الزَّمَانُ يَلْفُنِي إِلَى الضَّفَّةِ الْآخَرَى كَمَا لَفَّ كَوْكَبُ
إِلَى أَيْنَ ؟ لَا تَعْجَلْ رُوَيْدَكَ هَيْئَةً فَمَا هَكَذَا تُطَوِّى الْأَمَانِي وَتَذْهَبُ
وَمَا هَكَذَا يُجْزَى الَّذِي جَدَّ جَدُّهُ إِلَى الْقِمَةِ الشَّمَاءِ، وَالْقَلْبُ مُلْهَبُ
وَحَلَفَ فِي نَاءٍ مِنَ السَّفْحِ زَادَهُ وَمَا عَزَّه فِي ذَلِكَ الْوَعْرِ مَرْكَبُ
رُوَيْدَكَ يَا هَذَا الزَّمَانُ فَإِنِّي مِنَ الْهَوَّةِ الْجَرْدَاءِ أَخْشَى وَأَرْهَبُ
وَإِنْ لَا يَكُنْ بُدٌّ مِنَ السَّيْرِ فَاَنْطَلِقْ إِلَى الْخَلِيفِ إِنِّي عَاذِرٌ لَكَ مُعْتَبُ
تَأَلَّفْتُهُ يَوْمًا فَإِنْ عُدْتُ لَمْ أَعُدْ إِلَى غَرْبَةٍ تَحْفُو عَلَيَّ وَتَنْكَبُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يُضْغِ لِي فِي ضَرَاعَتِي وَمَا زَالَ يَهْوِي بِي وَلَا يَنْكَبُ
إِلَى الْهَوَّةِ الْجَرْدَاءِ فَالْعُمْرُ مُجْدِبُ إِلَى الْهَوَّةِ الْجَرْدَاءِ فَالْدَّهْرُ يَلْعَبُ

* * *

مصرع قصيدة*

أَحْسَنْتُ مَضْرَعَهَا بِنَفْسِي بَيْنَ التَّأْوِهِ وَالتَّأْسِي
وَسَمِعْتُ حَشْرَجَةَ الْجَرِيحِ تَنْنُ فِي أَطْوَاءِ حَسِّي
هِيَ مِنْ بَنَاتِ الشَّعْرِ لَمْ تُولَدْ، وَلَمْ تُوَأَدْ لَوَكْسٍ^(١)
جَاشَتْ لِفَاتِنَةٍ عَلَى الشُّطَّانِ ذَاتِ رِضَاً وَأُنْسٍ
نَضِجَتْ مُحَاسِنُهَا كَمَا نَضِجَتْ قُطُوفُ جَنَى بَغْرِسٍ
وَحَسِبْتُهَا صِينَتْ عَلَى الِ أَنْظَارِ مِنْ قُطْفٍ وَمِسٍّ
فَهَمِمْتُ أَدْعُوهَا دَعَا ءَ الْفَنِّ فِي خَطَرَاتِ هَمِّسٍ
شِعْراً يَسْجُلُ حَسَنَهَا لِلْكَوْنِ فِي أَحْنَاءِ طِرْسٍ
وَإِذَا الْأَيْدِي الْقَاطِفَاتِ تَجُولُ فِي عَبَثٍ وَبُخْسٍ!
يَا وَيْلَ قُطَّافِ الْجَمَالِ بَغِيرِ مَا وَرَعَ وَنَطْسٍ^(٢)
بَيْنَا نَحُومٌ عَلَيْهِ فِي تَقْوَى كَمَا نَرْنُو لِقُدْسٍ!
* * *

وَإِذَا الَّتِي جَاشَتْ بِنَفْسِي تُثَوِّى مُضْرَجَةً بِحَسِّي!
* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطس أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالِعِنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِوَجْهِهِ فَلَدِيكَ الْوَجْوهُ شَتَّى طَرِيفُهُ
وَأَفْجَيْنِي لَدِيكَ بِالْخَطَرِ الْمَحْبُوبِ بِ يُجَدِّدُ حَيَاتَنَا الْمَأْلُوفَهُ
بِتُّ أَشْتَاقُهُ وَأَرْقُبُ مَاذَا يَحْمِلُ الْيَوْمُ مِنْ أَمَانٍ مَخُوفَهُ!
كُلَّ سَمْتٍ أَرَاكَ فِيهِ جَمِيلٍ كُلُّ ظِلٍّ أَرَاكَ فِيهِ شَفِيفُهُ
أَنْتِ مَا أَنْتِ؟ عَالَمٌ مُتْرَامٍ أَبْدَعَ الْفَنُّ وَالْمُنَى تَأْلِيفُهُ
أَنْتِ كُثْرٌ فَفِيكَ تَحْيَا طُيُوفٌ كُلُّ طَيْفٍ لَهُ رُؤَاةُ الْمُطِيفُهُ
تَارَةً أَنْتِ حَرَّةٌ أَصْطَلِيهَا وَإِذَا أَنْتِ كَالرِّيَاضِ الْوَرِيفُهُ
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً مِنْ حَنَانٍ وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حِينٍ مُخِيفُهُ!
وَأَرَى فِيكَ طِفْلَةً لَمْ تَبَارَحْ مَلْعَبَ الطِّفْلِ. اللَّعُوبِ الْخَفِيفُهُ
وَإِذَا أَنْتِ قَهْرْمَانَةٌ دَهْرٍ مُوْغِلٍ فِي الْمَسَارِبِ الْمَلْفُوفُهُ^(١)
وَإِذَا مَا انْطَوَيْتِ أَمْسَيْتِ سِرًّا صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكَمًا تَغْلِيفُهُ
وَإِذَا مَا انْطَلَقْتِ مِثْلَ شُعَاعٍ كُنْتَ رَقْرَاقَةً وَكُنْتَ لَطِيفُهُ
لَكَ طَعْمٌ أَذُوقُهُ بَلْ طُعُومٌ كُلُّهَا نَاضِجٌ هَوِيْتُ قُطُوفُهُ
هُوَ طَعْمُ الْحَيَاةِ فِي فَوْرَةِ النُّضْجِ شَهِيٍّ الْجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفُهُ

* * *

* نشرت في "ار (مارس) عام ١٩٤٢

١ - قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ربحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظلام الأمين تحذري يا سفيني
 وجاني كل نور النور يؤذي جفوني
 لقد حطمت شراعي ومجدفي ويميني
 وهد عزمي موج يشور كالمجنون
 أخشاه أخشاه جهدي فحاذري يا سفيني!

طال الصراع وناءت نفسي بعاء السنين
 أريد وقفة أمن في مجهل مأمون
 أزيح فيه قليلاً عن عاتقي المؤهون
 وأستريح رويداً من الصراع الحرون^(١)
 وقد أعاود سيري في اللج أزجى سفيني

إلى الظلام الأمين إلى ملاذ السكون
 طال التيقظ حتى أعشى الشهاد عيوني^(٢)
 إلى المسارب فأمضي لأنزوي عن شجونني
 وعن رجائي ويأسي وكل ما يغنيني
 الأنزواء مريح فأوغلي يا سفيني

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد: الصراع المرير.

٢- أعشاهما: أضعفها.

قافلة الرقيق*

قِفْ بنا يا حادي العمرُ هنا لَحْظَةً تَنْظُرُ ماذا حوّلنا
في طريقٍ قد نثرنا عُمرنا فيه أشلاءَ حياةٍ ومُنَى

* * *

قد نثرناها على طولِ الطريقِ ومَضِينَا ضَمْنِ قُطْعَانِ الرِّقِيقِ!
مَوَكَّبٌ يَعْطُو إلى الشَّطِّ السَّحِيقِ مُغْمَضُ الْعَيْنِ يَسْرِي مَوْهِنًا^(١)

* * *

من ظلامِ الغيبِ تَخْطُو قَدَمَاهُ لظلامِ الغيبِ تَنْسَاقُ خُطَاهُ
في طريقٍ غامِضٍ يُدْعَى الحياهُ يَهْتَفُ الحادي فيمضي مُذْعِنًا

* * *

لَهْفَةً لو عُدْتُ أَرْعَى خُطَوَاتِي في طريقٍ دَرَجْتُ فيه حَيَاتِي
فَتَطَلَّعْتُ إلى هذا الشَّتَاتِ وأنا في الكَرَّةِ الأخرى أنا!

* * *

لَتَمَلَّيْتُ شَيَاتِي وَسِمَاتِي وَأَمَانِي وَيَأْسِي وَرَجَاتِي^(٢)
وَحَمَاقَاتِي وَرُشْدِي وَهَنَاتِي وَالهَوَى الحَانِي الذي ظَلَّلَنَا

* نشرت في عام ١٩٤٦.

١- المَوْهِنُ: نحو من نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه. والمراد ليلاً.

٢- شَيَاتِي: مفردُها الشَّيْة. العلامة.

* * *

كُلُّهَا عَاهَدْتُ أَنْ أَقْضِيَ عُمْرِي وَأَنَا أُخْلِصُهَا سِرِّي وَجَهْرِي
وَإِذَا السَّوْطُ هَوَى يُلْهَبُ ظَهْرِي حَيْثُ لَا أَسْتَطِيعُ رَيْثًا أَوْ وِئِي^(١)

* * *

وَإِذَا الْآمَالُ وَالْآلَامُ خَلَفِي سَاخِرَاتٌ مِنْ مَوَاعِيدِي وَخُلَفِي
مُلَقِيَاتٌ بَيْنَ إِهْمَالٍ مُسِفٍّ لَمْ أَوْدَعْهَا. فَيَا وَاحِزَنَا!^(٢)

* * *

أَيُّهَا الْحَادِي أَلَا فَا مِضْ بِنَا قَدْ أَثَارَتْ ذِكْرِيَايَ الشَّجَنَا
لَمْ نَعُدْ نَجْزِعُ لَوْ تَحْدُو لَنَا: «نَحْنُ لَا نَرْجِعُ يَوْمًا هَاهُنَا»

* * *

١- الرِّيث: التَّمَهُّل ، الوئى: الضعف. ٢- المُسِفّ: من أَسَفَّ إِذَا دَنَا إِلَى الطَّرِيقِ.

ففي مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداها فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلع إلى جديد:

أَنْتَ أَوْغَلْتَ فِي الظَّلامِ طَوِيلًا فَمَتَى يَا رَفِيقُ تَبْغِي الْقُفُولَا؟
شَدَّ مَا آدَنَا التَّخَبُّطُ فِي اللَّيْلِ وَخَفْنَا ظِلَامَهُ الْمَدْخُولَا! ^(١)
وَرَأَيْنَا الْأَوْهَامَ تَبْدُو شَخُوصًا وَرَأَيْنَا الشَّخُوصَ تَبْدُو هَيُولَى ^(٢)
وَحَبَرْنَا فَلَمْ يُفِدْنَا اخْتِبَارًا وَسَخَرْنَا مِمَّا خَبَرْنَا طَوِيلًا
يَا رَفِيقِي. إِذَا قَدَرْتَ فَأَوِّبْ إِنَّ هَذَا الظَّلامَ يُضْنِي الْعُقُولَا

* * *

أَنَا أَخْشَى الضِّيَاءَ أَبْصُرُ فِيهَا ذَكْرِيَّاتِي تَبَدَّلَتْ تَبْدِيلًا
أَنَا أَخْشَى النَّهَارَ يَكْشِفُ عَنِّي كُلَّ وَهْمٍ أُرُودُهُ تَعْلِيلًا
أَنَا يَا صَاحِبِي أُشِيحُ بِوَجْهِهِ أَنَا أَرَى عَهْدَنَا تَرَدَّى قَتِيلًا
أَنَا يَا صَاحِبِي أَدَافِعُ عَقْلِي أَنْ يَرُودَ الْيَقِينَ جَهْمًا ثَقِيلًا
الظَّلَامُ الظَّلَامُ أَرْوَحُ لِلْقَلْبِ وَلَوْ كَانَ لَا يُرِيحُ الْعُقُولَا!

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهَيْلَى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفِيقُ. الْحَيَاةُ أَسْمَى وَأَعْلَى أَنْ تُقَضِّيَ كَذَاكَ وَهَمًا ضَيَالًا
يَا رَفِيقُ. الْحَيَاةُ أَقْصَرُ عَهْدًا أَنْ تُضَحِّيَ سَاعَتَهَا تَخِيَالًا
أَبُ مِنَ الظُّلْمَةِ الْحَبِيبَةِ وَاهْجُرْ كُلَّ مَا كَانَ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى
وَتَطَّلِعْ إِلَى جَمَالٍ جَدِيدٍ أَفَلَمْ تَلَقَ فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا؟
عِشْ بِمَا قَدْ وَهَبَتْهُ مِنْ حَيَاةٍ مُسْتَثَارَ الْإِحْسَاسِ نَهْمًا عَجُولًا
* * *

آه يَا صَاحِبِي أَتَجْهَلُ أَنِّي أَفْقِدُ الدَّارَ إِنْ فَقَدْتُ الطُّلُولَا
ذَاكَ عَهْدًا أَنْفَقْتُ فِيهِ رَصِيدِي كُلَّهُ لَمْ أَبْقِ مِنْهُ قَلِيلًا
أَتُرَانِي أَجَدُّ الدُّخْرِ وَالْعُمِّ رُمُولٍ وَالْجَهْدُ أَمْسَى هَزِيلًا؟
أَنَا بَاقٍ هُنَا فَإِنْ شِئْتَ دَعْنِي وَرُدِّ الْكَوْنَ حَافِلًا مَأْهُولًا
أَنَا بَاقٍ هُنَا أَرُودُ طُلُولِي لَمْ أَعُدْ بَعْدُ أَسْتَطِيبُ الْقُفُولَا!
* * *

أقدام في الرمال *

نحن؟ أم تلك على الأرضِ ظلالُ؟ وخيالٌ سارِبٌ إثرَ خيالٍ
في متاهاتٍ وجودٍ لزوالٍ كبقايا الخطو في وجه الرَّمالِ
زَمَرٌ تَدْلِفُ في إثرِ زَمَرٍ وَيَحُفُّ نَفْسِي ! إنه ركبُ البشرِ
مغمضُ العَيْنَيْنِ في كَفِّ القَدَرِ * * * كَلِّمَا أَوْغَلَ في التَّيِّهِ اندَثَرُ

أينَ رأسُ الركبِ أم أَيَّانَ سَارَا؟ ما أرى في إثرِهِ حتَّى غُبَارَا
ما أرى قبراً وما أَبْصَرُ دَارَا ضَلَّةً لي! ذاكَ ظِلٌّ وتَوَارَى^(١)
* * *

مَنْ ظَلَامِ الغَيْبِ في التَّيِّهِ البَعِيدِ لظلامِ الغَيْبِ في التَّيِّهِ المَدِيدِ
وَمَضَّةٌ كالبرقِ تجتازُ الوجودَ وَيُسَمِّيها بَنُو الأرضِ الخُلُودُ!
* * *

خُدَعَةٌ رَاقَتْ لِأَبْنَاءِ الفَنَاءِ حينما أَعْيَا على الأرضِ البَقَاءُ
المساكينُ هَبَاءٌ في فَضَاءٍ رَحْمَةً للذرِّ في مَسَرَى الهَوَاءِ!
* * *

* نشرت عام ١٩٤٦
١ - الضلة: الحيرة

ما أرى الأرض تحس الوافدين أو أرى الأرض تحس الراحلين
كل ما كان وما سوف يكون نائمة تهجس في جوف السكون

* * *

خطوات ذاهبات في الرمال وخيالات تراءت لخيال
وشخص تتوارى كظلال للزوال... كل شيء للزوال!

* * *

فدعة الفلود*

لا أنت سَأَلَمَكِ الزمانُ ولا أنا لا أنت داعيةٌ ولا أنا مُسْتَجِيبٌ
هذي مياسمه على قَسَمَاتِنَا قَرَّتْ أمانينا على الأفقِ القريبِ
ودبيبُه ينسابُ في خَطَرَاتِنَا ويكشفُ الوهمَ المُغلغلَ في الغيوبِ
ويداه تَنسِلُ من خيوطِ حياتِنَا وبدوت عاريةً من الألقِ العجيبِ
ويدُ البلى تطوي الرغائبَ والمنى وبدوت عاديَّ المحاسنِ والعُيوبِ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ ألقاك كالذكرى تمرُّ بخاطرِ
ما نشوةُ الذِّكراتِ؟ ما حرقُ الحنينِ؟ كالخَطَرَةِ الوَسْنَى بفكرةٍ شاعرٍ^(١)
ما وهلةُ الغيبِ المُوشَّحِ بالفتونِ؟ كالرسمِ يَبْهتُ لا يَبِينُ لناظرِ
ما اللهفةُ الكبرى تُراوِدُ في جنونِ؟ كبصيصِ نارٍ في الرمادِ الفاترِ
مرَّت عليها كُلُّها كَفُّ السنينِ! وَيَحْيِي وَيُحْكُ نَحْنُ ذِكْرِي عَابِرِ!

* * *

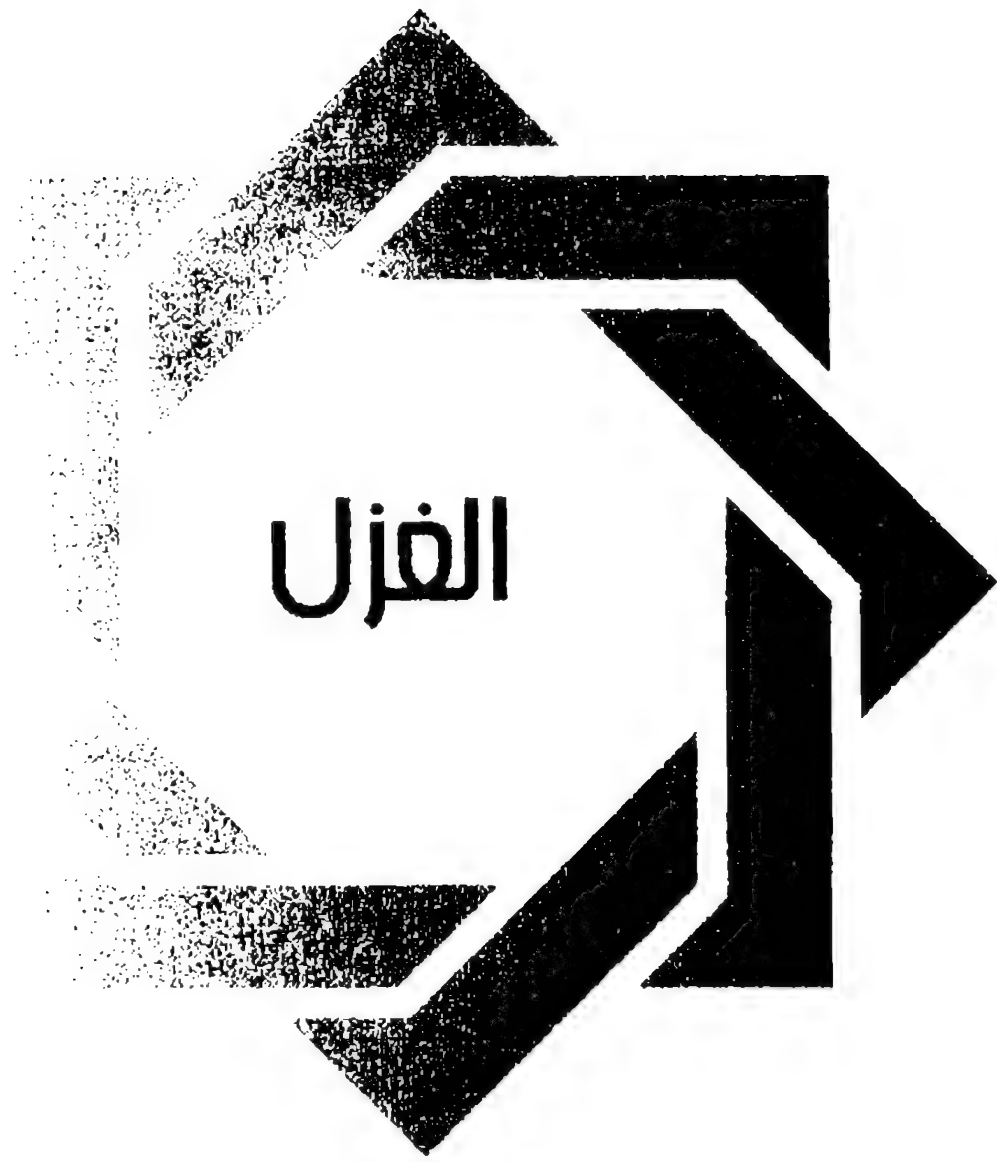
خَطَوْتُكَ النَّشْوَى التي كادتْ تَطِيرُ وَيَحْيِي وَيُحْكُ ما الحياةُ وما الخلودُ؟
وتوفُّزُ النظراتِ في أَلْقِ مُثِيرِ خُدَعُ تُهْدِدُنَا بها الأُمُّ الولودُ
وتوثُّبُ اللفاتِ في لَهْفِ حرورِ ويدُ البلى تطوى القديمَ على الجديدِ
وتُقَلِّبُ الرِّغَباتِ في قَلْقِ غريرِ والدَّهْرُ ماضٍ لا يَكِلُ ولا يَحِيدُ^(٢)
ويَحْيِي وَيُحْكُ قَدْ تَعَارَوْهَا الفُؤُورُ والناسُ والأَيامُ والدُّنيا عبيدُ

* * *

* نشرت عام ١٩٤٨

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.



هي أَنْتِ التي خُلِقْتُ لِنَحْيَا

في ظلالٍ من الوفاء الرَّشيدِ

كحياةِ الأرواحِ تُصْفِي حناناً

وهي تَهْفُو في ظِلِّها الممدودِ

ليلة؟ *

يا ليلة الأمس والليلاّت ذاهبةً كغمضة العين في أضغاث أحلام
يرعاك من وهب الإنسان عاطفةً تجيش بالحب عن وحي وإلهام
يرعاك من خلق الأرواح شاعرةً لأنّ أقصر ليلاّتي وأخلدها
فيك التقينا فلا إثم ولا حرج وروح من الحب خفاق يحف بنا
وينشد الحب أنغاماً يلحنها بالليل يتلو على الأكوان آيته
ما أبدع الليل في شدو وأنغام
* * *

يا ليلة الأمس هلا أنت عائدةً إلى الزمان فأنسى كل آلامي
إنّي لألمح طيفاً منك يؤنسني في وحشتي بين أيقاظ ونوام
ذكراك باقيةً مهما يطل زمي فأنّت زهرة أيامي وأعوامي
فيك أول آمالي وآخرها وأنت منبع إمدادي وإلهامي
* * *

نظرة مومشة *

أهو حظي منك تلك النظرات
وخيالات تراءى في سُباتٍ
أكذا تمضي بقيات الحياة
آه . ما أشجى وما آلم . آه
أين ساعات مضت قبل الفراق
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق
شد ما ألقاه في هذا النوى
شد ما تستشعر النفس الجوى
ليتني أدري - وإن لم يُشفني -
رب إحساس أليم شفني
آلم الإحساس إحساس دفين
لم يجد لفظاً فأداه الأنين
أترى آلم للقلب الكليم
وانطوى يغمره يأس عقيم
أترى أوحش من دير كئيب
كلما جادت بمرآك الصدفُ؟
مُد كيات ما بنفسي من شغف؟
ليت شعري وكذا يُقضي العمرُ؟
إن يكن هذا فما أقسى القدر!
ملؤها العطف ورّياها الوفاء؟^(١)
وهي آهات وذكرى وشقاء!
من عذاب ينكأ القلب أليم^(٢)
فتلظى في شعور كالجحيم
كيف أبدي ما بنفسي من ألم!
لم أصوره بلفظ فاضطرم^(٣)
وشعور في فؤاد يشتجر
ودموع ساكات تنهمر
من رجاء كان يزهو فخبأ؟
ترك القلب قفاراً مُجدباً؟
في فلاة لا يدانيها البشرُ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.

١ - رّياها الوفاء: ملؤها الوفاء.

٢ - ينكأ: يفتح الجرح من جديد.

٣ - شفني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيحُ تَحْمِيهِ الهبوبَ ذاكَ قَلْبِي بَعْدَ فُقْدَانِ الأملِ
مُوحِشٌ يَطْرُقُهُ صَوْتُ سَحِيقِ تَبَعْتُ الذِّكْرَى صَدَاهُ إِذْ تُطَلُّ
دَقَّ نَاقُوسٌ بِهِ عِنْدَ السَّحَرِ؟ ما الَّذِي كَانَ وَمَاذَا سَيَكُونُ؟
لَسْتُ أَدْرِي مَا جَوَابِي، لَا جَوَابُ! لَيْتَنِي أَدْرِي خَبَائِاتِ السَّنِينِ
إِنْ فِرَاقاً أَوْ يَكُنْ بَعْدُ اقْتِرَابُ إِيهِ يَا مِلاءَ فُرَادِي وَمُنَاهُ
إِيهِ يَا رَمَزَ الأَمَانِي والأَمَلِ يا نَسِماً ضَمَّ أنْفَاسَ الحَيَاةِ
نَفْحَةً تُهْدِي إِلَى مَيِّتٍ أَجَلِ أَنَا إِذْ أَلْقَاكَ عَفْواً لَا أَحْسُ
فِيكَ جِسْماً كَبَقِيَّاتِ الجُسُومِ إِنَّمَا أَلْقَاكَ طَيْفاً لَا يُحَسُّ
طَائِفاً يَهْفُو كَمَا يَهْفُو النَّسِيمِ فِي خَيَالِي أَنْتَ أَنْقَى وَأَرْقُ
أَنْتَ رُوحٌ فِيهِ أَوْ طَيْفٌ مَلَكُ بِجَنَاحِيهِ تَرَاءَى فَخَفِقَ
بِسَنَاءٍ هَادِيٍّ يُغْرِي الحَلَكُ أَفَلَا لُقِيَا بِشَجَرٍ بِاسْمِ؟
أَفَلَا قَلْبٌ أُنَاجِيهِ سَمِيعُ؟ أَفَلَا شَكْوَى فُؤَادٍ هَائِمِ؟
أَفَلَا نَجْوَى بَصْمَتِ وَخْشَوْعِ؟ «بِحَيَاتِي أَفْتَدِي هَذَا اللِّقَاءَ»
وَأَمَانِيَّ وَمَا ضَمَّتْ يَدَايَ وَبِنَفْسِي لَوْ دَنَا عَهْدُ الرِّضَاءِ
فَمَحَا بُؤْسِي وَأَوْدَى بِجَوَايَ وَأَوَى قَلْبَيْنِ فِي بُرْدِ الوَفَاءِ
مِثْلَ مَا كَانَا شَقِيقَي مَوْلِدِ لَيْتَ. لَكِنْ «لَيْتَ» لَا تُدْنِي رَجَاءَ
فَلَأْمُتْ أَوْ أَبْقِ حَلْفَ الكَمَدِ

طيفاً!!*

هو هذا أنت يا طيف؟ فأهلاً مرحباً يا طيف من أهوى وسهلاً

* * *

هَوِّمَ النَّوْمُ وَأَرْخَى رِيشَهُ واحتواني بِجَنَاحٍ قَدْ تَدَلَّى
وانزوى الْعَالَمُ عَنِّي وَخَبَتْ ضَجَّةُ الْكُونِ وَمَا فِيهِ وَوَلَّى
ها هُنَا فِي النَّوْمِ أَلْقَى عَالِماً هَادِئاً رَحْباً وَبَسَّاماً مُظْلاً
وتراءى الطيفُ سَمَحاً رَاضِياً بِاسْمِ كَالْأَمَلِ الْحُلُوِّ وَأَحْلَى
هُوَ هَذَا أَنْتَ يَا طِيفُ؟ فَأَهْلاً مرحباً يا طيف من أهوى وسهلاً

* * *

أَذُنْ مِنِّي فَاسْتَمِعْ لَحْنَ فُؤَادِي إِنَّهُ لَحْنٌ يُغْنِيهِ بَدِيعٌ

* * *

إِنَّهُ عَنَوَانُ حُبٍّ وَوَدَادٍ وَهَيَامٍ بَيْنَ أَخْنَاءِ الضُّلُوعِ^(١)
إِنَّهُ أَنْشُودَتِي أَخْلُو إِلَيْهَا بَيْنَ صَمْتٍ وَهَيَامٍ وَخُشُوعٍ
إِنَّهُ لَحْنٌ أُغْنِيهِ وَقَلْبِي خَافِقٌ وَالْعَيْنُ تَهْمِي بِالدُّمُوعِ^(٢)
أَذُنْ مِنِّي فَاسْتَمِعْ لَحْنَ فُؤَادِي إِنَّهُ لَحْنٌ يُغْنِيهِ بَدِيعٌ

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩

١- أحناء: الأضلاع

هَآكَ قَلْبِي فَتَسْمَعُ خَفَقَاتِهِ فَهُوَ قَلْبٌ مُسْتَشَارُ الْخَفَقَاتِ

* * *

بَلِّ الْوَجْدَ وَهَدِّ زَفَرَاتِهِ فَهُوَ قَلْبٌ ضَيِّقٌ بِالزَّفَرَاتِ

أَنْتَ يَا طَيْفُ الَّذِي يَرْجُو فُؤَادِي بَعْدَ مَا قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِالشَّكَاةِ

هَآكَ قَلْبِي فَتَسْمَعُ خَفَقَاتِهِ فَهُوَ قَلْبٌ مُسْتَشَارُ الْخَفَقَاتِ

* * *

أَنْتَ يَا طَيْفُ وَيَا رِيًّا حَبِيبِي أَنْتَ رُوحٌ أَوْ رَمْزُ السَّلَامِ

* * *

لَكَ مِنِّي كُلُّ مَعْنَى قُدْسِي يَهْمِسُ الْحُبُّ بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ

أَنْتَ يَا طَيْفُ وَيَا رِيًّا حَبِيبِي أَنْتَ رُوحٌ الْحُبِّ أَوْ رَمْزُ السَّلَامِ

* * *

صوت؟! *

تُذَكِّرُنِي الْمَاضِي فَآسَى لِدُكْرِهِ وَتُوقِظُ أَشْجَانِي وَقَدْ كُنْتُ نَاسِيَا
وَتُلْهَبُ إِحْسَاسِي بِأَنْغَامِكَ الَّتِي تَحْدُثُ عَنِ قَلْبِي إِذَا أَنْ بَاكِيا
حَنَانِكَ هَذَا الْقَلْبُ قَدْ آدَهَ الْأَسَى فَخَلَفَهُ نَضُوءاً مِنَ الْهَمِّ وَاهِيَا^(١)
تُهَيِّجُ بِهِ الْأَنْغَامُ آلامَهُ الَّتِي تَحْمَلُهَا بِالرَّغْمِ أَسْوَانٌ رَاضِيَا!
تَحْمَلُهَا لَمْ يَشْكُ لِلنَّاسِ ثِقَلُهَا وَقَدْ كَانَ مَعْدُوراً لَوْ آتَاكَ شَاكِيا
* * *

تُذَكِّرُنِي حُبّاً قَدِيماً دَفَنْتُهُ وَنَفَضْتُ كَفِّي يَائِساً مِنْهُ آسِيَا
وَرَحْتُ أَوَارِي كُلَّ آثَارِهِ الَّتِي تَرَأَى فَتُذَكِّي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابِيَا
بَعَثْتُ بِهِ حَيّاً يُطِلُّ وَيَنْزَوِي وَيَفْتَحُ أَجْفَاناً مَرِاضاً سَوَاهِيَا
يُجَرِّجُ أَكْفَاناً مِنَ الْقَلْبِ صُغْتُهَا تُمَزِّقُ أَشْتَاتاً وَتَبْدُو بِوَالِيَا
هُوَ الْيَوْمَ ذِكْرِي لَا تُرْجَى حَيَاتُهُ فَلَا هُوَ مَعْدُومٌ وَلَا هُوَ بَاقِيَا
هُوَ الْيَوْمَ آلامٌ وَقَدْ كَانَ مُتَعَةً وَرُوحاً وَرِيحَاناً وَطَيْفاً مُنَاغِيَا
* * *

تَرَدَّدَ هَذَا اللَّحْنُ فِي النَّفْسِ قَبْلَمَا بَعَثْتُ بِهِ صَوْتاً مِنَ الشَّغْرِ شَاجِيَا
وَجَاشَ بِهِ صَدْرُ الْحَيَاةِ فَرَجَعْتُ أَغَارِيدَهُ كَالنُّوحِ أَسْوَانٌ دَاوِيَا
وَحَدَّثْنَا عَمَّا أَكُنْتُ نَفُوسُنَا فَأَيْقَظَتْ فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ سَاهِيَا^(٢)
تَحْدُثُ إِذَنْ نَنصْتُ وَإِنْ ثَارَ شَجُونَا وَنُمْسِكُ أَكْبَاداً تَنْزِي دَوَامِيَا
* * *

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بن حيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢- أكننت: أخفت.

هي أنت *

هي أنت التي خُلِقَتْ لِحَيَا في ظلالِ مَنْ الوفاءِ الرشيدِ؟
كحياةِ الأرواحِ تُضْفِي حناناً وهي تَهْفُو في ظلِّها الممدودِ؟
حيثما الحبُّ طائِفٌ يَتَرَاءَى كالملاكِ المهوِّمِ المكْدودِ
حانِي العُطْفِ إِذْ يَضُمُّ عَلَيْنَا ضَمَّةَ الأمِّ رَحْمَةً بالوليدِ
فإذا الكونُ والحياةُ جِمالٌ وإذا العيشُ فُسْحَةً في الخلودِ؟

* * *

هي أَنْتِ التي أَطَافَتْ بِنَفْسِي وتراءتُ في خَاطِرِي مَنْ بعيدِ؟
حينما كُنْتُ هائِماً أَتَلْقَى أَغْنِيَاتِ الآمالِ شَتَّى النَشِيدِ؟
في ظِلَالِ مَنْ الأمانِي تَتَرَى بين وادي التعلَّةِ المعهودِ! ^(١)
إِذْ تَرَاءَيْتِ هَالَةً مِنْ رَجَاءٍ هَادئٍ لِيْنِ رَفِيقٍ وَئِيدِ ^(٢)
ثم دَانَيْتِ في دَلَالٍ وديعٍ ثم باعدتِ في دلالٍ شُرودِ؟

* * *

هي أَنْتِ التي تَلَاقَيْتِ رُوحاً مع رُوحِي فَهَامَتَا في الوجودِ؟
هي أَنْتِ التي تُحَدِّثُ عنها خَطَرَائِي، في يَقْظَتِي وهَجُودِي؟

* نشرت عام ١٩٣٠

١ - التعلَّة: ما يُتعلَّل به.

٢ - وئيد: متمهل.

إِنَّ تَكُونِي! إِذْ فَهَكَ فَوَادِي كَلِّهِ خَالِصاً نَقِيَّ الْعُهُودِ
 وَتَعَالَى نَبْغِ الْحَيَاةِ جِهَاداً عِبْقَرِيَّ التَّصْوِيبِ وَالتَّصْفِيدِ!
 شَجَّعِنِي عَلَى الْجِهَادِ طَوِيلاً فَجِهَادُ الْحَيَاةِ جَدُّ شَدِيدِ
 أَشْعِرْنِي بِأَنْ قَلْباً نَقِيّاً يَرْتَجِي سَاعِدِي وَيَهْوِي وَجُودِي
 ثُمَّ سِيرِي مَعِي نَحْطُ طَرِيقاً كَمِهَادٍ فِي الصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ
 نَظْرَةً مِنْكَ وَابْتِسَامَةً حُبِّ تَتْرَكُ الصَّغْبَ لَيْناً كَالْمُهُودِ
 لَكَ مِنْ عَوَاطِفِي وَعُهُودِي لَكَ مِنْ رِعَايَتِي وَجُهُودِي

* * *

أَمَلِكْ *

أُحِبُّكَ كَالْأَمَالِ إِذْ أَنْتِ مِثْلُهَا تُذَكِّينَ فِي نَفْسِي أَعَزَّ مَوَاهِبِي^(١)
 وَمَاهِي إِلَّا نَظْرَةً شَاعِرِيَّةً تَعْبُرُ عَمَّا شِئْتَهُ مِنْ رَغَائِبِ
 فَتَسْرِي إِلَى نَفْسِي مَضَاءً وَجَرَاءً وَوَثْبَةً حَسَّاسٍ. وَعِزْمَةً رَاغِبِ
 وَرُوحاً ذَكِيَّ النَفْحِ يَسْرِي كَأَنَّهُ نَشِيدُ مَلَاكٍ هَائِمٍ مُتَقَارِبِ
 يَعِيدُ إِلَى الْمَكْدُودِ رَاحَةَ نَفْسِهِ وَيُعِثُّهُ خَلْقاً جَدِيدَ الْمَطَالِبِ

* * *

أُحِبُّكَ مِنْ قَلْبِي الَّذِي أَنْتِ مِلْؤُهُ وَمِنْ كُلِّ إِحْسَاسٍ بِنَفْسِي ذَائِبِ
 فُؤَادِي الَّذِي فَتَحَتْ فِيهِ مَشَاعِرًا مِنْ الْحُبِّ وَالْإِحْسَاسِ شَتَّى الْمَذَاهِبِ
 سَمَوْتُ بِهِ حَتَّى تَكْشِفَ دُونَهُ عَوَالِمَ أَقْرَى تَائِهَاتِ الْجَوَانِبِ
 عَوَالِمُ لَا تَعْدُ وَلِقَلْبٍ مَنْصَبِ بِلَا ذَلِكَ الْقَلْبِ الرَّفِيقِ الْمَصَاحِبِ
 بِهَا كُلُّ لَذَاتِ الْحَيَاةِ وَدُونِهَا * * * لِذَائِدُ أُخْرَى كَاذِبَاتِ الْعَوَاقِبِ

أُحِبُّكَ إِذْ تَرْجِينَ مِنْ رِعَايَةٍ وَتَهْوِينَ سَاعَاتِ الْحَيَاةِ بِجَانِبِي
 هُنَاكَ نَسْمُو بِالْحَيَاةِ فَتَرْتَقِي إِلَى كَنَفِ بَيْنِ السَّمَوَاتِ ضَارِبِ
 هُنَاكَ نَحْيَا وَالْأُمَامِيَّ حَوْلَنَا تُغَرِّدُ أَلْحَانُ الْمُنَى وَالرَّغَائِبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- تُذَكِّينَ: مَنْ ذَكَتِ النَّارُ: اشْتَدَّتْ لَهيبَهَا

توارد فواظرا*

خَطَرَ بِيَالِ الشَّاعِرِ اسْمٌ مُعِينٌ، ثُمَّ نَظَرَ فَجَاءَهُ ؛ فَإِذَا بِصَاحِبَةِ هَذَا الْاسْمِ
تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَتَحْيِيهِ....!

أَفَأَنْتِ ذِي ؟ أَمْ ذَاكَ طَيْفُ مَنْامٍ؟ إِنْ أَرَاكَ كَطَائِفِ الْأَحْلَامِ !
لَمَّا خَطَرْتَ وَقَدْ سَمَوْتَ بِخَاطِرِي أَلْفَيْتُ شَخْصَكَ كَالْمَلَكِ أَمَامِي
فَدُهَشْتُ أَوْ فَارْتَعْتُ أَوْ فَتَضَرَّمْتُ خَفَقَاتُ قَلْبِي الْمُنْتَشِي الْبَسَامِ
عَجَبًا! أَكُنْتُ هُنَا فَأَوْمَضَ خَاطِرِي بكَ؟ أَمْ سَرَيْتَ عَلَى جَنَاحِ غِرَامِي
إِنِّي لَا وَمِنْ بِالْغِرَامِ وَإِنَّهُ * * * يَقْوِي عَلَى مُتَعَذِّرِ الْأَوْهَامِ!

مَاذَا صَنَعْتَ بِعَالَمِي وَخَوَاطِرِي لَمَّا لَقَيْتُكَ كَالْخِيَالِ السَّامِي ؟
أَفَأَنْتِ سَاحِرَةٌ تَصُوغُ مِنَ الدُّجَى نُورًا، وَتَبْعُثُ فِي الْحَيَاةِ حُطَامِي ؟
وَتُحِيلُ صُمَّ الْقَافِرَاتِ نَوَاضًا بِالزَّهْرِ ، وَالْأَمَالِ وَالْإِلْهَامِ ؟^(١)
وَتُجَمِّلُ الدُّنْيَا وَتَخْلُقُ عَالَمًا لِلْخُلْدِ فِيهِ مَدَارِجٌ وَمَسَامِ ؟
اللَّهُ ! . أَوْ فَالْحُبِّ . فَهُوَ ظِلَالُهُ فِي عَالَمِ الْأَوْهَامِ وَالْأَفْهَامِ !

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١ - صم القافرات: الأرض الصماء المجردة.

يَاللِّقَاءِ ! فَكَيْفَ قَدْ حَجَّبْتَهُ عَنْ نَفْسٍ مِنْهُوَمِ الْعَوَاطِفِ ظَامٍ ؟
هِيَ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَالَمُ سِحْرِهَا ؟ هُوَ ذَلِكَ النَّبْعُ الْجَمِيلُ الطَّامِي؟^(١)
حَجَّبْتَهُ عَنِّي ، فَأَسْفَرَ بَغْتَةً بِيَدٍ تَجِيءُ بِمُعْجَزِ الْأَيَّامِ !
الْحُبُّ ؛ يَاللَّحَبَّ ! يَرْتَجِلُ الْمُنَى مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ وَغَيْرِ نِظَامٍ !
إِنِّي وَثَقْتُ بِهِ وَمَا هُوَ بِأَخْلُ بِكَ يَا سَعَادُ بِقِظَتِي وَمَنَامِي

* * *

١ - الطامي: من طما الماء: ارتفع وملاً النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرتهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذها بعدد من الأبعاد فتساءل:

إلى أي سرٍّ بل إلى أي طَلَسِمِ تَوَجَّه من عينك شِعَاعُ مُلْهِمِ ؟

إلى مَنْحِبِّ الأَسْرَارِ في نَفْسِ كَاهِنِ تُحَجِّبُهَا أَسْتَارُ دُجْوَانِ مُظْلِمِ^(١)

إلى الغابرِ المَاضِي الذي ضَاعَ رَسْمُهُ وَغَيَّبَهُ النَّسْيَانُ في تِيهِ عَيْلِمِ^(٢)

إلى القَابِلِ الآتِي الذي نَدَّ طَيْفُهُ عَنْ الوَهْمِ بل ضَلَّتْهُ رُؤْيَا المُنْجِمِ

إلى حَيْثُمَا الأَقْدَارُ تُمَضِي أُمُورَهَا عَلَى خَفِيَّةٍ مِنْ وَهْمِهِ المَتَوَهِّمِ

إلى مَاوِرَاءَ الكَوْنِ والعَالَمِ الذي تُحِيطُ بِهِ رُؤْيَا السَّحِيرِ المُنُومِ

* * *

لَأَحْسَسْتُ فِيهَا رِعْدَةً^٣ إِذْ تَوَجَّهْتُ وَدَبَّ لَهَا قَلْبِي وَأَنْكَرَهَا دَمِي

وَأَحْسَبُهَا قَدْ جَاوَزَتْ فِي عُبُورِهَا عَوَالِمَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَمْ تُتَوَهَّمِ

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٣٤.

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دجا يدجو: تم وكمل.

٢- عيلم: بحر.

مدثني*

رأى الشاعر سحابة من الأسي على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثني بمسثار شجونك واكشفي لي عما اختفى من شؤونك
حدثني بما تكنين إني أنا أولى بعينه من دونك
أنا أقوى على الحياة إذا عشت حياتي مزوداً من يقينك
ولقد عشت للمآسي إلى أن قد عرفت السرور من تلقينك

ولقد عشت للبكاء إلى أن قد سمعت الغناء في تلحينك
ولقد عشت للظلام إلى أن قد لمحت الضياء بين عيونك

* * *

حدثني عن سرها نظرات أو دموع تجول بين جفونك
حدثني عن الأسي يتراءى كأسيف الرجاء فوق جبينك^(١)
أو تعالي لذلك الكنف الحاني عليك واركني لسكونك
هو أحنى عليك من قلبها الأم وأدري من قلبها بحنينك
فاغمري في عبابه المترامي ما مضى عنك أو أتى من شجونك
وأبعثها ابتسامة وحياة ملؤها السحر والهوى من فتونك

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١ - كأسيف: رقيق القلب.

فصام *

تَخَاصَمْنَا. تَخَاصَمْنَا ! كَذَلِكَ يَعْثُ الْحَبُّ !
أَلَيْسَ الطِّفْلُ إِذْ تَنْزُرُ قَوَاهِ يَهُمُّ أَوْ يَكْبُرُ؟^(١)
أَلَيْسَ يُحْطَمُ اللَّعْبُ الـ قَتِي كَانَ لَهَا يَضْبُو؟
أَلَيْسَ يَهْزُهُ الصَّخْبُ وَيَحْلُو عِنْدَهُ الْوَثْبُ؟
كَذَلِكَ حُبَّنَا يَحْيَا وَلِيداً جَدُّهُ لَعِبُ!

* * *

تَخَاصَمْنَا. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ الْقَلْبُ!
أَلَيْسَتْ لَا تُحْيِيَنِي وَلَا يَسْلِينِي الْقُرْبُ؟
أَلَسْنَا إِنْ تَلَاقَيْنَا نَغْضُ وَتُسَدِّلُ الْحُجْبُ؟
وَمَا قُبَلَاتُنَا تَتَرَى وَلَا الرُّسُلُ وَلَا الْكُتُبُ
كَذَاكَ نَعِيشُ فِي صَمْتٍ فَلَا غَزَلَ وَ لَا عَثْبُ

* * *

تَخَاصَمْنَا. خُصُومَتُنَا سَلَامٌ ثَوْبُهُ حَرْبُ!
سَلَامٌ بَيْنَ قَلْبَيْنَا فَكُلُّ هَائِمٍ صَبُ

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١- تنزرو: يشب بنشاط.

وَنُخَسِرُ فِي مَظَاهِرِنَا وَمِلْءُ وِطَائِنَا كَسْبُ !
وَنَظْمًا إِنْ تَنَاءَيْنَا فَيَحُلُو الْوَرْدُ وَالشُّرْبُ
وَتَذْكُورُ لِلْهَوَى شُعْلُ فَلَا تَحْنُو وَلَا تَخْبُو
كَذَلِكَ حُبُّنَا يَحْيَا كَذَلِكَ يَعْثُ الْحُبُّ

* * *

بيانه وقلب *

هُوَ قَلْبٌ لَمَسَتْهُ، أَمْ (بِيَانُهُ)؟ فَتَنَادَتْ مِنْ جَوْفِهِ أَلْحَانُهُ
هُوَ قَلْبِي أَجَلُ فَهَذِي الْأَغَانِي هُوَ يَشْدُو بِهَا، وَذَا تَحْنَانُهُ
أَمْ تُرَاه - كَمَا أَرْجُو - فَوَادُ بَيْنَ جَنِيكَ مُلْهَمٌ خَفَقَانُهُ
فَتَلَاقَى الْقَلْبَانِ فِي ذَلِكَ اللَّحْنِ وَحَاكَتْ خَفَقَاتُهُمَا أَوْزَانُهُ
وَتَرَاءَى فِي اللَّحْنِ طَيْفُ الْأَمَانِي مُطَبَّقَاتٌ عَلَى الرُّؤْيِ أَجْفَانُهُ

* * *

لَحْنِي أَنْتِ خَفَقَ قَلْبِي نَشِيداً أَنْتِ أَدْرِي بِمَا حَوَى وَجْدَانُهُ
وَالْمَسِي بِالْحَنَانِ قَلْبِي فَيَشْدُو مِثْلَمَا تَلَمَسُ الْبِنَانُ الْبِيَانُهُ
بَلْ فَوَادِي مُلَحَّنٌ عَبْقَرِيٌّ! لَحْنُهُ مِنْهُ قِطْعَةٌ وَبَنَانُهُ
أَلْهَمِيهِ النَشِيدَ وَهُوَ يُغْنِي لَكَ وَادِي الْخُلُودِ سَامِ حَنَانُهُ
أَلْهَمِيهِ النَشِيدَ وَهُوَ يُجَلِّي لَكَ وَادِي الْخُلُودِ زُهْرٌ جَنَانُهُ
أَطْلِقِيهِ مِنَ الْقِيُودِ بِلَحْنٍ قَدْ تَسَامَى عَلَى الْقِيُودِ افْتِنَانُهُ
وَدَّعِيهِ يَطْرُ دُونَ جَنَاحٍ غَيْرَ حَبِّ يَزِيدُهُ طَيْرَانُهُ

* * *

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٤

١ - البنان: أطراف الأصابع.

الظلمة *

بَعَيْنَيْكَ أَبْصِرُ رُوحَ الظُّمَاءِ وبِالنَّفْسِ أَلْمَحُ طَيْفَ الْقَلْقِ
فَفِي الْخَطَرَاتِ، وَفِي اللَّفَّاتِ فِي النَّظَرَاتِ، وَبَيْنَ الْحَدَقِ
يُطِلُّ التَّلَهْفُ فِي وَثْبَةٍ وَتَعْصِفُ رِيحُ اللَّظَى الْمُحْتَرِقِ
لَأَيِّ مِنَ الْأَمْرِ هَذَا التَّطْلُعِ هَذَا التَّوَثُّبِ، هَذَا الْحَرَقِ
شَوَاطِطٍ مِنَ الشَّوْقِ؟ أَمْ جَمْرَةٍ؟ مِنَ الْحَبِّ مَحْمَرَةٌ كَالشَّفَقِ؟

أَحْسُ بِأَنَّكَ مَلْهُوفَةٌ لِأَنْ تَنْهَلِي كُلَّ مَعْنَى الْغَرَامِ
وَأَنْ تَنْهَبِي النُّورَ مِنْ فَجْرِهِ وَأَنْ تَسْلُبِي زَفَرَاتِ الظَّلَامِ!
وَأَنْ تَقْطِيفِي كُلَّ زَهْرِ الْحَيَاةِ مِنَ الشَّجْوِ وَالْوَجْدِ أَوْ الْإِبْتِسَامِ
تَفْتَحُ فِيكَ شُعُورَ الْحَيَاةِ فَشَفَّكَ مِنْهَا الْهَوَى وَالْأَوَامِ^(١)

إِلَيَّ إِلَيَّ؛ وَلَا تَجْفَلِي فَإِنِّي ظَمِئْتُ لِمَا تَظْمَأَيْنِ
وَأَحْسَبُنِي كُنْتُ أَهْفُو إِلَيْكَ كَمَا كُنْتُ لِي فِي الْمُنَى تَرْقُبِينَ
وَشَطَّطْتُ بِنَا بَدَوَاتُ اللَّقَاءِ وَضَلَّتْ بِنَا خُطَوَاتُ السَّنِينِ
إِلَى أَنْ لَقِيتُكَ فَتَانَةً فَحَرَّكَتْ مِنِّي اشْتِيَاقِي الدَّفِينِ
تَعَالَى نَرَوْ ظُمَاءَ السَّنِينِ تَعَالَى نَعِشُ لِلْمُنَى وَالْفُتُونِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك؟*

أَحْبُكَ حُبَّ الْهَوَى وَالْجُنُونِ أَحْبُكَ حُبَّ الرَّشَادِ الرَّزِينِ
أَحْبُكَ بِالْقَلْبِ فِي وَقْدَةٍ أَحْبُكَ بِالْعَقْلِ جَمَّ السُّكُونِ
وَتَبْدِينَ فِي قَلْبِي الْمُسْتَطَارِ كَمَا تُسَفِّرِينَ بِفِكْرِي الرَّصِينِ^(١)
فَفِيكَ تَلَاقَى الْهَوَى وَالْهُدَى وَشَابَهُ فِيكَ الرَّشَادُ الْجُنُونِ
فَأَمَّا أَزْدَهَانِي بِحَبِي الْفَتُونِ رَكْنْتُ بِهِ لِلْحَجَا وَالْيَقِينِ

* * *

لماذا أحبك؟ هل تفكرين؟ وما السرُّ في الأمر؟ هل تعلمين؟
أَلِلْحُسْنِ؟ كَمْ قَدْ لَقِيتُ الْحِسَانَ فَمَا هِجَنَ بِي وَمَضَّةً مِنْ حَنِينِ
أَلِلْعُطْفِ؟ إِنِّي الْقَوِيُّ الْعُطُوفُ فَمَا أُرْتَجِي رَحْمَةَ الْعَاطِفِينَ
أَلِلنَّظَرَاتِ وَلِلْفَتَاتِ وَلِلسَّحَرِ فِي مُهْجَتِي تَسْكِينِ
وَشَتَّى الْخِلَالِ وَشَتَّى السَّمَاتِ؟ لَقَدْ طَالَمَا اجْتَمَعَتْ لِلْمِئِنِ^(٢)
إِذَنْ فَلَأَيِّ الْمَزَايَا يَكُونُ هَوَايَ وَحُبِّي؟ هَلْ تُدْرِكِينَ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمي الآن علم اليقين سأكشف عن سر حبي الدفين
 لقد لجج بي قبل هذا، السكون وقد أدنى الصمت، صمت الحزين^(١)
 وقد عشت للجِدِّ، جد الرصين أهُمُّ وأكْبُو بعبء السنين[□]
 إلى أناء لقيتِكَ خفاقة توقّد فيك الهوى والفتون
 فأنت هنا جرة كاللظى وأنت هنا شُعلة تومضين
 فأكمل هذا المراح الطروب هدوء الحزين وجد الرصين
 وأعجبني حُسن هذا الكمال وإني عليه الحفيظ الأمين

* * *

لهذا أحبك: هل تفكرين؟ وهذا هو السر. هل تعلمين؟

* * *

رسول الحياة *

أفي كلُّ لُقيا شعورٌ جديدٌ؟ وفي كلُّ قُرب ظمأٌ يزيدُ؟
وفي كلُّ يوم أرى عالماً وألقاك والكونُ قفرٌ جديبٌ
ويخفقُ بالحبِّ قلبُ الحياة كأنَّ الحياة وآمالها
هو الحبُّ لا القدرُ المستطيلُ فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شقيٌّ
وينبضُ فالكونُ في نشوة * * * ويمنحُ فالكونُ راضٍ سعيدٌ !
ويجمدُ فالكونُ جاثٍ بليدٌ * * *

لقيتك خفاقة كالرجاء وجاشَ بنفسي شعورُ الحياة
أقلبُ عيني بهذا الوجود فيا للجمال، ويا للغناء
ويا لي من ظامئٍ لاهفٍ! يحيلُ الحياة إلى فتنة
ويطربُ بالشعرِ قلبُ الحياة وما أنتِ إلا رسولُ الحياة
فذكرتني أني بعد حي وفتحْتُ في رجفة مُقلتي
وترتادُ رُوحِي منه الخفي ويا للخواطِر قفوَ إلى !
ويا لي من عاشقٍ عبقرٍ! وأصداءها لنشيدٍ شجي
وينفحُها بالرضا القدسي وحُبِّك مُعجزةٌ من نبي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطْلِي بِطَلْعَتِكَ السَّاحِرَةَ وَحَيِّي بِنَظَرَتِكَ الشَّاعِرَةَ
أَفِضِي عَلَى الْكَوْنِ فَيْضَ الْمِرَاحِ وَغَذِّيهِ بِالْقُوَّةِ الطَّافِرَةِ^(١)
وَمَالِكَ أَنْتِ؛ وَمَا لِلشُّكُونِ؟ وَمَا أَنْتِ إِلَّا الْقُوَى الثَّائِرَةُ
قُوَى الْحَبِّ تَنْبُضُ بَيْنَ الْقِفَارِ فَتَغْدُو الْقِفَارُ بِهَا نَاضِرَةً
وَتَنْفُخُ فِي سَاكِنَاتِ الْقُلُوبِ فَتَغْدُو سَوَاكِنُهَا نَافِرَةً
وَتَهْتَفُ لِلصُّمِّ بِالْأَغْنِيَاتِ فَيَصْغُونَ لِلنَّغْمَةِ السَّاحِرَةِ
* * *

أَلَسْتُ الَّتِي نَبَضْتُ (بِالْوُجُودِ) فَشَقَّ قُوَى الْعَدَمِ السَّاحِرَةَ
بَلَى ! أَنْتِ سِرُّ انْتِصَارِ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْوَقْعَةِ الظَّافِرَةِ
هُنَاكَ مِنْ قَبْلِ مِيلَادِهَا وَكَانَتْ مَغِيَّةً حَائِرَةً
وَكُنْتَ نَوَاةً بِهَا ضَامِرَةً فَعَدْتَ حَيَاةً بِهَا سَافِرَةً
* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١ - الطافرة: الوائبة.

المعجزة أو السهم الأخير*

مَنَحْتَنِي الْيَوْمَ مَا الْأَقْدَارُ قَدْ عَجَزَتْ عَنْ مَنْحِهِ، وَتَنَاهَى دُونَهُ أَمَلِي
مَنَحْتَنِي الْحُبَّ لِلدُّنْيَا الَّتِي جَهَدْتُ فِي أَنْ تُمِيلَ لَهَا قَلْبِي فَلَمْ يَمِلْ
وَكَلَّمَا قَرَّبْتَنِي، قُلْتُ: خَادِعَةٌ! وَكَلَّمَا طَمَأَنْتَنِي؛ قُلْتُ وَأَوْجَلِي^(١)
وَيَغْمُرُ الشَّكُّ نَفْسِي كُلَّمَا كَشَفْتُ عَنْ فَاتِنٍ مِنْ حُلَاهَا غَيْرِ مَبْتَدَلٍ
حَتَّى خَسِرْتُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا غَبَرَتْ بِهِ السُّنُونُ، وَحَتَّى عَقَّنِي أَجَلِي

* * *

وَاسْتَلْهَمْتُ هَذِهِ الدُّنْيَا طَبِيعَتَهَا فِي مُعْجِزٍ مِنْ قُوَاهَا قَاهِرٍ حَانٍ
فَأَبْدَعْتُكَ جَمَالًا كُلَّهُ ثِقَةٌ يُؤَلِّفُ الْحُبَّ مِنْ وَحْيٍ وَإِيمَانٍ
وَأَوْدَعْتُكَ رَحِيقًا مِنْ خُلَاصَتِهَا وَمَنْبَعُ السَّحْرِ فِيهَا جَدٌّ فَتَانٍ
وَأَرْسَلْتُكَ يَقِينًا فِي طَلَائِعِهَا مَنِيرَةٌ فِي دُجَى عَقْلِي وَوَجْدَانِي
فَكُنْتُ آخِرَ سَهْمٍ فِي كِنَانَتِهَا وَكُنْتُ مَعْجِزَةً مِنْ خَلْقِ فَنَانٍ^(٢)

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١ - واوجلِي: وأخوفي أو افزعني.

٢ - الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السهام.

والآن أُخْلِصْ لِلدُّنْيَا وَأَمْنُحْهَا حُبِّي، وَأُذِرْكَ مَا فِيهَا مِنَ الْفِتَنِ
والآن أَنْظِرْ لِلدُّنْيَا وَأَنْتِ بِهَا كَعَاشِقٍ بِهَوَاهَا جِدَّ مُفْتَتِنِ
والآن أَعْمَلْ لِلدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ بِأَنِّي قَلْبُهَا الْخَفَّاقُ فِي الزَّمَنِ!
والآن أَنْصِتْ لِلدُّنْيَا فَيُطْرِبُنِي مِنْ صَوْتِهَا الْعَذْبَ لَحْنٌ سَاحِرُ اللَّحَنِ
لَكَ الْحَيَاةَ إِذْنُ مَا دَمَتِ مَانِحَةً لِي الْحَيَاةَ بِلا أَجْرِ وَلَا ثَمَنِ!

* * *

اللحن العزيرين*

أسى الألحان أم هذا؟ أساك يسيل في اللحن؟
وإلا هذه نفسي تقيم بعالم الحزن
فتوحي النفس للأذن؟

وأين نشيدك الراضي؟ وأين نشيدك العذب؟
وأين الفرحة النشوى؟ وأين القفر والثوب
فيذكي وقدة الحب؟

سمعتك أمس لم أسمع سوى نبرات أسفان
وغنوة عاشق يئست منها من الهوى الفاني
فأن فؤاده الحاني

هي الأوتار عالمة بما في قلبك المفعم؟
وإلا أنت موحية لها ترنيمه المؤلم
تمس القلب كالبلسم

بربك علمي اللحن يرجع غنوة الأمل
ويبهج هذه الدنيا ويبعث نشوة الجذل
فيدعو الكون للعمل

أجل يا خطرة الفن برأس مفكر سام
وغاية كل فنان يناجي حسن أو هام
أجل ياسر إلهامي

* نشرت عام ١٩٣٤

الفيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقاً في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية. وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين رويهما بعيد! ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو (الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهَمْتُ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا محاملة. فآلمها ذلك، ولكن لم تُرد أن تبين سبب الألم؛ لدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفة البال واجمة، يترأى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والرغبة التي تقرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتياها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازك بالحب لم تُر في فؤادك تلك الريب

ولكن هذه الرغبة تجسمت في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التبرم بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تلذ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تلج فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

* نشرت عام ١٩٣٤.

غَضِبْتَ فَيَا لَكَ مِنْ غَاظِبَةٍ! وَأَرْسَلَتْهَا نَظْرَةً عَاتِبَةً
يَتِمَّتُمْ فِيهَا الرِّجَاءُ الْأَسِيفُ وَتَجَارُ فِيهَا الْمُنَى الْوَائِبَةُ! ^(١)
وَفِيهَا هُدُوءُ الرِّضَا الْمُطْمَئِنِّ تُمَارِجُهُ الْغَيْرَةُ الصَّاحِبَةُ!
تُطِلُّ بِهَا الذِّكْرِيَّاتُ الْعِذَابُ وَتَرْجِعُ مُجْهَدَةً لَاغِبَةً
وَفِيهَا فُتُورٌ وَلَكِنَّهُ فُتُورٌ بِهِ قُوَّةٌ غَالِبَةٌ

* * *

وَلَكِنْ بِهَا بَعْدَ هَذَا وَذَاكَ فَنُونَ الْهَوَى وَالْجَمَالَ الْعَفِيفُ
وَفِيهَا مِنَ السَّحْرِ أَطْيَافُهُ بَعِينِكَ أَلْمَحُهَا إِذَا تَطِيفُ
لَأَهْمَتَنِي السِّرُّ لَمَّا نَظَرْتُ إِلَيَّ بِهَذَا الْفُتُورِ الشُّفُوفِ ^(٢)
وَحَدَّثَنِي فِي خُفُوتٍ عَجِيبٍ بِمَا أَضْمَرْتَهُ لُغَاتُ الطُّيُوفِ
وَلَوْلَا شُعُورِي بِحُبِّي الْعَطُوفِ لِأَحْبَبْتُ فِيكَ الشُّعُورَ الْأَسِيفُ!
* * *

قَدْ انْتَصَرَ الْحُبُّ. يَا لِلانْتِصَارِ بِهَذَا الْعِتَابِ وَهَذَا الْغَضَبِ
وَتَقَتُّ مِنَ الْيَوْمِ فِي حُبَّنَا وَأَنْكَ تَرَعِينَهُ فِي حَدَبِ
فَلَوْلَا اعْتِزَاؤُكَ بِالْحُبِّ لَمْ تُشَرِّ فِي فُؤَادِكَ تِلْكَ الرَّيْبِ
إِذَنْ فَاطْمَئِنِّي فَهَذَا الْفُؤَادُ يُحِبُّكَ فِي وَقْدَةٍ كَالْهَبِ
يُحِبُّكَ إِي وَجْهَالِ الْغَضَبِ يُحِبُّكَ إِي وَالْهَوَى الْمُتَهَبِ

١- تجار: تتضرع

٢- الشفوف: من شَفَّ يَشِفُّ شُفُوفًا: رَقَّ حَتَّى يُرَى مَا خَلْفَهُ.

حَدَّثَنِي أَمَا تَزَالِينَ غَضْبِي؟ أَوْ مَا زَالَ مِلءُ نَفْسِكَ رِيًّا
 وَلِمَاذِ الْوَقَارُ وَالصَّمْتُ يُضْفِي بَعْدَمَا كُنْتَ لِي مَرَاحًا وَوَثْبًا
 كَانَ بِالْأَمْسِ كَالْعِتَابِ جَمِيلًا مَا لَهُ الْيَوْمَ لَمْ يَعُدْ مِنْكَ عِتْبًا
 صَمَتَ الْكَوْنُ مُذْ صَمَتَتْ وَنَامَتْ صَادِحَاتٌ تُرَدِّدُ اللَّحْنَ عَذْبًا
 أَنَا أَخْشَى وَلَا أَصْرُحُ مَاذَا أَنَا أَخْشَى؛ فَمَا أَزَالُ مُحِبًّا
 ابْسُئِمِي تَبْسُؤَ الْحَيَاةِ وَتَرْضَى وَامْنَحِينِي الْيَقِينَ. أَمْنَحُكَ حُبًّا

* * *

مصرع مباح*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي
فقال: (ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه
بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنا أَشْرَى اليقينِ بالفُقدانِ مُؤثراً فيه وَاضِحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة
الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛
ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد
جنته هذه وهي (مؤمنة عامرة) حتى لا يفقد ذاكرها كذلك. فيتضاعف
الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن
يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغيرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجُنَحُ
لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين،
وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكك؛ هادئ الغيرة، ولكن الشك الذي يداخل
نفسه، بطيء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

ليلة الشك

ليلة الشك والأسى والظلام وجحيم الإقدام والإحجام
والعذاب الممض لم يتصور في وعيد أو خطرة الأوهام^(١)
قد تركت الماضي حصيداً هشيماً ونضير الآمال مثل الحطام
عن عذاب الآمال قد أتعزى وما عزائي عما مضى من غرامي؟
ليتني أستطيع أن أرجع الما ضي فأحيي ما ضاع من أيامي
ليلة الشك هل مضيت؟ فإني لم أزل بعد غارقاً في الظلام
والهوى المشرق المنير تهاوى في خضم الدجى العميق الطامي
والحياة التي تفيض مراحاً قد تبدت في ذلة الأيتام
ومشى الحب مطرقاً يتوارى كحبي ينوء تحت اتهامي^(٢)
ليلة الشك قد طمست حياة من رجاء صيغت ومن إلهامي
لهفتي لليقين يغمر نفسي لهفتي للهدوء بعد اضطرام
أنا أشرى اليقين بالفقدان موثراً فيه واضح الآلام

* * *

١- الممض: المؤلم.

٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقين اليقين بعد ارتياب الهدوء الهدوء بعد اضطخاب
اليقين اليقين أطلب فيه راحة اليأس من جحيم اضطراب
أيهذا اليقين إنك قاس ما تطلبت كل هذا المصاب!
أيها الشك ربما كنت خيراً من يقين كالجذب بين اليباب
حيرة الشك، هدأة اليأس، هلا لحظة تترك ان نفسي لما بي
لحظة تخليان فيها فؤاداً مل وقع اليقين أو الارتياب
ثم ماذا؟ وما الهروب؟ وهذا واقع الأمر، ما لهذا التغابي؟
يا يقيني إلى. إن حفي يقين شريته بلبابي^(١)
بدمائي التي بذلت، بدمعي برجائي المنور الوثاب
أنت أعلى على من كل هذا يا يقيني، ومرشدي للصواب

الجنة الضائعة

فَقَدْتُكَ يَا جَنَّتِي السَّاحِرَةَ وَغَادَرْتُ أَفْيَاكَ العَاطِرَةَ
وَهَمَمْتُ تُشَرِّدُنِي الْمُقْفِرَاتُ وَتَلْفَحُنِي كَاللَّظَى الهَاجِرَةَ^(١)
وَتَعْصِفُ فِي نَفْسِي العَاصِفَاتُ وَتَنْهَشُهَا الوَحْشَةُ الظَّافِرَةَ
وَقَدْ طَمَسَ اليَاسُ نَهْجَ الرَّجَاءِ وَغَشَّ البَصِيرَةَ وَالبَاصِرَةَ
فَلَا الظَّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّرَابِ وَلَا العِلْمُ يُرْضِي المُنَى الحَائِرَةَ
هُوَ اليَاسُ أَوْ اليَقِينُ الأَلِيمُ وَبَعْضُ الحَقَائِقِ كَالكَافِرَةِ
فِيَا لِلْيَقِينِ المُمِضِّ اللَّجُوجِ وَيَا لِحَقِيقَتِهِ الجَائِرَةَ
فَقَدْتُكَ يَا لِيْتِي إِذْ فَقَدْ تُكَ كُنْتَ مُؤْمِنَةً عَامِرَةَ
لَعَزَيْتُ نَفْسِي بِالذِّكْرِيَّاتِ وَأَوْدَعْتُ فِرْدَوْسِي الذَّاكِرَةَ
وَلَكِنْ فَقَدْتُكَ نَهَبَ الذَّنَابِ تَجَوَّسُ خَلَائِكَ كَالْآسِرَةَ
وَنَهَبَ القَشَاعِمَ وَالجَارِحَاتُ تَخِطِفُ أَثْمَارَكَ النَّاضِرَةَ^(٢)
وَنَهَبَ المَطَامِعَ وَالمَغْرِيَّاتُ تُدَنِّسُ نَيْتَكَ الطَّاهِرَةَ
فَقَدْتُكَ فِي النَفْسِ أَنْشُودَةً وَمَعْنَى مِنَ الفِتْنَةِ السَّاحِرَةَ
فَقَدْتُكَ ذِكْرِي فَوَا حَسْرَتَاهُ لِفَقْدِ مِنَ العَيْنِ وَالخَاطِرَةَ

١- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.

٢- القشاعم: النسر الذكور الضخمة.

العنين والدموع

جَفَّ قَلْبِي مِنَ الْحَنِينِ فَغَاضَتْ عِبْرَاتِي وَأَقْفَرْتُ مِنْذُ حِينِ
وَحَسِبْتُ الدَّمُوعَ ذِكْرِي تَوَارَتْ بَيْنَ مَاضِي حَيَاتِي الْمَكُونِ!
وَإِذَا بِي أُودِّعُ الْيَوْمَ عَهْدًا فَتَفِيضُ الدَّمُوعُ مِلْءَ الْجَفُونِ
فِي انْسِكَابٍ يَغُضُّ مِنْ كِبْرِيَائِي وَاضْطِرَابٍ يَرْتَاعُ مِنْهُ سَكُونِي
يَا دَمُوعَ الْوَفَاءِ أَنْتَنَ أَغْلَى أَنْ تُرَقِّقَنَّ لِلْوَفَاءِ الْغَبِينَ^(١)

* * *

١ - الغبين : الناقص : الضعيف : الخادع وهو المراد.

اللفز*

خَفَقَ القلبُ الذي مَسَّتْ يَدَاكَ جَانِبِيهِ؛ فِي جَنَوْنٍ واضطرابِ
أَكْذَا يَهْتَاجُنِي مَسُّ هَوَاكَ وَأَنَا الهَادِيءُ فِي مَوْرِ الْعَبَابِ؟^(١)
* * *

عَجَباً ! مَا السَّرُّ فِي خَفَقَتِهِ.. ؟ إِنِّي أَسْأَلُكَ السَّرَّ الدَّفِينِ
أَنْتِ أَذْرَى بِالَّذِي أودَعْتَهُ فِيهِ مِنْ حُبٍّ، وَوَجَدِ، وَحْنِي!
* * *

إِنْ قَلْبِي لَمْ يَكُنْ يَنْزُو ، فَمَاذَا سَأَلَ فِي كَفِّكَ مِنْ سِحْرِ عَجِيبٍ؟
أَهُوَ اللَّغْزُ الَّذِي تَحْوِينَ هَذَا؟ أَمْ هِيَ الْفِتْنَةُ فِي مِفْتَاحِ الْقُلُوبِ؟
* * *

إِيهِ !. إِنْ فِي اضْطِرَابِي قَدْ نَسِيتُ مَبْعَثَ الْفِتْنَةِ عَيْنِكَ تُنِي!
تُضْمِرَانِ السِّحْرَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ؟ وَهَمَا سِرُّ اتِّصَالِ الْمُهْجَتَيْنِ
* * *

سِحْرُكَ الْمَجْهُولُ أَمْسَكَتُ عَصَاهُ! فَإِذَا شِئْتُ اتَّقَاءً أَتَّقِيهِ!
لَكِنَّ السِّحْرَ الَّذِي تَاهَتِ رُقَاهُ إِنِّي أَهْفُو إِلَى الْإِخْلَادِ فِيهِ
* * *

* نشرت في ١٩٣٤
١- مور العباب: تحرك الأمواج.

قبلة*

أهي النَّشْوَةُ أم وَقْدَةُ جَمْرٍ إِنِّي أَحْسَسْتُهَا تَذْكُو بِصَدْرِي^(١)
وَبِرُوحِي لَهْفَةً تَبْعُثُهَا هذه القبلة من أعذب ثَغْرِ
قُبْلَةٍ ! ما هذه القُبْلَةُ إِذْ تنقلُ الدُّنْيَا إلى عَالَمِ سِحْرِ
وَتُحِيلُ الجِسْمَ وَالرُّوحَ معاً شِعْلَةً طَائِفَةً لم تَسْتَقِرْ
بل تُحِيلُ الجِسْمَ وَالرُّوحَ شَذَى من عَبرِ الخُلْدِ أو مِسْكَةٍ طُهِرِ

* * *

لم أَحِسَّ الرُّوحَ مَنَى مُثْقَلًا بِمُومِ الجِسْمِ إِذْ هَوَمَ يَسْرِي
لم أَحِسَّ العُمَرَ إِلَّا خَفَقَةً فِي فُؤَادِ الدَّهْرِ قَدْ فَاضَتْ بِبَشْرِي
وأرى المَاضِيَ أَضْحَى لِحِظَةٍ بَعْدَ مَا قَدْ كَادَ أَنْ يُنْقِضَ ظَهْرِي
وَتَطَلَّعْتُ بَعَيْنِ المُنْتَشِي لِحِمَالِ الكَوْنِ فِي نَشْوَةٍ سُكْرِ

* * *

أهي القُبْلَةُ مَنْ ثَغْرِ لِثَغْرِ ؟ أم هي الخَطَرَةُ مَنْ وَحَى لِفِكْرِ
أم تُرَاهَا قُبْلَةَ النُّورِ الَّتِي فَاضَ مِنْهَا النُّورُ فِي أَوَّلِ فَجْرِ
حِينَما رَفَرَفَ وَالْكَوْنُ دُجَى رُوحُ رَبِّ الكَوْنِ فِي لُجَّةِ غَمْرِ
فَتَجَلَّى النُّورُ فِي بَرٍّ وَبَحْرِ وَتَرَاءَى الحُسْنُ فِي طَيْرٍ وَزَهْرٍ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعى الحياة *

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ ، بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهُ مُنْذُ أَنْ ضَمَّتْكَ فِي شَوْقٍ يَدَاهُ
مُنْذُ أَنْ رَنَّ صَدَاهَا ، قُبْلَةَ نَهَلْتُ مِنْهَا وَعَلَّتْ شِفَتَاهُ
وَارْتَوَتْ رُوحَاكُمَا بَلْ ظَمِئَتْ بِرَحِيْقِ الْقُبُلَاتِ الْمَشْتَهَاهُ
بَلْ رَحِيْقُ الْخُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاهُ وَسَرَى فِيهِ حُلَاهُ وَشَذَاهُ

* * *

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ؛ بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهُ حِينَ يَلْقَى نَاطِرِيكَ نَاطِرَاهُ
حِينَمَا يَسْتَعْرِ الْحُبُّ جَوَى يَكْتَوِي الْقَلْبَانِ مِنْ حَرِّ لَظَاهُ
فِيرْجِي كُلُّ ثَغْرِ قُبْلَةَ هِيَ بَرْدٌ لِلْحَنَايَا وَالشِّفَاهُ
مَثَلَمَا يَطْلُبُ رِيًّا ظَامِيءٌ يَنْظُرُ الْمَاءَ وَلَا يَبْلُغُ فَاهُ

* * *

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ؛ بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهُ كُلَّمَا بَشَّرَ بِالْحُبِّ الْهُدَاهُ
كُلَّمَا نَادَى حَيَّ هَلَا يَقْطِفُ الْمَحْرُومُ مَا طَابَ جَنَاهُ
مَا لِمَحْرُومَيْنِ لَمْ يَسْتَمِعَا ذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي دَوَّى صَدَاهُ
إِيهِ هِيَا؛ فَلْنُجِبْ دَاعِيَ الشِّفَاهُ فَهُوَ دَاعِيَ الْحُبِّ؛ أَوْ دَاعِيَ الْحَيَاةِ

* نشرت في ١٩٣٤

تعمية الحياة*

شَفَتَايَ تَخْتَلِجَانِ لِلتَّقْبِيلِ؟ فِي كُلِّ مُطَّلَعٍ لَدَيْكَ جَمِيلٌ
ظَمَأُ الشِّفَاهِ طَبِيعَةٌ أَلْهَمْنَهَا مِنْذَ ارْتَوَيْنَ بِثَغْرِكَ الْمَعْسُولِ
ظَمَأٌ تُوجِّجُهُ الْقُلُوبُ خَوَافِقًا تَنْزُورُ بَعَارِمَ لَهْفَةٍ وَغَلِيلِ
مَنْ يَوْمٍ مَا التَقْتَ الشِّفَاهُ فَحَدَّثَتْ عَنْ حُبِّنَا بِسَوَاحِرِ التَّرْتِيلِ!
أَفْتَذَكِّرِينَ وَقَدْ ضَمَمْتُكَ وَالْهَوَى يُغْرِى وَيُوقِظُ خَاطِرَ التَّقْبِيلِ؟
وَالْكُونُ يُمَسِّكُ خَفَقَهُ مُنْتَظِرًا قِبَلَاتِنَا فِي لَهْفَةٍ وَذُهُولِ
هُوَ عَاشِقُ الْقِبَلَاتِ! إِنَّ رَنِينَهَا لَحْنٌ يُنَبِّئُهُ فِيهِ كُلَّ خُمُولِ
وَهِيَ الْحَيَاةُ إِذَا تُحْيِي قُبْلَةً رَمَزًا عَلَى التَّرْحِيبِ وَالتَّاهِيلِ
أَفَلَا نَرُدُّ عَلَى الْحَيَاةِ تَحِيَّةً مَا عَقَّهَا فِي الْكَوْنِ أَيُّ بَخِيلِ؟
أَفَلَا نَرْجِعُ غَنُوةَ التَّقْبِيلِ! وَتَحِيَّةَ الدُّنْيَا خَيْرَ نَزِيلِ؟^(١)

* نشرت ١٩٣٤

١- التزيل: الضيف

الفطر

بين التلُّفِ والحذرِ خَطَرْتُ تُبَشِّرُ بالخطرِ!
بُشْرَى! فما دامتْ هُنا فعَلامَ تَقْرُبُنَا النَّذْرُ!
وتشِيرُ للمتَّظِرِ — من إِشارةِ اللَّبِقِ الحَذِرُ!
لتَضِيعَ مِنِّي قُبْلَةً لبثتْ بِفِيهَا تَنْتَظِرُ!
ولبثتْ أَرْقُبُ قَطْفَهَا من بَعْدِ ما نَضَجَ الثَّمَرُ
هو ذاكِ يا قَلْبُ الخَطَرِ لا الناظرونَ ولا النَظَرُ

* * *

صَنَعَ الشَّبابُ صَنِيعَهُ والحُبُّ في الحُسْنِ النَّضْرُ
فمَضَى يَتِيَهُ تَحَايلاً فَإِذَا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرُ!
وَيُلُوحُ حَتَّى نَنْتَشِي وَيَغِيبُ حَتَّى نَسْتَعِرُ
وَيَرُوقُ حَتَّى لَا نَرَى شَمْساً سِوَاهُ وَلَا قَمَرَ
وَيَرِقُّ حَتَّى لَا نَرَى طَيْراً سِوَاهُ وَلَا زَهْرَ
وَنَطِيرُ فِي نَشَوَاتِنَا نَهْفُو إِلَيْهِ وَنَنْتَظِرُ
فَإِذَاهُ أَنَا يَعْتَذِرُ عَنَّا وَأَنَا يَسْتَتِرُ!
هو ذاكِ يا قَلْبَ الخَطَرِ لا الناظرونَ ولا النَظَرُ!

* * *

تَهْ أَثَّهَا الْحُسْنُ الْأَغْرُ وَامْرَحْ بِنَفْسِكَ وَازْدَهَرُ
 مَا الْحُسْنُ إِلَّا شُعْلَةٌ تَخْبُو إِذَا هِيَ لَمْ تُثَرُ
 مَا الْحُسْنُ إِلَّا طَائِرٌ يَهْوِي إِذَا هُوَ لَمْ يَطْرُ
 مَا الْحُسْنُ إِلَّا قُوَّةٌ تَعْيَا إِذَا لَمْ تَقْتَدِي
 أَمَّا الَّذِينَ أَسْرَقَهُمْ بَيْنَ التَّبْرِجِ وَالْخَفَرِ^(١)
 فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا يَا حُسْنُ مَنْ أَيْنَ الْمَفَرُ
 أَوْ يَسْتَتِيمُوا لِلْخَطَرِ وَبِحَسْبِهِمْ مِنْكَ النَّظَرُ

* * *

يقظة*

سَهَرْتُ؟ إِذَنْ تَعَالَيْ حَدِّثْنِي بِمَا أَحْسَسْتِ مِنْ حَرَقِ الْحَيْنِ
فَقَدْ جَرَّبْتُهُ سَهَرَ اللَّيَالِي وَقَدْ خَبَرْتُ تَسْهِيدَ الْجَفُونِ
وَأَعْلَمُ أَنْ مَبْعَثَهُ غَرَامٌ يَوْزُ جَوَانِبِ الْقَلْبِ الْحُنُونِ^(١)
وَيَقْظَةُ حَالٍ تَسْمُو مَنَاهُ عَنِ النَّوَامِ فِي دُنْيَا السَّكُونِ
فَهَلْ أَحْسَسْتِهِ حُبًّا كَهَذَا فَبِتَّ اللَّيْلِ سَاهِدَةَ الْعُيُونِ؟

* * *

وَمَا أَبْغَى لَكَ الشَّهْدَ الْمُعْنَى وَلَا الْحُرْقَاتِ سَاعِرَةَ الشُّجُونِ
وَلَكِنِّي أَرِيدُ نَشَاطَ حُبٍّ وَيَقْظَةَ عَاشِقٍ جَمَّ الْفُتُونِ^(٢)
فَنَوْقُظُ هَذِهِ الدُّنْيَا خُلُوداً وَنَسْمُو عَنْ تَقَالِيدِ السِّنِينَ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يَوْزُ: يَزْلُزِلُ.

٢- الْجَمُّ: الْكَثِيرُ.

رقية الحب*

خَيْمَ اللَّيْلِ فَنَامِي فِي هُدُوءٍ وَسَلَامٍ
رَفَّ مِنْ حَوْلِكَ قَلْبٌ عَلَّمَ الْحُبَّ التَّسَامِي
أَوْ فَإِنَّ الْحُبَّ نَقَّاهُ بُوْحِي مِنْهُ سَامٍ
فَهُوَ يَحْيَا فِي سَمَاءٍ مِنْ أَمَانٍ وَمَرَامٍ
وَهُوَ يَسْرِي فِي وَسِيعٍ مِنْ رَجَاءٍ مُتَرَامٍ
يَشْمَلُ الدُّنْيَا بَعُطْفٍ وَرِضَاءٍ وَابْتِسَامٍ

* * *

خَيْمَ اللَّيْلِ فَنَامِي فِي هُدُوءٍ وَسَلَامٍ
رَتَّلَ الْحُبُّ رُقَاهُ فِي سُكُونٍ لِتَنَامِي
رُقِيَّةُ النَّوْمِ وَأُخْرَى لِلرُّؤْيِ بَعْدَ الْمَنَامِ
وَدُعَاءُ لِكَ بِالْبَشْرِ غَدًا عِنْدَ الْقِيَامِ
وَتَعَاوِيدُ مِنْ الشَّرِّ لِعَامٍ بَعْدَ عَامِ
رُقِيَّةُ فِي إِثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٍ فِي الظَّلَامِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

أَيُّهَا الْحُبُّ فَلَا تَنْسَ دُعَاءَ
وَتَعَاوِيذَ لِقَلْبَيْنَا لِصَدِّ أَوْ سَامِ
أَوْ فَعَوِّذَهَا وَدَعْنِي لِتَعَاوِيذِ غَرَامِي
وَإِذَا شِئْتَ فَعَوِّذْ نِي مِنْ فَرْطِ هِيَامِي
وَمِنْ اللَّهْفَةِ تَطْغَى فِي فُؤَادِي كَالضَّرَامِ!^(١)
وَاجْعَلْ الدُّنْيَا سَلَامًا وَارْوَ يَا حُبُّ أَوَامِي^(٢)

* * *

١- الضَّرام: النار الملتهبة.

٢- أَوَامِي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمس كنتُ أعيشُ نضو ترقبٍ أُرْجى حَيَاتِي كالأجيرِ المُتعبِ^(١)
 أرْنو إلى الإِصْبَاحِ ثم تَمْجُهِه نَفْسِي وَأَنْظُرُ كَارِهًا لِلْمَغِيبِ^(٢)
 وَأُحْسُ بالقفرِ الجَدِيبِ يَلْفَنِي وَيَجُوسُ فِي نَفْسِ كَقَبْرِ الغَيْهَبِ
 ولو أنما اختصرت حَيَاتِي لم أبلُ بَلْ لم أَحْسُ بنقصِها أو أعيبُ
 وَإِذَا تَشَابَهَتْ الحَيَاةُ وَأَقْفَرْتُ مُجَّتْ بِرُمَّتِهَا، وَلَمْ تُطِيبْ
 * * *

واليومَ. آسَفُ للدقائقِ تَنْطَوِي من عُمْرِي الغَالِي الثَمِينِ الطَّيْبِ
 واليومَ أَرْقُبُهَا وَأَرْقُبُ خَطْوَهَا فَأَعِشُهَا مِثْلِينَ بَعْدَ تَرْقُبِثِ
 وهي العميقة كالخلودِ وَإِنَّمَا تَمْضِي حَثِيثًا فِي خُطَا المَثْوَبِ
 وأودُّ لو هي أَبْطَأَتْ وَتَلَبَّثَتْ فِي خَطْوِهَا لَيْثَ الوَيْدِ المَكْتَبِ
 تَغْلُو الدقائقُ فِي حَيَاةٍ خَصْبَةٍ وَتَهْوَنُ أَغْوَامُ بَعْمَرٍ مُجْدِبِ
 * * *

الحُبُّ فَاضَ عَلَى الحَيَاةِ بِخَصْبِهِ وَأَجَدَّ عُمْرَانًا بِكُلِّ مُخَرَّبِ^(٣)
 وَأَزَاخَ أَسْتَارِ الدُّجَى فَتَكْشَفَتْ ظُلُمَاتُهُ عَنْ كُلِّ زَاهٍ مُعْجَبِ
 وَكَذَلِكَ تَحْلُو لِي الحَيَاةُ وَتَجْتَلِي وَتَعَزُّ سَاعَاتُ الْغَرَامِ الْمُخْصَبِ
 * * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النضو: هزِيل والمراد: هزِيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجد: استحدث.

الكون الجديد*

تَغْنِي وَاَمْلِي الدُّنْيَا نَشِيدًا وَحَيِّي ذَلِكَ الْكَوْنَ الْجَدِيدَا
فَإِنَّ الْحَبَّ أَبَدَعَهُ؛ وَإِنِّي نَظَّمْتُ عَلَى بَدَائِعِهِ الْقَصِيدَا
أَجَلُ حَيِّهِ فَهُوَ لَنَا، وَإِنَّا لَنَعْمُرُ كَوْنَنَا عُمْرًا سَعِيدَا
نَعِيشُ مَعِيشَةَ الطُّلُقَاءِ فِيهِ وَكَوْنُ النَّاسِ يُثْقِلُهُمْ قُيُودَا
وَنَمْلِكُهُ وَمَا الْأَحْيَاءُ إِلَّا أَجِيرِي هَذِهِ الدُّنْيَا عِيدَا
وَنَبْذُرُ فِيهِ آمَالًا وَضَاءً فَيَنْبُتُ غَرْسُهَا الطَّلَعُ النَّضِيدَا

* * *

تَغْنِي بِالرَّجَاءِ وَبِالْأَمَانِي وَبِالنُّعْمَى تَدُومُ لَنَا خُلُودَا
وَمِنْ فِتْنِ الْحَيَاةِ خُذِي الْأَغَانِي وَمِنْ خَفَقَاتِهَا صُوغِي النَّشِيدَا
وَمِنْ شِعْرِي؛ فَقَدْ نَظَّمْتُ فِيهِ أَهَازِيَجَ الْهَوَى لَحْنًا فَرِيدَا
فَمَا أَحْلَى الْغِنَاءِ بِعَذْبِ شِعْرٍ نَحْيِي فِيهِ عَالَمَنَا الْوَلِيدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

حب الشكور*

إِنْ لَمْ أُحِبُّكَ لِلْسَّانَا وَالنُّسُورِ
وَلِسَحَرِ رُوحِكَ حِينَ يَخْتَلِسُ النَّهْيُ
وَلَمَّا تَضَمَّنْتَ الْجَمَالَ فَأَفْصَحْتَ
وَلَمَّا مُنَحْتَ، وَمَا مَنَحْتَ مِنَ الْهُوَى
إِنْ لَمْ أُحِبُّكَ حُبَّ مَفْتُونٍ وَلَا
وَلِحُسْنِ وَجْهِهِ فِي الْحَيَاةِ نَضِيرِ
مَنْبِي فَأَتْبَعُهُ أَتِّبَاعَ سَحِيرِ^(١)
بِكَ مِنْهُ سَاحِرَةٌ مِنَ التَّعْبِيرِ
لِلْكُونِ؛ أَوْ أَحْيَيْتَ مِنْ مَقْبُورِ
حُبِّ الْأَسِيرِ؛ إِذَنْ فَحُبُّ شَكُورِ

* * *

حُبِّ الَّذِي أَحْيَيْتَ فِيهِ حَيَاتَهُ
وَوَهَبْتَ لَكَ الْحَيَاةَ وَطَالَ مَا
وَمَنَحْتَهُ مَاضِيَهُ بَعْدَ ضَيَاعِهِ
حُبِّ الَّذِي أَشْرَقَتْ فِي وَجْدَانِهِ
وَنَفَخْتَ فِي عِزَمَاتِهِ فَتَوَهَّجَتْ
مِمَّا لَدَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ الْمَذْخُورِ
قَدْ عَاشَهَا كَالْعَامِلِ الْمَاجُورِ
وَأَعَذَّتْ قَابِلُهُ مِنَ الْمَحْظُورِ
فَجَلُوتَ كُلِّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ
وَسَمَتْ لِكُلِّ مُنْعٍ وَخَطِيرِ

* * *

أَوْ فَلَأُحِبُّكَ حُبَّ مَنْ أَهْمَتْهُ
شِعْراً جَمَعَتْ مِنَ الْحَيَاةِ زُهُورَهُ
وَمِنَ الضِّيَاءِ وَهَبَتْهُ آمَالُهُ
وَبَعَثَتْهُ وَحْيَ الْحَيَاةِ وَفَنَّهَا
شِعْراً يُضِيءُ سَنَاهُ كُلِّ شُعُورِ
وَمِنَ الْجَمَالِ نَفَخَتْهُ بَعِيرِ
وَمِنَ النَّدَى حِلْماً كَوَجْهِ غَرِيرِ
تَجَلَّوهُ ضَمَّنَ جَمَالُهَا الْمَأْثُورِ

* * *

أَفَلَا أُحِبُّكَ؟ إِنَّهَا لَفَرِيضَةٌ حُبِّ الشُّكُورِ لِوَاهِبِ مَشْكُورِ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النهي : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَةُ الْحَبِّ مِنْ صَنِيعِ السَّمَاءِ وَهِيَ صِنُوءٌ لِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ^(١)
يُخْطِئُ النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ اسْتِيقَاقًا لِلذَّاتِ قَبْلَ يَوْمِ الْفَنَاءِ
وَصِرَاعًا مَا بَيْنَ جِسْمٍ وَرُوحٍ فِي شَتِّتِ الْأَمَالِ وَالْأَهْوَاءِ
وَلَوْ أَنَّ الْأَنَامَ قَدْ ضَمِنُوا الْخُلْدَ أَوْ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَحْضُ صَفَاءِ
لَتَسَامَوْا عَنِ الْخَطِيئَةِ كَالْقَيْدِ وَعَاشُوا مَعِيشَةَ الطُّلُقَاءِ

* * *

وِغْنَاءٌ عَنِ الْخُلُودِ غَرَامٌ هُوَ رَمَزٌ وَوَصْلَةٌ لِلْبَقَاءِ
وَهُوَ يَعْلُو بِالرُّوحِ عَنِ خَطَلِ الْجِسْمِ وَيُضْفِي عَلَيْهِ ثَوْبَ الضِّيَاءِ^(٢)
هُوَ نَوْرٌ وَمَا الْخَطِيئَةُ إِلَّا ظُلْمَةٌ أَوْ حَلِيفَةُ الظُّلْمَاءِ
وَهُوَ يَسْمُو عَنِ الزَّمَانِ وَمَا قَدْ يَقْتَضِيهِ الزَّمَانُ مِنْ أَخْطَاءِ
هُوَ خُلْدٌ، وَمَا الْخَطِيئَةُ إِلَّا بَعْضُ وَحْيِ الْفَنَاءِ لِلْأَحْيَاءِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الصنوء: المثل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسد

الانتظار الفالذ*

أنا بانتظارك ما أباي رضى الهوى حُكمَ الجمال!
غبي إذن أو فاحْضُري أنا قانع في كلِّ حال!
راضٍ بأحلامي التي تُضفي عليك حليّ الجلال
لستِ الملوّمة إنني أنا رشْتُ أجنحة الدّلال!^(١)
ما للجَمالِ متى بدا إلا التّخشُّع في ابتهاجِ

* * *

أنا بانتظارك في الشُّروق وفي الغروب وفي الزّوال
أنا بانتظارك حين أضحو طلعةً مثلَ الآلي
أنا بانتظارك حين أغـ فو طائفاً مثلَ الخيال
وإذا قربت تطلّعتُ نفشي إلى القُربِ المُوالي!
وإلى التّمازج بيننا حنيّ النّحور إلى كمال
هو ذاك سرُّ تنظُّري أبدا إليك؛ فما احتيالي؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- رشْتُ: السهم، جعل له الريش.

العب المكروهه*

كَرِهْتُكَ أَيُّهَا الْحُبُّ كَرَاهَةً مُخْنَقٍ غَاضِبٍ
وَضَجَّ بِهَوْلِكَ الْقَلْبُ وَمَا تَبْلُوهُ مِنْ وَاصِبٍ^(١)

* * *

كَرِهْتُكَ حَيْرَةً كُبْرَى جَحِيماً كُلُّهُ حَرَقٌ
كَرِهْتُكَ لَهْفَةً حَرَّى وَشَوْقاً كُلُّهُ نَزَقٌ

* * *

كَرِهْتُكَ رِيَّةً فِينَا وَفِي الدُّنْيَا وَفِي النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بَأْيَدِنَا وَنَسْمَعُ هَمْسَ وَسَوَاسِ

* * *

كَرِهْتُكَ غُلَّةً^{٣٨} ظَمِئْتُ وَلَا رِيٍّ وَلَا مَاءً
وَوَقَدْتُهَا قَدْ اشْتَعَلْتُ وَفِي التَّلْطِيفِ إِذْكَاءُ

* * *

كَرِهْتُكَ سَهْدَ أَجْفَانٍ وَصَحْواً فِي الدُّجَى الْمُبْهَمِ
كَرِهْتُكَ مَهْدَ أَشْجَانٍ وَمُذْكَى وَقْدِهَا الْمُضْرَمِ

* * *

* نشرت ١٩٣٤

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شغلي الشاغل وآمالي وآلامي
وماضي العمر والآجل وليالي وآلامي

* * *

كرهتك دورة الزمن بلا حد ولا فاصل
وصلت الصحو بالوسن بإحساس لنا شاغل

* * *

كرهتك لست موقوفاً على حب يقيدني
كرهت العيش ملهوفاً على أمل يسوفني

* * *

وداعاً أيها الحب كرهتك فارتحل قدماً
كرهتك لم يعد قلب بصدري يحمل الألما

* * *

سأحيا خامد الحس فلا حب ولا أمل
ستخبو شغلة النفس ويمضي ذلك الأجل

* * *

نكسة*

خَفَقْتُ يَا قَلْبُ ! . مَاذَا أَنْكَسَتْ مِنْ جَدِيدٍ؟^(١)
تَوَثَّبَ الْحَبُّ هَذَا ؟ بَعْدَ الْهُدُوءِ الْمَدِيدِ
وَبَعْدَ فَكِّ الْقِيُودِ

* * *

يَا قَلْبُ مَاذَا أَثَارَكَ ؟ وَهَاجَ فِيكَ الْحَنِينُ؟
وَقَدْ خَلَعْتَ إِسَارَكَ وَعِشْتَ كَالنَّاسِ حِينًا^(٢)
أَوْ عِشْتَ كَالْهَادِئِينَ !

* * *

لَقِيتَهَا يَا فُؤَادِي أَنْكَسَتْ الْحُبَّ لَقِيَا؟
كَالنَّارِ تَحْتَ الرَّمَادِ مَا يَلْبُثُ الْحُبُّ حَيًّا
مَا أَعْجَبَ الْحُبَّ دُنْيَا !

* * *

يَا قَلْبُ فَاذْكُرْ عَذَابَكَ فِي الشَّكِّ أَوْ فِي الْيَقِينِ
فَهَلْ نَسِيتَ اضْطِرَابَكَ؟ بَيْنَ الْقَلَى وَالْحَنِينِ^(٣)
وَبَيْنَ سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.

٢- إسارك: قيدك.

٣- القلى: البغض والهجر.

وَبَيْنَ إِنْ قِيلَ غَابَتْ أَوْ قِيلَ الْآنَ تَأْتِي!
وَبَيْنَ فَوْزٍ مُبَاغِتٍ أَوْ حَسْرَةٍ بَعْدَ فَوْتٍ

وَحَيْرَةٍ كُلِّ وَقْتٍ

* * *

أَرَاكَ يَا قَلْبُ لَمَّا تَسَمَّعَ، وَلَمْ تَتَذَكَّرْ
وَمَا تَحَاوُلَ كَظْمًا لِحَفَقِكَ الْمُتَسَعَّرِ

وَمَا تَرِيدُ التَّدْبِيرُ

* * *

عَلَيْكَ يَا قَلْبُ وَزَرَكَ فَاخْفَقَ إِذْنٌ بَلْ فَخَاطِرُ؟
فَلَيْسَ يُجَدِّدُكَ حَذْرُكَ إِذَا هَمَمْتَ تُحَاذِرُ

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ خَاطِرُ؟

* * *

* على أطلال الحب *

تَفَرَّدَ ذلِكَ الطَّلُّ وطافَ بركنَه الوجَلُ
يُغَشِّي اليأسُ صَفْحَتَه ويُثْرِقُ تحتَه الأملُ
وقميسُ حولَه الذِّكْرَى فتلمعُ بينها الشُّعْلُ
جَفَاه أهْلُه مَلَأَ فَخِيمَ فوقَه المَلَلُ
عَزِيزُ عَهْدُهُم فِيهِ عَزِيزُ أَنْتَ يَا طَلَلُ

* * *

بَنَاه خَيْرُ بِنَاءٍ بَنَاه الحُبُّ مُبْتَدِعَا
وَبَثَّ عَلَى جَوَانِبِهِ مَفَاتِنَ تَفْتِنُ الْوَرَعَا
وأَطْلَقَ حَوْلَه سِحْرًا يُبْثُّ الشَّقِيقَ وَالْوَلَعَا
وَأَنْشَدَ بِاسْمِهِ شِعْرًا مِنْ الْآمَالِ مُنْتَزِعَا
وَوَلَّلَ أَهْلَه الْأَمَلُ فَمَاذَا جَدَّ يَا طَلَلُ ؟

* * *

خَرِيفٌ بَاكِرٌ حَلًّا خَرِيفٌ الْحُبُّ وَالْعُمُرُ
فَحَطَّمُ كُلُّ شَامِخَةٍ عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالذَّهْرِ
وَعَطَّلُ كُلُّ فَاتِنَةٍ مِنَ الْإِغْرَاءِ وَالسَّحْرِ
وَأَبْطَلُ كُلُّ سَاحِرَةٍ وَأَسْكَتَ نَغْمَةَ الشَّعْرِ
فَعَادَ بِنَاؤُهُ طَلًّا فَوَيْحَكَ أَيُّهَا الطَّلُّ
دَلَفْتُ إِلَيْهِ مَلْهُوفًا تَحْتُ حَيْنِي الذِّكْرَى
فَأَطْرَقَ لَا يُحَدِّثُنِي وَأَرْسَلَ زَفْرَةً حَرَّى
وَجَدْتُ لَوْقِدَهَا لَذَعًا كَأَنِّي أَلْمَسُ الْجَمْرَا
وَتَاهَتْ نَفْسِي الْوَلْهَى وَأَسْرَتْ رُوحِي السَّكْرَى
وَقُلْتُ وَقَدْ نَزَا أَلْمِي «فِدَاكَ الْكَوْنُ يَا طَلُّ» ؟

* * *

صدي قبله*

حارثُها لم تزل فائره ونكهتها لم تزال عاطره
أحس حارثها في دمي كما تصرخ الشعلة الثائرة
أنشق نكهتها كالشذى يفوح من الزهرة الناضرة
وتخطر ريانة في فمي كما يخطر الحلم بالذاكرة
وبين يدي صدى ضمة تردد كالنغمة السائرة^(١)
أجل! ليس هذا الذي قد ضمنت أذك جسم! فأين الخيال
تقدست من قبله قدست وأوهامي الحائرة
وأزكت حياتي وإن الحياة هي الفتنة الحية الطائرة
أجل هي أظهر ما في الوجود فما الرجس إلا القوى الخائرة
جسمت ما كان في خاطري خيالاً وأمنية طائرة
وقربت للمس ما لم تكن تقربه الفكرة الخاطرة
وأسريت بالروح في لثمة تحس بها الشفة الشاعرة
أمعجزة أنت تمرج بين الجسم وبين القوى الطافرة؟^(٢)
قوى كل هيكل هذا الوجود كذلك قدرت يا قادرة!

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفر: وثب: أسرع.

وإني لأغمضُ في نشوةٍ وأمسكُ أنفاسي الساعره
وأخطرها قبله في فمي فأسمعُ أصداءها الساحره
وأسترجع اللحظاتِ القصارِ فألفي بها صوراً وافره
وأعرضها منظراً منظراً كما عرضتُ قبلُ للباصره
ثوانٍ تركّزَ فيها الزمانُ تُباركُ دُنَياي والآخرة

* * *

غني...!*

غنيّة أنيت بالتعبير قد ذخرت أطواءً نفسك منه زاد أحقاب
وهبتني منه أشتاتاً منوعة وزدتني منه في وجود وإسهاب
في كل جراحة عنوان ملحمة من الحديث ، وسرّ جدّ جذاب
تقصّ تاريخها في فنّ راوية منسّق النبر ذي لحن وإطراب^(١)
وإنّ تاريخها أقصوصة جمعت تجارب الكون في أحلام أرباب
تجارب الكون في سحر وفي فتن من نضرة الروض أو من وحشة الغاب
ومن سناء الدّراري في تألقها ورهبة الكون في جنح الدّجى الخابي^(٢)
ومن غموض الصّحاري في مجاهلها والعلّم الرّحّب يطفئ جدّ صخاب
ومن صيال الصّواري في تقحّمها ومن أغاريد أطيّار وتنّعب^(٣)
وفرحة الظافر النّشوان خافقة تحتال مُعجبة في خطو وثّاب

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُرّي: وهو كوكب لامع.

٣- التنّعب والنّعب: صوت البوم.

هَذَا حَدِيثُكَ بَيْنَا أَنْتِ صَامِتَةٌ وَعَيْتُهُ كُلُّهُ فِي صَمْتِ مِحْرَابٍ
فَهَلْ بَلَغْتَ مَدَى مَا أَنْتِ زَاخِرَةٌ مِنَ التَّجَارِبِ فِي خَلْقٍ وَإِنْجَابٍ ؟
لَا . لَا وَحَقِّكَ لَمْ أَبْلُغْ سِوَى طَرْفٍ مِنَ الْحَدِيثِ عَلَى وَفْرِ وَإِطْنَابٍ
وَحَلْفٍ ذَلِكَ كَنْزٌ كُلُّهُ طَرْفٌ يَزِيدُ مَذْخُورَةً فِي كَفِّ وَهَّابٍ
وَإِنَّ عِنْدَكَ مَا تُعْطِينَهُ أَبَدًا لِلْسَّائِلِينَ بِإِفْصَاحٍ وَإِغْرَابٍ

* * *

الْعَيْنُ . مَاذَا تَقْصُ الْعَيْنُ مِنْ خَبَرٍ مُسَلَّسٍ فِي حَنَايَا النَّفْسِ مُنْسَابٍ ؟
وَمَا الَّذِي أَبْدَعْتَ لِلْفَنِّ إِذْ هَمَمْتَ لِلْأُمْنِيَّاتِ فَلَبَّتْ بِضَعٍ أَسْرَابٍ ؟
وَأَفْصَحْتَ عَنْ حَنِينٍ كَامِنٍ وَهَوًى يَسْرِي الْهَوَيْنِي شَفُوفًا بَيْنَ أَهْدَابٍ ؟
وَالثَّغَرُ مَاذَا يَبْتُ الثَّغَرُ مِنْ قُبَلٍ فِي صَمْتِهِ الْعَذْبِ ، بَلْ فِي سِحْرِهِ السَّابِي^(١)
وَإِنْ فِيهِ لِقُبَلَاتٍ قَدْ ارْتَسَمَتْ مِنْ بَعْدِ مَا نَضَجَتْ ، لِلْإِثْمِ الصَّابِي^(٢)

* * *

وَالْجِسْمُ . مَاذَا يَقُولُ الْجِسْمُ قَدْ خَفَقَتْ فِيهِ الْحَيَاةُ ، وَتَاهَتْ تِيهِ غَلَابٍ ؟
يَقُولُ مَا تَعْجَزُ الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا عَنْ أَنْ تَقُولَ بِتَصْوِيرٍ وَإِعْرَابٍ

* * *

خُلَاصَةٌ أَنْتِ مِنْ فَنِّ الْحَيَاةِ حَوْثٌ جَمِيعٌ مَا تُبْدِعُ الدُّنْيَا لِإِعْجَابٍ
غَنِيَّةٌ أَنْتِ بِالتَّعْبِيرِ قَدْ ذَخَرْتُ أَطْوَاءَ نَفْسِكَ مِنْهُ زَادَ أَحْقَابٍ

* * *

وهي جديد *

في	خَفّة	الطير في	نُضرة	الزهر
لا	قيتها	عرضاً	بسامة	الثغر
فتانة		تغري	بالسحر	والطهر
تهفو		فتحسبها	لحناً	هفا
يسرى				
في	لفتة	الجيد في	خفقة	الصدر
«تقسيم»		موسيقى	أمنغومة	النبر

* * *

يا	بسمة	الفجر يا	نفحة	العطر
أسكرت		وجداي من	لونك	الخمري
ألهمت		إحساسي	بالشوق	كالجمر
وهمست	في	قلبي	وهتفت	في صدري
وبعثني		أشدو	للحب	بالشعر
وكأنني		روح	تقفو	خطا
مفتونة		ترنو	للكون	في سكر
والكون		يشملها	بالأنس	والبشر

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبِي	لَمَّا	أَلْقَى	مِنْ	لُغْزِكَ	السَّحَرَى!
وَحْيِي	يُوسُوسُ	لِي	فِي	السَّرِّ	وَالْجَهْرِ
حَوَّلَتِ	عُمْرِي	مِنْ	شَطْرٍ	إِلَى	شَطْرٍ
حَبَّبَتْنِي،	عَجَبًا!	فِي	عَيْشَةٍ	الْوَكْرِ	
قَدْ	كُنْتُ	أَرْهَبُهَا	كَالنَّابِ	وَالظُّفْرِ!	
وَإِخَالَهَا	شَرَكًا	فِي	الْبَرِّ	وَالْبَحْرِ!	
إِذْ	كُنْتُ	أَدْمَغُهَا	بِالشَّكِّ	وَالْغَدْرِ	
فَمَلَأْتَنِي	ثِقَةً	بِجَمَالِهَا	الْمُغْرِي		
وَرَسَمْتَ	لِي	صُورًا	لِفِرَاحِهَا	الْخُضْرِ	
تَرْقُو	فَنُطْعِمُهَا	بِحَنَانِنَا	النَّضْرِ		
وَنَرِيشُ	أَجْنَحَةً	مِنْ	رِيشِهَا	النَّزْرِ	
فَتَطِيرُ	هَازِجَةً	فِي	جَوْنَا	الشَّعْرِى	
وَتَوُوبُ	وَادِعَةً	لِلْعُشِّ	كَالطَّيْرِ!		

* * *

يَا	فَتَتَّي،	هَذَا	طِيفٌ	مِنْ	السَّحَرِ
إِنْ	تَأَذَّنِي	أُضْحَى	شَطْرًا	مِنْ	الْعُمَرِ
فَهَبِي	لِي	رُوحًا	مِنْ	رُقِيَةٍ	الثُّغَرِ
هِيَ	قُبْلَةٌ	تُمْضِي	مَا	شِئْتُ	مِنْ أَمْرِ
وَكَاثُهَا	قَدَرٌ	بِسَعَادَتِي	يَجْرِي		

* * *

أكذوبة أسوان *

بعد عام أحس في نفسه بالشلوان، وأحس بمغاليق نفسه تفتتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كل نموذج جميل يفتح له قلبه فيه شبه أو سمة من الجمال الذي حسب نفسه قد سلاه وإذا هو يهفو إلى الماضي، والماضي وحده دون سواه.

الآن أعلم أن كل خواطري
ما كان سلواني سوى أكذوبة
بين الشغاف وفي مناي وفي دمي
أنساك؟! كيف وأنت بين جوانجي
أنساك والآمال والذكرى معاً
وإذا هفوت إلى الجمال فإنما
أنساك إذ أنسى حياتي كلها
نبض الربيع فكنت أول نابض
وهفوت للماضي الذي قد أودعت
أنا ذلك الماضي الذي لا ينقضي
تهفو إليك كرققات الطائر^(١)
خدعت بها نفسي خديعة شاعر
ألقاك هاجّة وبين سرائري
شطري الجميل وأنت وحي خواطري؟
موصولة بك في صميم مشاعري؟
أهوى مثالك في الجمال العابر
فإذا حيت فأنت أول خاطر
في خاطري يهفو وأول زائر
نفسي لديه رغائبي وذخائري
أنا ذلك الماضي يعيش بخاطري!

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١ - الرقعة: التحرك والارتجاج.

علم الحياة*

«وهل الحب سوى حُلْمٍ نَدِيٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحرِّقةِ ورؤيا مُشعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي كَانَتْ حَيَاتِي
وَتَسَابِيحَ وَعَتَهَا أُغْنِيَاتِي
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي أَطْلَقْنِي
وَالَّذِي فِي الصَّحْوَةِ قَدْ طَوَّقَنِي
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي طَهَّرَ نَفْسِي
وَالَّذِي أَفْعَمَ بِالْأَمَالِ كَأْسِي
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّا
وَالَّذِي نَدَى بِدَمْعِي مُقْلَتِيَا
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي جَسَّمْ وَهْمِي
تَجَلَّى فِي أَحَاسِيْسِي وَهْمِي
أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي أَطْلَعَهَا
وَأَرَانِيهَا كَمَا أَبْدَعَهَا
مِنْ حَوَالِيهِ دُعَاءٌ وَصَلَاةٌ
وَانْتِشَاءٌ بِأَفَاوِيْقِ الْحَيَاةِ^(١)
مِنْ قِيُودِي نَحْوَ آفَاقِ عَجِيبَةٍ
بِتَهَاوِيلَ مِنَ الْوَهْمِ حَبِيبَةٍ
بِالْعَذَابِ الحُلُوِّ وَالْذَّمْعِ الطُّهُورِ
وَحَبَانِي بَعْدَ رُشْدِي بِالْغُرُورِ!
نَزَقَ الطِّفْلِ وَأَهْوَاءَ الْغُلَامِ^(٢)
وَعَلَى إِثْرِ بُكَائِي الْإِبْتِسَامِ!
فَإِذَا الْأَوْهَامُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةٌ
صِلَةٌ بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ وَثِيقَةٌ
فِي حَيَاتِي مِثْلَمَا تَطْلُعُ نَجْمَةٌ
فِتْنَةً تَشْقَى بِهَا الدُّنْيَا وَنِعْمَةٌ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفأويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليب أو سحاب.

٢- نزق: خف وطاش.

أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي هَيَّا لِي
وَالَّذِي جَسَمَ فِيهَا أَمَلِي
أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي ظَلَّلَهَا
فَبَدَتْ حُورِيَّةٌ جَلَّلَهَا
أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي صَوَّرَهَا
كُلُّهَا تَبْدُو - وَمَا أَكْثَرُهَا -
أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي جَمَّلَ عِنْدِي
وَالَّذِي عَلَّقَ وَجْدَانِي وَجَهْدِي
أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي أَوْقَدَهَا
كَلَّمَا تَلَمَّسُ كَفِّي يَدَهَا
أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي كَانَ وَكَانَ
أَيْنَ أَنْتَ الْآنَ يَا سِرَّ حَيَاتِي
أَيْنَ يَا وَحْيَ نَشِيدِي وَصَلَاتِي؟
بَيْنَنَا وَادٍ مِنَ الْبُعْدِ سَحِيقُ
كَأَلِهِ حَوْلَهُ الصَّمْتُ الْعَمِيقُ
لَمْ يَا حُلُمُ قَدْ أَيْقَظْتَنِي
لَمْ يَا حُلُمُ قَدْ فَارَقْتَنِي
أَيُّهَا الْحُلُمُ تُرَى كُنْتَ خِدَاعاً
أَيُّهَا الْحُلُمُ الَّذِي فَاتَ وَدَاعاً

أَنَّهَُا فِي ذَلِكَ الْكَوْنِ فَرِيدَةٌ
وَأَمَانِي اللَّهْفَاتِ الشَّرِيدَةُ
فِي خَيَالِي بِأَعَاجِبِ الظُّلَالِ
أَلْقُ الطُّهْرَ وَإِشْرَاقَ الْجَمَالِ
كُلُّ يَوْمٍ صُورَةٌ مِنْهَا طَرِيفَةٌ
عَذْبَةٌ جَذَابَةٌ اللَّحْمِ شَفِيفَةٌ
كُلُّ مَا عَنَّ لَهَا مِنْ نَزَوَاتٍ!
بِالَّذِي يَبْدُو لَهَا مِنْ بَدَوَاتٍ!
شُعْلَةٌ هَوَجَاءُ تَذْكُورٍ فِي دَمِي
تَلَمَّسُ النَّشْوَةَ قَلْبِي وَفَمِي!
أَيْنَ نَحْنُ الْآنَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ؟
أَيْنَ أَنْتَ الْآنَ يَا مَعْنَى وَجُودِي!
أَيْنَ؟ فِي وَادٍ مِنَ الصَّمْتِ بَعِيدِ
بَيْنَمَا أَنْتَ هُنَا مَلَأَ فُؤَادِي
وَهُوَ فِي كُلِّ شُعُورٍ وَفُؤَادِ
فَإِذَا الصَّخْرُ خَوَاءٌ^٣ فِي خَوَاءِ
فَإِذَا الْكَوْنُ هَبَاءٌ فِي هَبَاءِ
إِيهِ مَا أَصْدَقَهُ هَذَا الْخِدَاعُ!
مَا الَّذِي نَمْلِكُهُ غَيْرَ الْوَدَاعِ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أَقْلَاكَ أَقْلَاكَ كَالشَّيْطَانِ أَقْلَاكَ أَقْلَاكَ كَالسُّمِّ يَسْرِي جَدَّ فَتَّاكَ^(١)
 أَقْلَاكَ: إِنَّكَ فِي نَفْسِي وَفِي زَمَنِي وَفِي حَيَاتِي أَفْعَى ذَاتُ أَشْوَاكَ
 سَمَّمْتُ عَيْشِي وَأَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي وَأَنْتَ شَيْطَانَةٌ فِي سَمْتِ أَمْلَاكَ
 وَعِشْتُ أَرْعَاكَ فِي قَلْبِي وَأَنْتَ بَلَا قَلْبٍ يُحَسُّ وَيَرَعَى كَيْفَ أَرْعَاكَ
 مَنْ أَنْتَ؟ مَا أَنْتَ؟ إِنِّي حَائِرٌ قَلْقُ أَنْتِ أَسْطُورَةٌ فِي سِفْرِ أَفَّاكَ؟^(٢)

* * *

أَنْسَى اللَّيَالِي الَّتِي قَضَيْتُهَا قَلْقًا وَأَنْتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحْيَاكَ
 أَنْسَى الدُّمُوعَ الَّتِي أَرْسَلْتُهَا غَدَقًا وَلَسْتُ لَوْلَا هَوَاكَ الْمُرُّ بِالْبَاكِ
 وَكِبْرِيَائِي الَّتِي مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ فِي دُنْيَايَ لَوْلَاكَ
 أَنْسَى. وَأَذْكُرُ أَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي كَأَنَّهُنَّ نَجْمٌ بَيْنَ أَحْلَاكَ
 وَكَلَّهْنَ نَسِيجُ الْوَهْمِ فِي خَلْدِي وَلَسْنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْوَاكَ

* * *

أَقْلَاكَ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَقْلَاكَ أَهْوَاكَ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَهْوَاكَ
 أَهْوَى وَأَقْلَى وَأَيَّامِي مُوزَعَةٌ بَيْنَ الْهَوَى وَالْقَلَى كَالضَّاحِكِ الْبَاكِ
 هَذَا الرَّحِيقُ وَهَذَا السُّمُّ قَدْ مُزِجَا وَلَسْتُ أَرَوَى بِكَاسٍ غَيْرَ رِيَّاكَ
 هَاتِي لِي السُّمَّ صَرَفًا لَا يُمَارِجُهُ هَذَا الرَّحِيقُ فَإِنِّي لَسْتُ بِالشَّاكِي
 مَلَلْتُ كَأَسَاكَ لَا أَلْتَدُّ نَشْوَتَهَا وَلَا أُحْطِمُهَا تَحْطِيمَ سَفَّاكَ

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١ - أَقْلَاكَ: أَكْرَهَكَ.

٢ - أَفَّاكَ: الْكَذَابُ، الْمَفْتَرِي.

وهي لقاء *

هَذَا اللَّقَاءُ كَأَنَّهُ ذَكَرَى مَكُونَةَ فِي عَالَمِ النَّفْسِ
وَكَأَنَّهُ وَهَمٌ أَجْسَمُهُ لَا حَادِثٌ فِي عَالَمِ الْحِسِّ
* * *

هَذَا اللَّقَاءُ الْخَاطِفُ الْوَاجِفُ وَتَلَفُّفُ الْأَنْظَارِ فِي حَذَرٍ
كُثْمَالَةٍ الْأَحْلَامِ، كَالذِّكْرِ فِي رِعْشَةِ اللَّفَاتِ وَالصُّورِ
* * *

أُخْتَاهُ. وَاعْجَبًا لَنَا! عُدْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرِيبَيْنِ
عُدْنَا إِذَا مَا خِلْسَةً سَنَحَتْ نَمْضِي عَلَى حَذَرٍ كَلِصَيْنِ!
* * *

أَلْقَاكَ مِثْلَ الطِّيفِ عَابِرَةً وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ مَا كَانَا
وَكَأَنَّمَا الْأَيَّامُ مَا شَعَرْتُ أَنَا عَمَرْنَا قَطُّ دُنْيَانَا!
* * *

وَتَفَكَّرَيْنِ كَأَنَّمَا افْتَرَقْتُ مِنْ مَطْلَعِ الدُّنْيَا طَرِيقَانَا
وَتَذَكَّرَيْنِ كَأَنَّمَا اجْتَمَعْتُ فِي خَاطِرِ الْأَيَّامِ ذِكْرَانَا!
* * *

مَا أَنْتِ؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَبَدًا أَنِي كَشَفْتُكَ قَطُّ فِي النُّورِ
مَا أَنْتِ إِلَّا فِكْرَةٌ شَرَدْتُ مَا أَنْتِ إِلَّا طِيفٌ مَدْعُور!
* * *

وَشَقِيَّةُ الْخُطُواتِ عَائِرَةٌ فِي حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ لِمَأْمُولٍ
وَكَأَنَّمَا تَمْضِي مُرَوَّعَةً وَضَمِيرُهَا يُضْفِي لِمَجْهُولٍ!
* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤

علم الضجر*

عَجَباً! أَنْتِ مَا تَزَالِينَ حُلْمِي وَمِثَالِي وَفَكْرَتِي وَنَشِيدِي
مَا تَزَالِينَ فِي خَيَالِي رَمَزاً لِرَجَاءِ مَنْوَرٍ مِنْ بَعِيدِ
مَا تَزَالِينَ حَافِزاً لْجُهْدِي مَا تَزَالِينَ غَايَةً لَوْجُودِي
أَتَحَاشَاكَ بِالْجَفَاءِ وَبِالْبَاءِ سِ فَارْتَدُّ سَاخِراً مِنْ جُهْدِي
أَتَحَاشَاكَ كَالْجَحِيمِ وَكَالسُّمِّ وَلَكِنْ إِلَيْكَ يُفْضِي سُرُودِي

* * *

عَجَباً! تَرْكُدُ الْحَيَاةُ فَأَنْسَاكَ قَلِيلاً فِي غَمْرَتِي وَرُكُودِي
فَإِذَا دَبَّتْ الْحَيَاةُ تَرَاءَى كَطِيفٍ مُسْتَيَقِظٍ مِنْ هُجُودِ
وَتَرَاءَتْ تَرْقُّ حَوْلَكَ أَطْيَافٌ لِمَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ عُهْدِ
كُلِّ مَا لَا مَسْتَ يَدَاكَ وَمَا سِ هَوَانَا مِنْ قِيَمٍ وَزَهْدِ
أَتَمَلَّاهُ بِالْخِيَالِ وَبِالْحُـ سِ كَهَاوٍ مِنْ عَالَمٍ مُوَعِدِ

* * *

عَجَباً! بَعْدَ كُلِّ مَا كَانَ مِنَّا مِنْ صِرَاعٍ دَامٍ وَجُهِدٍ جَهْدِ
أَتَمَنَّاهُ فِي الْمَنَامِ وَفِي الصَّحْـ وَ تَمَنَّى الْعَقِيمِ وَجْهَ الْوَلِيدِ
وَإِذَا سِرْتُ فِي الزَّحَامِ فَعَيْنِي لَخِيَالٍ مُسْتَشْرِفٍ مِنْ بَعِيدِ!
لَهْفَةً تَمَلُّ الْحَنَايَا حَنِيناً لِرَجَاءِ مُجَسِّمٍ مَفْقُودِ
أَنْتِ حُلْمُ الْحَيَاةِ فِي صَحْوَةِ الْفَجْرِ فَأَنْسَى لِحُلْمِنَا مِنْ مُعِيدِ

* * *

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤

التهينا *

انتهينا قد مضى الماضي جميعاً ومضينا
انتهينا لم نعد نسأل أيان وأيننا؟!
أو نمُد اليوم للأحلام والأوهام عينا
انطوى الحلم الذي لاح زماناً وانطوينا
ويد الدهر تمشّت تسبل السّتر علينا

* * *

اضربي في زحمة الأرض على غير طريقي
فكرة ضلت وحلماً يتوارى عن مُفِيق
ولقى يقذفه الموج إلى الشّطّ السّحيق
وهوى يخسره الفنّ، على عين الصّديق
وسنى يطمسّه الليل إلى غير شروق

* * *

وأنا المكدود فليلق إلى الأرض عصاه
آن للمُجهد أن تسكن في الأرض خطاه
آن أن يصمت لا تهتف شوقاً شفتاه
آن أن يغمض لا توقظه وهناً رؤاه
جاوز الجهد قواه، فتهاوت قدماه

* * *

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هَذَا الْحُلْمُ حَتَّى صَارَ فِي النَّفْسِ عَيَانًا
وَمَضَيْنَا فِي طَرِيقِ الْوَهْمِ تَنْسَابُ خُطَانًا
تَهْدِمُ الْأَيَّامُ مَا نَبْنِي فَتَبْنِيهِ رُؤَانَا!
وَنُخَوِّضُ الشُّوْكَ يُدْمِينَا فَتَمْضِي قَدَمَانَا
تَتَّبِعُ الْوَهْمَ الَّذِي صَاغَ مِنْ الشُّوْكِ جَنَانًا
* * *

يَا لِهَذَا الْحُلْمِ وَالْأَيَّامِ تَمْضِي وَاللَّيَالِي
عَابَثَاتٌ بِالْأَمَانِي وَهُوَ يَمْضِي لَا يُبَالِي
يَغْلِبُ الْوَاقِعَ فِي الْأَرْضِ بِتَحْلِيْقِ الْخِيَالِ
وَيَرَى خَلْفَ الرُّوَابِي وَالصَّحَارَى طَيْفَ آلٍ^(١)
فَيَرُودُ الْأَفَقَ ظَمَانًا مَشُوقًا لِلظَّلَالِ
* * *

قَدْ مَضَى وَالْعُمُرُ يَمْضِي وَالْأَمَانِي وَالزَّمَانُ
وَانْتَهَيْنَا. وَصَحَا بَعْدَ الْأَوَانِ الْحَالِمَانِ
عَجَبًا. قَدْ كَانَ حُلْمًا. لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ كَانَ
الْعَيَانُ الْيَوْمَ كَالْحُلْمِ وَحُلْمِي كَالْعَيَانِ
صَمَتَ الدَّهْرُ عِيَاءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَانُ
* * *



وَادْعَا كَالزَّهْرِ حَيَّاهُ النَّسِيمُ
سَاهِيَا كَالصَّغِيْرِ فِي ظِلِّ الْوُجُومِ
حَالَمَا يَضْحَكُ قَلِيلًا وَيَهْمُ
بَيْنَ أَطْيَافِ الْأَمَانِي
وَحَيَالِ الْهَمِّ

وردة ذابلة*

قد تولّت وذوت نُضرتُها وبدت كالميت المحتضر
تفتحُ الأجفان أو تغمضُها فتحة الضعف وغمض الخور
وشذاها لم يزل يُفعمني فيعيد الشجوى لي بالذكر

* * *

المود*

محلّل القلب أنعاماً وألحاناً ومُلهم الوحي إسراراً وإعلاناً
وموقظ النفس إن طافت بها سنة وأنت تهمس بالأنعام وسناناً
ومطلق الروح تسمو في معارجها وتطرق العالم العلوي أحياناً
وباعث الذكر اللائي إذا اشتجرت أثرن في النفس آلاماً وأشجاناً
وواهب الحس لطفاً في مداركه وموحي الشعر إحساساً وأوزاناً
أسلت نفسي بالألحان تُشدها إنشاد ذي شجن قد هام تحناناً^(١)
كأنّ ألحانك اللائي ترددها أطياف ذكرى؛ توارت؛ ترجع إلينا
كأنّها همس جنّ أو ملائكة أسرّ عن عالم الإنسان كتماناً

* نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧

١ - أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تَسِيلُ فِي النَّفْسِ وَالْأَسْمَاعِ مُرْهَفَةً وَإِنَّ لِلنَّفْسِ مِثْلَ الْجَسَمِ آذَانًا
وَتَسْتَحْثُ خَيَالًا كَانَ فِي دَعَاةٍ فَيَذِرُ الْكَوْنَ آفَاقًا وَأَزْمَانًا
وَتَمَلُّ النَّفْسَ بِاطْمِئْنَانِهَا ثِقَةً وَتَغْمِرُ الْقَلْبَ إِخْلَاصًا وَإِيمَانًا
* * *

حَدِيثُ أَيِّ فُؤَادٍ أَنْتَ تَذْكُرُهُ أَبَاسِمٌ فَرِحَ أَمْ كَانَ حَزَنَانًا
وَأَيُّ وَحْيٍ لَنَا تَرَوِي رِسَالَتَهُ فَيُؤْمِنُ النَّاسُ أَفْكَارًا وَوَجْدَانًا
عَنِ الْقُلُوبِ جَمِيعًا أَنْتَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْإِنْسَانِيَّ مَا خَصَّصْتَ إِنْسَانًا
عَنِ الْحَيَاةِ وَمَا فِيهَا تَحْدُثُنَا فَكَلْنَا مُؤْمِنٌ يَزْدَادُ إِيقَانًا^(١)
عَنِ الطَّبِيعَةِ تَرَوِي وَهِيَ تُلْهِمُنَا هَذَا الْحَدِيثَ، فَمَا نَحْتَاجُ بُرْهَانًا
* * *

بريشة الشعر* أو صورة صادقة

كَانَ الْأَمْسُ، وَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبُ يَتَرَاءَى كَالْأَمَانِي هَا هُنَا
هَائِمًا كَالرُّوحِ يَغْدُو وَيُتَوَّبُ وَالرَّجَاءُ الْعَذْبُ فِي وَادِي الْمُنَا
وَإِدْعَا كَالزَّهْرِ حَيَّاهِ النَّسِيمُ
سَاهِيَا كَالصَّمْتِ فِي ظِلِّ الْوُجُومِ^(١)
حَالِمًا يَصْحُو قَلِيلًا وَيَهِيمُ
بَيْنَ أَطْيَافِ الْأَمَانِي
وَخَيَالَاتِ الْهَمُومِ

* * *

زَهْرَةٌ قَدْ كَادَ يَعْزُوهَا الذُّبُولُ ثُمَّ حَيَّتْهَا تَبَاشِيرُ الرَّبِيعِ^(٢)
فَهِيَ تَرْنُو بَيْنَ صَحْوٍ وَذُهُولٍ مِثْلَمَا تَحْتَارُ فِي الْعَيْنِ الدُّمُوعُ
وَهُوَ لَحْنٌ مِنْ أَنْشِيدِ السَّمَاءِ
أَرْسَلْتَهُ فِي تَضَاعِيفِ الضِّيَاءِ
فَوَعَاهُ كُلُّ ذِي حِسٍّ بَرَاءً
وَشَعُورٌ كَالنَّسِيمِ
فِي الْحَنَانِ وَالنَّقَاءِ

* * *

دُمِيَّةٌ تُوحِي بِأَشْتَاتِ الْمَعَانِي وَهِيَ سَكْرَى فِي حَمَى الصَّمْتِ الْعَمِيقِ

هَدَائَاتٍ مِثْلَ أَطْيَافِ الْأَمَانِي سَامِيَاتِ الْوَحْيِ كَالْعَطْفِ الرَّفِيقِ

وَهُوَ مَا أَذْرِي مَلَاكَ أَمْ بَشَرٌ؟

فَهُوَ رُوحٌ هَائِمٌ لَا يَسْتَقِرُّ

وَهُوَ صَفْوٌ لَمْ يَخَالِطْهُ الْكَدَرُ

وَالْأَنَاسِيُّ لِنَامٍ

مِثْلَ شَيْطَانٍ نُكْرُ

* * *

كَانَ بِالْأَمْسِ وَلَكِنْ قَدْ تَوَلَّى ذَلِكَ الْأَمْسُ فَخَلَّانِي وَغَابَ

وَإِذَا بِي مُوَحِّشٌ لَا أَتَسَلَّى وَالْخَصِيبُ النَّضْرُ كَالْجَدْبِ الْيَبَابُ

أَذْكُرُ السَّاعَاتِ وَمَضَاً يَنْقُضِينَ^(١)

ثُمَّ يَعْرُونِي لِذَاكَرَاهَا الْحَنِينُ

فِيهِجُ الْوَجْدُ وَالشَّوْقُ الدَّفِينُ

إِيهِ سَاعَاتِ الْأَمَانِي

أُتْرَى قَدْ تَرَجَعِينَ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَذَا اللَّيْلُ وَهَاجَتْ بِي الشَّجُونُ وَصَحَا جَفْنِي لَدَى غَفْوِ الْجَفُونِ
وَتَوَارَتْ ضَجَّةُ الْعَالَمِ فِي هَدَأَةِ اللَّيْلِ يُغَشِّيهَا السُّكُونُ
حَنَتْ. الْوُرُقُ فَلَمَّا هَجَعَتْ بَعْدَ لَايٍ هَيَجَتْ عِنْدِي الْحَيْنُ^(١)
ذَكْرِيَاتٌ مَا لَهَا تَبْعُنِي حَيْثَمَا سِرْتُ وَأَيَّانَ أَكُونُ
صُورٌ شَتَّى إِذَا مَا عَرَضْتُ صَوَّرَتْ لِي وَاضِحاً طَيْفَ السَّنِينِ
وَأَرْتَنِي كَيْفَ يَمْضِي الْعُمْرُ لَا يَشْعُرُ الْمَرْءُ بِهِ حَتَّى يَحِينُ
يَتَقَضَّى الْعُمْرُ فِي أَحْلَامِنَا وَإِذَا نَصْحُو صَحَتْ غُولُ الْمَنُونِ
وَأَرْتَنِي شَبَحاً مِنْ عَدَمٍ يَتْبَعُ الْأَحْيَاءَ أَنَّى يَتَرَلُّونُ
يَبْلُغُ الْمَاضِي مِنْ آثَارِهِمْ فَاغِراً فَاهُ لِمَا يَسْتَقْبِلُونَ

* * *

إِيهِ يَا لَيْلُ أَرَانِي مُغْرَماً بِحَدِيثِ مِنْكَ يُشْجِي السَّامِعِينَ
هَاتِ مَا عِنْدَكَ لَا تَبْخُلْ بِهِ بِلِسَانِ الصَّمْتِ وَالْوَحْيِ الْمُبِينِ
أَوْحِ لِلْأَنْفُسِ مَا حُمِّلَتْهُ مِنْ جَلَالٍ وَخُشُوعٍ وَيَقِينِ
هَاتِ يَا لَيْلُ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَاتْلُ يَا لَيْلُ شُجُونَ الْعَاشِقِينَ

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الورق: جمع الورقاء: الحمامة.

وَادْخَرُ فِيكَ صَدَى أَنَاتِهِمْ لَا تُضِغْ يَا لَيْلُ أَصْدَاءَ الْأُنَيْنِ
إِنَّهَا ذَوْبُ قُلُوبٍ فُطِرَتْ وَنَفُوسٌ دَامِيَاتٌ وَعُيُونٌ
كَمْ سَلاماً فِيكَ قَدْ حُمِّلَتْهُ مِنْ مُحَبٍّ وَامِقٍ الْقَلْبِ حَزِينٍ^(١)
رُبَّ سِرٍّ غَامِضٍ أُودِعَتْهُ فِي حَنَايَا الصَّدْرِ مَخْبِوءٌ دَفِينٌ
ضَاقَ صَدْرُ الصَّبِّ عَنْ كَتْمَانِهِ فَأَرَاكَ السَّرَّ دُونَ الْعَالَمِينَ

* * *

مُرِّ يَا لَيْلُ فَقَدْ أَشْجَيْتَنِي عَلَّ فِي الصُّبْحِ هَدِوْءاً أَوْ سُكُونٌ
إِنَّ لِي فِيكَ لَشَجْواً وَأَسَى وَمُنَاجَاةً وَشَكْوَى وَحَنِينٌ
عَبَثاً أَنْجُو بِرُوحِي مِنْ حَنِينٍ هُوَ أَصْلُ الْوَجْدِ عِنْدِي وَالشُّجُونُ
إِنِّي أَهْوََاكَ يَا لَيْلُ وَلَكِنْ أَنْتَ بِالْإِشْفَاقِ وَالْعَطْفِ ضَنِينٌ
تَبَعْتُ الْأَشْجَانَ مِنْ مَكْمَنِهَا رَحْمَةً يَا لَيْلُ بِالْمُسْتِيقْظِينَ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَمَاتٌ زَفَّهَا الفجرُ الوليدُ بعد ما جَاشَ بها صَدْرُ الحَيَاةِ
ناعماً مِثْلَ أنفاسِ الورود بَلَلِ الطلُّ شَذَاهَا بِنَدَاهِ
* * *

كانت الدنيا يُغَشِّيها السكونُ وظلامُ الليلِ والنومُ العميقُ
طفلةٌ قد ضَمَّها الليلُ الحنونُ ضَمَّةَ الرحمةِ كالأمِّ الشَّفوقِ
* * *

وتراءى الصُّبْحُ في سَمَتٍ بديعٍ فإذا الطِفْلةُ تَصُحُّو من سُباتِ
تُرْسِلُ الأنفاسَ في رَفْقٍ وديعٍ وإذا الأنفاسُ تلك النَّسَمَاتِ
* * *

وإذا الزهرُ يُحْيِي في ابتسامٍ ذلك الصبحُ ويرنو في هُدوءِ
كابتسامِ الطفلِ في عهدِ الفِطامِ حينما يحلُمُ بالشَّدي المَلِيءِ
* * *

وإذا الطيرُ وَقَد رَانَ النُّعاسُ فوقَ عَيْنِيهِ تَنَزِّي فَصَحَا
يرمقُ النورَ بهمسٍ واختلاسٍ فَيُحْيِيهِ طُرُوباً مَرِحَا
* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُدُفِ الظلامِ مثلما يَيْسَمُ للغاني الأملِ^(١)
يَلْثَمُ الكونَ ببشرٍ وابتسامِ ويُحْيِيهِ برفقٍ في القُبُلِ
* * *

وترى الأنفس في هذا الحنان ساكنات بين أحضان الطبيعة
سahيات راضيات في أمان تُرسل الطرف بنظرات وديعه
* * *

عالمات في كراها يقظات! سابحات في التعلات الوضاء^(١)
تُشدُّ الآمال عذب الأغنيات بين سمعها ويحدوها الرجاء
* * *

فترة في مطلع الفجر تمر هي حلم مثل أيام الطفولة
فإذا مرت فجو مكفهر هو في الطفل شباب وكهولة
* * *

ليني عشت بأحضان الصباح أو قضيت العمر أستمع طفلاً!
لا ولا هذا من الدهر يتاح لا ولا قد عدت أستمع كلاً!
* * *

١ - كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادَةُ مِمْرَاحٍ طَرُوبٌ، لَمْ تَقْنَعْ أَنْ تَعْبَثَ بِالْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، فَعَمَدَتْ
إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ، اتَّخَذْنَ لَهَا عُشًّا بَيْنَ أَحْضَانِ شَجَرَةٍ، تَذُودُهَا عَنْ
عُشِّهَا الْهَادِي فِي عَيْثِ قَاسٍ، وَكَلِمَا عُدْنَ إِلَى الْعُشِّ، عَادَتْ هِيَ إِلَى
الذُّودِ!

دَعِيهَا تُغَرِّدْ لَحْنَهَا وَتُرْجِعْ وَتَمْرَحْ مَا شَاءَتْ وَتَلْهُو وَتَرْتَع
دَعِيهَا تُنَمِّقْ لِلْحَيَاةِ تَحِيَّةً وَتَبْعُثُهَا لَحْنًا يَلَذُّ وَيُمْتَع
دَعِيهَا تُعَبِّرُ عَنْ مَشْوَقٍ مُتِمِّمٍ تَلِجُ بِهِ الذِّكْرَى؛ فِيهِفُو وَيَنْزِعُ^(١)
دَعِيهَا فَفِي الْحَانِهَا، الْحُبُّ نَاطِقٌ وَمِنْ وَحْيِهِ تَشْدُو مَلِيًّا وَتَسْجَعُ
دَعِيهَا فَقَدْ رَوَّعَتْهَا وَتَرَكْتَهَا مُشْتَتَّةً حَيْرَى تُطِلُّ وَتَرْجِعُ
* * *

عَزِيزٌ عَلَيْهَا عُشُّهَا دَرَجَتْ بِهِ فِرَاحًا نَحِيلَاتٍ تَهْمُ فَتَقْعُدُ
يُطَالِعُهَا رُوحُ الرِّبْعِ فَتَنْتَشِي وَيَذْهَبُهَا قَرُّ الشِّتَاءِ فَتَجْمُدُ
وَتَنْشَقُّ أَنْفَاسَ الصَّبَّاحِ نَدِيَّةً فَتَنْدَى؛ وَيَحْدُوها الرَّجَاءُ فَتَسْعَدُ
وَيُظِلُّهَا فِي عُشِّهَا الْحُبُّ حَانِيًّا عَلَيْهَا قَوِيًّا مُنْعِشًا يَتَجَدَّدُ
* * *

فَكَانَ لَهَا زَادًا إِذَا قَلَّ زَادُهَا وَرَوْحًا وَرِيحَانًا وَلَحْنًا يُرَدِّدُ
* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألح عليه.

وَيَا طَالِمَا غَنَّتْ وَيَا طَالِمَا بَكَتْ سُروراً بِقَرَبٍ أَوْ حَنِيناً إِلَى ذِكْرِي
وَيَا طَالِمَا ارْتَاعَتْ لِخَطْبِ مُدَاهِمٍ فَكَانَ لَهَا مَنَجِي وَكَانَ لَهَا سِتْرًا (٥)
وَكَمْ لَيْلَةٍ مَرَّتْ وَكَمْ أَشْرَقَ الضُّحَى وَكَمْ أَمَلْتُ خَيْراً؛ وَكَمْ حَذَرْتُ شَرًّا
دَعِيهَا. بِمَهْدِ الذِّكْرِيَّاتِ أَمِينَةً تَطِيفُ بِهَا كَالْوَمَضِ مُسْرِعَةً تَتَرَى (٦)
دَعِيهَا أَجَلٌ لَا تَعْبَثِي بِشَعُورِهَا وَلَا تَحْرِمِيهَا خَيْرَ مَا حَفِظْتَ ذُخْرًا

* * *

وَإِنْ لَا يَكُنْ بُدٌّ مِنَ اللَّهِوَ فَاعْبَثِي بِأَلْبَابِنَا لَا بِالطُّيُورِ الْهَوَائِمِ! (٧)
وَهَبْتُكَ إِحْسَاسِي فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِي أَمِيناً لِعَهْدِي مُخْلِصاً غَيْرَ نَادِمٍ
وَقَاكَ الْجَمَالَ السَّمْحُ كُلُّ مَلَامَةٍ وَعَتَبٍ فَلَا تَخْشَى مَقَالَةَ لَائِمِ (٨)
وَلَكِنَّهَا الْأَطْيَارُ تَلْهُو بِرِيئَةٍ فَمَا بَالُهَا تُدْهِى بِفَعْلَةٍ ظَالِمٍ؟
دَعِيهَا - فَدَتِكَ النَّفْسُ - لَا تَعْبَثِي بِهَا فَمَا كَانَ أَوْلَاهَا بِرَحْمَةٍ رَاحِمِ!

* * *

يوم فريفا*

وَقَفَ الْكَوْنُ شَاخِصاً فِي سُكُونٍ وَتَرَاءَى لِخَاطِرِي كَالْحَزِينِ
وَشُخُوصُ الْأَحْدَاثِ يُغْرِقُهَا الصَّمْتُ فَتَبَدُّو كِبَاهَتَاتِ الظُّنُونِ
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ سَاوَرَهُ الْحُزْنُ فَأَغْفَى إِغْفَاءَ الْمُسْتَكِينِ^(١)
وَكَأَنَّ الْأَفْلَاكَ أَجْهَدَهَا السَّيْرُ فَنَاءَتْ بِحَمْلِ عِبَاءِ الْقُرُونِ
وَكَأَنَّ الْأَقْدَارَ أَرْخَتْ يَدَيْهَا وَتَرَاخَتْ عَنْ صَرْفِهَا لِلشُّؤُونِ

* * *

وَقَفَ الْكَوْنُ سَاهِماً لَيْسَ يَدْرِي أَيْنَ يَمْضِي؛ وَأَيْنَ لَوْ شَاءَ يَمْضِي
طَالَمَا دَارَ بِالْأَنَامِ وَدَارُوا بَيْنَ رَفْعٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَخَفْضِ
ثُمَّ مَاذَا؟ تَسَاءَلَ الْكَوْنُ: مَاذَا؟ أَحْيَاةً مَا بَيْنَ غَزَلٍ وَنَقْضِ
أَيُّمَا غَايَةٍ نَوْمٌ إِلَيْهَا أَيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُهُ أَوْ سَأَقْضِ
تَعَبٌ ضَائِعٌ وَجُهِدٌ غَبِينٌ وَمَصِيرٌ مُقَنَّنٌ لَيْسَ يُرْضِي

* * *

وَسَرَى الْيَأْسُ وَالْحُمُولُ إِلَيْهِ فَتَرَاخَى فِي سَيْرِهِ كَالْبَلِيدِ
وَتَمَشَى الْهُمُودُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِشْيَةَ الدَّاءِ بِالْأَسَى وَالْكُنُودِ^(٢)

* نشرت عام ١٩٣٢

١- ساروه: واثيه

٢- الهمود: السكون.

فإذا الدَّوحُ في وجُومٍ كئيبٍ وإذا الطيرُ في دُھولٍ شريدٍ
وإذا الزَّھَرُ في الرياضِ أسيفٌ كصغارِ الأيتامِ في يومِ عيدٍ
وإذا بالزمانِ يعطو كسيحاً كأسيرٍ يُساقُ نضو القيودِ

* * *

وكانَّ السَّماءَ والأرضَ، مَرَضَى بِرِمَاتٍ بِثِقَلَةِ العُودِ! (١)
وترى السَّحْبَ في السماءِ تَغشَى ناظريها كصفحةٍ مِنْ رَمَادٍ
وترى الأرضَ كالكظيمِ مِنَ الحُزَنِ ثَكولاً تَسْرِبَلَتْ بالحدادِ
والفناءِ المريضِ، طافَ عليها طائفٌ مِنْهُ في ثَناءِ الرُّقادِ
كلُّ شَيْءٍ يَرْنُو إلى كلِّ شَيْءٍ! كسجينٍ يَرْنُو إلى الجَلادِ

* * *

مَاتَمَ صَامَتٌ يَهُومٌ فِيهِ شَبَحَ اليأسِ والقُنُوطِ العَقِيمِ
ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَيَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ فِي صِمَتِهِ كَالسَّقِيمِ
والوُجُومِ الَّذِي يُغشَى عليها كاسِفَ البالِ مُمَعِنٌ فِي الوُجُومِ!
وَحُفُوقُ الأرواحِ أَبْطَأَ نَبْضاً كَحُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيمِ (٢)
أَسْبَلَتْ عَيْنَهَا الحَيَاةُ سَآمًا وَاسْتَنَامَتْ لِلْيَأْسِ والتَّسْلِيمِ!

* * *

١ - العود: مفردها عائد: زائر المريض.

٢ - السديم: الضباب الرقيق

العبارة العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تترى وتتلوى؛ وتصرخ في حشجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتتري الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سحنته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألّم أكثر ما يألّم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَمَ الدَّهْرُ قَوَاهُ فَانْحَطَمَ وَتَتَرَّى الدَّاءُ فِيهِ وَالْأَلَمُ
وَدَوَّتْ مِنْ فِيهِ تَعْوِي صَرْخَةٌ تَتَلَوَّى فِيهِ حَتَّى تَحْتَدِمَ
صَرْخَةُ الْجَبَارِ يَشْكُو مُرْغَمًا ذِلَّةَ الشُّكُوى وَإِهْوَانَ الرَّغَمِ^(١)
يَشْتَكِي الْعِجْزَ وَمَا يُؤْلِمُهُ فِيهِ إِلَّا كَبْحُ نَفْسٍ تَضْطَرُّ
يَشْتَكِي الْعِجْزَ الَّذِي أَقْعَدَهُ عَنْ صَرَاعَاتٍ وَهَوْلٍ يُقْتَحِمُ
تَسْمَعُ الْقُوَّةَ فِي صَرْخَتِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعِجْزِ تَدْوِي فَتُصَمُّ
وَيَهْمُ الْبَأْسُ فِي أَشْلَائِهِ نَاهِضًا ؛ لَكِنَّمَا الْعِجْزُ جَثَمٌ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١ - الرَّغْمُ: الإلْجَاءُ.

أَيُّ مَعْنَى تَحْتَوِي صَرْخَتُهُ ؟ أَيُّ مَاضٍ فِي ثَنَائِهَا ارْتَسَمَ
هُوَ مَاضٍ نَازِلَ الدَّهْرِ بِهِ فِي عِنَادٍ شَامِخٍ حَتَّى انْحَطَمَ
هُوَ مَاضٍ غَامِضٌ تَكْنُفُهُ جَلْجَلَاتٌ، وَهَزِيمٌ؛ وَرُجْمٌ^(١)
هُوَ مَاضٍ مَارِدٌ مُقْتَحِمٌ لَا يَهَابُ الْمَوْتَ فِيمَا يَعْتَزِمُ
هُوَ مَاضٍ! أَيُّ مَاضٍ ؟ يَا لَهُ مُبْهَمُ التَّعْبِيرِ كَالدَّهْرِ الْأَصَمِّ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

نامت الصفر

أه

«الفاعل»*

لِمَنْ طَرَقَ خَرَسَاءُ صَمَاءُ تُعَوِّلُ أَقْضَ بِهَا النَّوَامَ فِي الْفَجْرِ مِعْوَلٌ^(٢)
لِذَلِكَ الصَّخَّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ وَلَمَّا يَنْزِلُ لَيْلٍ فِي الصُّبْحِ مَدْخُلُ
أَكْبَ عَلَى تَحْطِيمِهِ وَانْتِحَاتِهِ كَرَّاجٍ لَهُ فِي ذَلِكَ الصَّلْدِ مَأْمَلٌ^(٣)
يُطَوِّحُ فِي عَرْضِ الْفَضَاءِ ذِرَاعَهُ وَيَهْوِي عَلَى الصَّمَاءِ كَالْخَطْبِ يَنْزِلُ
وَلَكِنَّهَا تَلْقَاهُ صَمَاءٌ لَمْ تَلِنْ وَقَدْ خُذِلَتْ كَفَّاهُ، وَالصَّخْرُ يَخْذُلُ
يَدُورُ حَوَالِيهَا لِيُذْرِكَ مَقْتَلًا وَهَيْهَاتَ فِي الصَّلْدِ الْأَصْمَاءُ مَقْتَلُ
وَيَغْمِزُهَا غَمَزَ الْخَبِيرِ وَيَنْشِي يَحَاوِلُ مَا أَعْيَاهُ، لَا يَتَحَوَّلُ
وَقَدْ جَاشَ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّ نَابِضٍ وَسَالَ دَمٌ فِي صُورَةِ الْمَاءِ يَهْطُلُ!
وَحِينَ تَوَالَتْ طَرَقَةٌ بَعْدَ طَرَقَةٍ تَفْتَتُ تَحْتَ الْعِزْمِ مَا كَانَ يَصْمَلُ^(٤)
فَأَرْخِيَ ذِرَاعَيْهِ، وَأَسْنَدَ جِسْمَهُ إِلَى مِعْوَلٍ؛ نَضَاهُ لِلْكَدْحِ مِعْوَلُ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٤

١ - الفاعل: كلمة متداولة تعني (العامل)

٢ - تعوِّل: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

٣ - الصَّلْد: اللب الأملس الشديد.

٤ - يصمل: ما يكون ضخماً صلباً.

تَسِيلُ جُهوْدُ أَوْ دِمَاءُ نَقِيَّةٌ لِيُنْصَبَ تِمْثَالٌ ؛ وَيُرْفَعَ مَنْزِلُ
وما نَصَبُ التمثالِ للكادِحِ الشَّقِيِّ وليسَ له في ذلك القصرِ مَوْنٌ!
ولكن قُصاراهُ شَرابٌ وَلُقْمَةٌ وَمَأْمُلُهُ في ذلك الصِّلْدِ مَأْكُلُ!
قِفَارٌ كَمَثَلِ الصَّخْرِ أَسْوَدَ كَالْحِ وَأَفْرَاخُهُ كُثْرٌ؛ وَأَنْشَاهُ مُطْفِلٌ^(١)
فَإِنْ كَانَ إِكْلِيلٌ فَهَذَا جَبِينُهُ وَإِنْ كَانَ تِمْثَالٌ فَهَذَا الْمُثَلُّ
ويا رَحْمَةَ الْإِنْسَانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي أَمَامَ بَنِي الْإِنْسَانِ إِنْ كَانَ يَخْجَلُ!

* * *

١ - أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بِالنَّشِيدِ تَلَوَ النَّشِيدَ وَهُوَ يَمْضِي إِلَى مَدَاهِ الْبَعِيدِ
ذَكَرِيَّاتُ الْقُرُونِ قَدْ صَاغَهَا النِّيلُ نَشِيداً، فَيَا لَهُ مِنْ نَشِيدٍ!
يَنْظُمُ السَّحَرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْفَنِّ، وَيَشْدُو بِكُلِّ هَذَا الْقَصِيدِ
مَنْذُ فَجْرِ التَّارِيخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُهُ الْعَذْبُ مِنْ قَدِيمٍ جَدِيدِ

* * *

حَالِمٌ بِالرَّجَاءِ عِنْدَكَ يَا نِيلُ سَعِيدٌ بِحُلْمِكَ الْمَعْهُودِ
يَنْبُتُ الزَّهْرُ فِي خُطَاكَ بِهِيجاً ذَاكَ حُلْمُ تَأْوِيلِهِ فِي الْوُرُودِ

* * *

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ

من الفردوس إلى الجحيم *

أُحِلُّ يَا شَطُّ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي رَغَمَ سَحَرِ الْجَمَالِ وَالْمَوْجِ رَاحِلُ
رَاحِلُ حَشْدٍ نَفْسِهِ لَفَتَاتٌ لَيْسَ عَنْ فِتْنَةِ الْجَمَالِ بِغَافِلُ
قَدْ دَعَيْتُهُ إِلَى الرَّحِيلِ دِيَارُ فِي صَمِيمِ الْجَحِيمِ تُدْعِي الشَّوَاغِلُ
هِيَ قَبْرُ الْأَمَالِ وَالْفَنِّ وَالْحُبِّ سَبَّ وَقَيْدٌ عَنْ كُلِّ مَا شَاقَ شَاغِلُ
وَهِيَ دَارِي الَّتِي دَرَجْتُ عَلَيْهَا وَإِلَيْهَا الْمَآبُ مَهْمَا أُحَاوِلُ !
* * *

أُحِلُّ يَا شَطُّ بِالْجَمَالِ طَلِيقاً مِنْ قُيُودِ الزَّمَانِ نَشْوَانِ وَاهِلُ
أَسْكَرَتْهُ الْأَمْوَاجُ وَهِيَ تُزَجِّي دَفَعَاتِ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ نَازِلُ
فَيَرَى نَفْسَهُ خَفِيفاً غَرِيراً قَاهِراً قَادِراً يَجُوزُ الْحَوَائِلُ
دَفَعَاتُ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجِ أَسْنِي مِنْ بَرِيقِ الْأَمَالِ فِي نَفْسِ آمِلُ
* * *

أُحِلُّ يَا شَطُّ بِالْعَرَائِسِ حُوراً سَابِحَاتِ وَالْمَوْجِ ظَمَانُ نَاهِلُ
كَانَفَتَالِ الْحَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ وَثْباً وَانْتِشَاءِ الْغَزْلَانِ وَالشَّطُّ ذَاهِلُ
فِتْنَةٌ تَسْكُبُ الْحَيَاةَ عَلَيْهَا سَحَرُهَا وَالْعَيُونَُ حُورُ قَوَاتِلُ
* * *

وَانْدَفَاعُ الْأَمْوَاجِ يُوقِظُ فِي النَّفْسِ ظَمَاءَ مُرْقَرَقَا فِي الدَّخَائِلِ
وَانْطِلَاقاً مِنَ التَّزَمُّتِ وَالْعُرْفِ فَوْ شَوْقاً إِلَى الْمَبَاهِجِ وَاغِلُ
أُحِلُّ يَا شَطُّ لَنْ نَطِيقَ انْفِلَاتَا مِنْ رَحِيلِ إِلَى جَحِيمِ الشَّوَاغِلِ

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الهادي المقدس*

على ضفاف الخلود وفي شعاب الزمن
والدهر يحبو وليد قد كان هذا الوطن

* * *

يا فجر من ذا رآك تجول تلك السماء
وليس حي سواك تهدي إليه الضياء؟

* * *

رأتك تلك الضفاف رأيتك تلك البرور^(١)
رأتك قبل المطاف وأنت طفل غرير

* * *

وشبت الدهر شاب وحنكتك الحياة
والنيل بادي الشباب والزهر خطاه

* * *

ينساب مثل النغم في عزف ناي طروب
وكانسياب الحلم تضي عليه الغيوب

* * *

خريرة وموجه صلوات معطرات
النشيد القصيد أغنيات مرتلات

* * *

يا نيل كم من شراع أسلمتها
يا نيل كم من سفين أسلمتها
للوداع على مدار السنين

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٤

١- البرور: مفردا البر (الشاطئ)

يا نِيلُ كَمْ مِنْ جُمُوعٍ مَا جَتَ بتلك الضفافُ
يا نِيلُ كَمْ مِنْ زُرُوعٍ وَذِي وَذِي للقطاف

* * *

وَأَنْيَتَ صنوُ الخلودِ وفي يديك الزّمام
وكلِّ تعودُ مُجدِّدَ الأيّام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمِرُّعُ الشّياطين
ويستفيقُ الرُّعاهِ وتمرحُ القطعان

* * *

وينشطُ الزرزورُ يجمعُ العيدان
لِعِشِّهِ المَعْمُورُ بفرخه الوسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أحسُّ ركزَ الجموع
أراهمُ مُهْطَعِينَ فِي موكِبِ اللرييع

* * *

قد شَمَّروا للحصاد وخلفوا أمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكِبُ للرواحِ في كلِّ يومِ يؤوب
يزفهُ الفلاحُ على مَدَارِ الغروب

* * *

من تضم الحقول المريعة إلى الحمى والديار
الأبرار الطيبة أبناءها

* * *

لُحُونُهُ من صياح ومن رُغَاء النِّعَم (١)
ومن رجيع النَّبَاح ومن ثُغَاء الغنم

* * *

على مدار القرون يسيرُ فيه الرُّعَاةُ
كأنهم خالدون ما بدُّلُوا في الحياة

* * *

أَحَبُّ فَيْك الخلود يا أَيُّهَا الوادي
أَحَبُّ فَيْك الصمود للقاهر العادي

* * *

تَصِيبُ فَيْك الوفود وأنت يقظان ساهر
تصوغهم من جديد كأنما أنت ساحر

* * *

يا مَهْبط الأسرار من الغيوب العميقة
يا موطن الأسحار من القرون السحيقة

* * *

يَأْوِي إِلَيْكَ الزمانُ خوف البلى والفناء
يَأْوِي لِحَصْنِ الأمان فيستمدُّ البقاء

* * *

ووجهك الفَتَّانُ بلونه
يا طالما يَزْدَانُ بَرْعَكَ
الأسمِرُ الأخضرُ

* * *

ترنو له عيناى فى فتنه
يا أرضُ يا دنياى آية
العاشقُ الخالقُ

* * *

يا أرضُ كمْ تحلمين بالزهر أحلامَ شاعرُ
رؤاكِ طول السنين يا أرضُ ، تلك الأزاهرُ

* * *

وريحك المعروفُ يشمه
فى خاطري مألوف ميمز
أنفى العرفُ

* * *

يا أرضُ، هذا الصعيدُ مقدسٌ فى ضميري
سرى عليه الجدودُ وأخلدوا للقبورِ

* * *

يكادُ فرطُ الحنينُ إليهمُ فى شعوري
يردهم شاخصين إلى خلف الدهورِ

* * *

يا أرضُ سرُّ دفينٍ مُغيَّبٍ فى ثراكِ
يردُّنا موثقين إليكِ أسرى هواكِ

* * *

هذا الثرى المشور في صفحة الوادي
عرفته في الضمير رفات أجدادي

* * *

يا أرض. هذا النشيد من وحيك
فاقضي له بالوجود بسرّك
العبقري القدسي

* * *

ضي ليلة من ليالي الربيع*

في الجوّ رائحةٌ تُوسّوسُ في الحنايا والصُّدُورُ
نشوانةٌ خدرتْ يُعاودُها التوثُّبُ والفتُورُ
فتهمُّ كالشوق المجنَّح في متاهات الضميرِ
وكان رائحة الحياة تدبُّ في عبقٍ مُثيرِ

وأحسُّ بالنعيمات ساريةً ترقُّقُ في الدِّماءِ
كهتافٍ مشتاقٍ تولّه لا يكفُّ عن الدُّعاءِ
الأرضُ تفتنه ويَرْنُو في ابتهاجٍ للسَّماءِ!
والصَّمتُ يغمُرُه وفي الأحناءِ وسوسةُ الغناءِ!

والحبُّ والأشواقُ والظَّمأُ المغلغلُ للحياةِ
وهواتفُ الدنيا إلى القُبلِ المليحة في الشِّفاءِ
وترقُّقُ الخُرقاتِ في شَغفٍ يهيمُ إلى مداه^(١)
وتطلع الصُّوفي في شوقٍ إلى ذاتِ الإله!

هو ذا الربيعُ وإنّه لهوُ الهواتفِ والحنينِ
أبدًا يهيجُ إلى عوالمِ تائهاتٍ لا تبينُ
ويُهددُ الأحلامَ والذِّكراتُ شتّى والفُنونُ
فإذا الحياةُ هوى يرفُ وفتنةٌ وشجى دفينُ

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٤٥

١ - الخُرقات : نوع من العصافير.

جمال مزين*

أَجَلٌ مِنَ الْحُزَنِ وَالْمَأْتَمِ جَمَالُكَ. إِنَّ كُنْتُ لَمْ تَعْلَمِي!
وَقَدْ دَارَ حَوْلَ الْجَبِينِ الْخَمَارُ تَشَعُّعٌ^١ كَاللَّيْلِ بِالْأَنْجَمِ!
كَمَا أُرْسَلَ الصَّبْحُ لآلَاءِهِ بَرِيئاً مِنَ الصَّبْغِ كَالْعَنْدَمِ!^(١)
وَفِي شَفَتَيْكَ الْجَنَى وَالرَّحِيقُ وَلَكِنْ طَهَّرْتَ فَلَمْ تَأْثَمِي
وَكَفَّكَ فِي الصَّمْتِ حُزْنٌ شَفِيفٌ سِوَى قُبْلَةٍ وَصُوصَتْ فِي الْفَمِ!^(٢)
وَفِتْنَةُ هَذَا الْجَمَالِ الْعَمِيقِ وَطَهَّرَ نَمَاكَ إِلَى مَرِّمِ

* * *

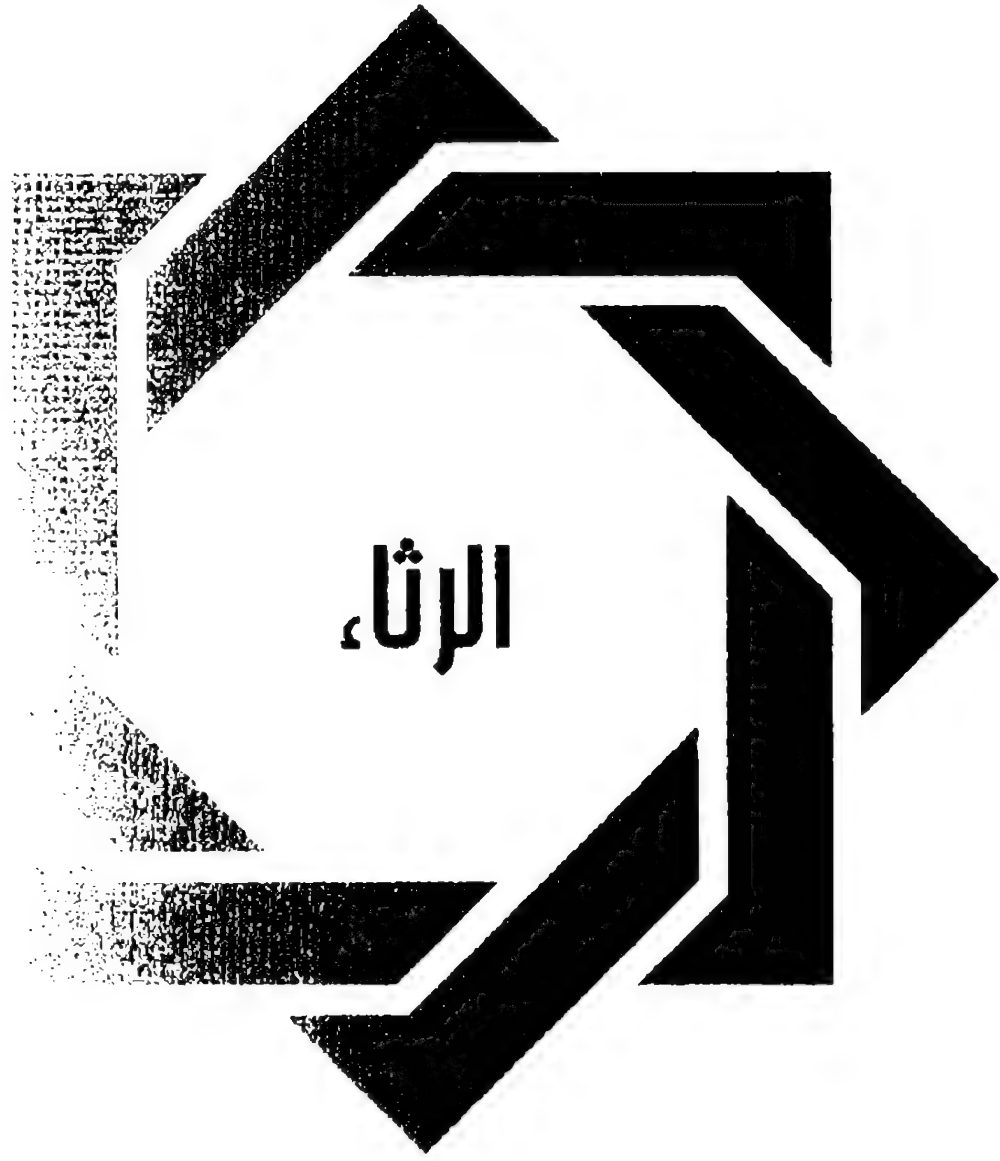
هُوَ الْحِلْمُ بَيْنَ ضِفَافِ الْجَنَانِ يَرْفُ عَلَى ثَغْرِكَ الْمُلْهَمِ
وَيَطْرُقُ عَيْنَيْكَ فِي سَبْحَةٍ إِلَى عَالَمٍ شَاعِرِي ظَمِي
تَحْجَبُ بَيْنَ شِعَابِ الْغُيُوبِ وَأَوْمَضَ فِي قَلْبِكَ الْمُفْعَمِ
ضَمِيرِي يُحْسِكُ أَغْرُودَةً عَلَى شَفَتِي خَاطِرِ مُبْهَمِ

* * *

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨

١ - العندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢ - وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نفاها فم بر منه إلا عيناها، والمراد
بـ ضمة سريعة خفيفة.



ودمّ المختار ما زالَ نديًا

يستحثُّ الخانعينَ الضُّعفاءُ

وضحايا الأَمْسِ والأَمْسِ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيئون الدُّعاء

ومنى الفلود*

الموتُ مرحلةُ الخلودِ والذكرُ عُمرٌ لا يبيدُ
فإذا انتهى أجلُ العظيمِ فذكره أجلٌ جديدُ
ماتَ الزعيمُ ولم تزلْ آثاره تُحيى الجنودُ
ومضى شهيداً طاهراً يا نعمَ ذِيَّكَ الشهيدُ
هو عَلمُ الشعبِ الجِها دُأيقظَ القومَ الرُّقودُ
هو كانَ روحاً بيننا يحيا فيُحيى مَنْ يُريدُ
هو كانَ كالأملِ المضيءِ ءَ وكانَ كالجدِّ السعيدِ
هو قد حبا الأشبالَ مِنْ عِزَمَاتِهِ بَأْسَ الأسودِ
فإذا مضى الأسدُ الهصو رُ فخلفه أسدٌ عتيدُ
وإذا خبا الرأيُ الرَّشيـدُ فخلفه رأيٌ رشيدُ
يا سعدُ أذمنتَ الجهو دُ فحسبنا تلكَ الجهودُ

* * *

نَمْ مطمئناً بعدما علّمتنا معنى الوجودِ
الشعبُ بعدك لم يعدْ يُثنيه وعدٌ أو وعيدُ

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨

الشَّعْبُ لَا يَرْضَى الْقِيَوَ دُ وَلَمْ تَنْلُ مِنْهُ الْقِيَوَدُ
الشَّعْبُ نَصَّبَ^{٧٥} مُصْطَفَاكَ وَكَاتَمَ السِّرَّ الْوُدُودُ
وَهُوَ الْأَمِينُ عَلَى الْعَهْوِ دِ فَمَا يُخُونُ وَمَا يَحِيدُ
يَا أَيُّهَا الْخَلْفُ الْعَظِيمُ — م وَيَا أَخَا الرَّأْيِ السَّيِّدُ
الشَّعْبُ خَلَفَكَ كُتْلَةً فِي مَوْقِفِ الْهَوْلِ الشَّدِيدِ
أَقْدَمَ عَلَى الْخَضَمِ الْعَنِيدِ — دِ يَحُوطُكَ الْجَيْشُ الْعَتِيدُ
مُسْتَلْهِمَا وَحَى الْفَقِيدِ فَإِنَّهُ وَحَى الْخُلُودُ
إِنَّ الْحَيَاةَ لِمَنْ صَحَا لَيْسَتْ لِعُشَّاقِ الْهَجُودُ

* * *

الذكرى الفالدة لسعد العظيم*

هي هذه الذكرى لثالثِ عامٍ حَثَّتْ رَكائِبُهَا يَدُ الأَيَّامِ؟
هي هذه ذكرى الخُلُودِ ورَمَزِهِ وشعارُهُ الباقي على الأعوامِ
ذكرى البُطُولَةِ والزَّمانِ يَحْفُها بِجَلالِهِ فَتَجَلُّ في الأفهامِ
جاءتْ تُحَدِّثُ في جَلالِ رَوْعَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِمِرارةِ الآلامِ
بَيْنَما تُذَكِّرُ بالحياةِ إذا بِها تَرْنُو مُحَدِّثَةً بِطَرْفِ دَامِ^(١)
مَمزُوجَةٍ الأَلوانِ تَعَصِفُ تارَةً وتَعُودُ هَامِسَةً بَوَحِي سَامِ
هي كالخُلُودِ المحضِ غيرِ مُحَدِّدٍ وهي اليَقينُ يَبْضُ بالأحلامِ
وهي النفوسُ حَيالُها في رَوْعَةٍ أَخْاذَةٍ مَسحُورَةٍ الإلهامِ
مَشْدُوهَةٌ ما إنْ تَفِيقُ وحولُها زُمُرٌ مِنَ الأَشباحِ والإلهامِ
مغمُورَةٌ الأَطرافِ شاعِرَةٌ الحِشا في غَمزَةٍ تَطْغى وفيضِ طامِ
هي هذه الذكرى وذاك جَلالُها تَحْنِي لِرَوْعَتِها أَعزَّ الهامِ

* * *

أَمْضَتْ ثَلانِياً كالقُرومِ طَوِيلَةً سُودَ المِفارِقِ جُلَلْتُ بِقَتامِ^(٢)
عَصَفْتُ بِمِصرِ الحادِثاتِ كأنَّها كانَتْ مُهَيَّاةً على الأقدامِ

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١ - بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسي وحزن.

٢ - القتام: الغبار الأسود.

وَمَشَتْ بِهَا هُوجُ الرِّيحِ جَرِيئَةً تَجْرِي لَهَا بِهَا بَغِيرِ زِمَامِ
وَعَلَتْ بُوُوسٌ كَنْ أَحْفَضَ هَامَةً وَأَذَلَّ مِنْ عِيرِ بَكْلِ مَقَامِ
هَمٌ قَدْ دَعَا دَاعِيَ الْغُرُورِ فَاسْرِعُوا وَهَمٌ ارْتَضَوْا مِنْ دَهْرِهِمْ بِحُطَامِ
وَدَعَاهُمْ الْوَطْنَ الْكَرِيمُ فَأَعْرَضُوا وَتَسَلَّلُوا لِلْخَضَمِ غَيْرِ كِرَامِ
هَدُمُوا مِنَ الدُّسْتُورِ رَكْنًا قَائِمًا وَتَعَلَّلُوا بِالزُّورِ وَالْأَوْهَامِ
وَتَصَيَّدُوا لِلشَّعْبِ كُلِّ مَسَبَّةٍ كِيدَ الْعَدُوِّ وَطَعْنَةَ الْأَخْصَامِ
لَوْلَا جَلَالُ الذِّكْرِيَّاتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهِمْ مُسْتَبْشَعِ الْآثَامِ!

* * *

يَا سَعْدُ وَالذِّكْرَى تُثِيرُ شَجُونَنَا وَتَهْدُنَا بِالْعَزَمِ وَالْإِقْدَامِ
وَتُطِيلُ رَوْحَكَ فِي جَلَالِ صَامِتٍ يُزْرِي بِكُلِّ إِشَارَةٍ وَكَلَامِ
يَا سَعْدُ تُؤَلِّيكَ الْقُلُوبُ حُشَاشَةً مِنْهَا تَقُومُ بِوَاجِبِ الْإِكْرَامِ
وَتَزُفُّ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ رَقِيقَةً تَسْرِي مَزُودَةً بِكُلِّ سَلَامِ
يَا سَعْدُ شَخْصُكَ فِي الْقُلُوبِ مُجَسَّمٌ فِي كُلِّ تِمَشَالٍ هُنَاكَ مَقَامِ!
إِنَّ الَّذِي يَحْيِي مَشَاعِرَ أُمَّةٍ تَحْيِيهِ بِالْأَرْوَاحِ لَا الْأَجْسَامِ

* * *

يَا أَيُّهَا الثَّائِي فِي تَذْكَارِهِ وَخِي الْخُلُودِ وَآيَةُ الْإِلْهَامِ
الْيَوْمَ تُذَكَّرُ وَالْجَلَالُ مُخَيَّمٌ وَالصَّمْتُ يَبْعَثُ شَاجِيَ الْأَنْغَامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغيَّبٌ عنا وذكرُك في المشاعرِ نامِ
إنَّا فقدنا بافتقارِك طلعةً وبقيتَ ذكرى خُلدت بِدوامِ
في كلِّ نفسٍ من سَنائك بقيةً وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هام^(١)
هذا هو الشعبُ الذي خَلَفته وسطَ الطريقِ مُيمماً لأمامِ
هو لا يزالُ مُجاهداً كعهوده هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعلامِ
أما الألى نكثوا العهدَ فما رَعوا إلا ولم يَستَمسِكوا بِذِمَامِ
فهم البُغاثُ جليلُهم وحقيرُهم وهم الذِّئابُ تَفَجَّعَ في الإجرامِ^(٢)
يا سعدُ لا تَقلقُ لِفعلَةٍ خارجِ أنتَ الخبيرُ بهذه الأَقْزامِ!
حَمَلَ اللّواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطَفَى يقفُو خطاكَ فكانَ أخلصَ حامِ
قد يَذهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما تبقى الليوثُ عن العرينِ تُحامِي

* * *

١ - هام: غزير.

٢ - البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسام دون أن يثير انتباهها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنكبة العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجريء الذي ألف جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جرأة عجيبة؛ ورجولة كاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مرهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيه وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيط بها الأحرار والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليتها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحجار ورصف الشوارع حتى وَهَنْت قواهم وأصاب الشهد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تهن فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكره، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة! وهذه القصيدة نفثة من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمل؛ فإذا كان بالشبان الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلا فحسبي هذه النفثة الحررى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَجَلِي يَا أَرْضُ وَارْعَى يَا سَمَاءُ مَصْرَعَ الْجِبَارِ بَيْنَ الْعُظْمَاءِ
مَصْرَعُ الْجَشَّامِ مَا إِنْ يَنْشِيْ أَوْ تُدَكُّ الْأَرْضُ أَوْ تُطَوَّى السَّمَاءُ^(١)
يَقِفُ الْهَوْلُ لَدَيْهِ خَاشِعاً وَهُوَ يَلْقَى الْهَوْلَ بِسَّامِ الرِّضَاءِ

* * *

نَالَ مِنْهُ الْمَوْتُ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ نَيْلَهُ الْغُصَّابُ فِي سَبْعِ وِلَاءِ
عَذَّبُوهُ وَنَفَّوهُ وَمَضُوا فِي فَنُونِ الظُّلْمِ مَا الظُّلْمُ يَشَاءُ!
أَرْسَلُوهُ حَيْثُ وَادِي الْمَوْتِ إِذْ لَا يَرَى الْأَحْيَاءُ أَطْيَافَ الرَّجَاءِ
فِي مَبَاءَاتٍ تُدَوِّي بَيْنَهَا جَلَجَلَاتُ الْمَوْتِ فِي هَوْلِ الْوَبَاءِ^(٢)
تَصْفُرُ الرِّيحُ بِهَا مُعْوِلَةً تَنْذِرُ الْأَحْيَاءَ فِيهَا بِالْفَنَاءِ
وَأَرَادُوا وَالْمَنَايَا حَوْلَهُ أَنْ يُذِلُّوا فِيهِ تِلْكَ الْكِبْرِيَاءِ
فَمَضَى يَأْنَفُ فِي سُخْرِيَةِ عَيْشِ ذُلِّ هُوَ وَالْمَوْتُ سَوَاءُ
لَمْ يَقْلُهَا: لَفْظَةً، لَوْ قَالَهَا لَقِيَ النِّعْمَاءَ مِنْهُمْ وَالْوِلَاءَ

* * *

لَيْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ يَدْرُونَ بِمَا صَنَعَ الْغُصَّابُ بِالنَّفْسِ الْبَرَاءِ
أَتُرَى أَنْعَتَهَا وَخَشِيَّةً فِي ظِلَامِ الْكَهْفِ لَمْ تَدْرِ الضِّيَاءُ؟
أَظْلَمُ الْوَحْشِ إِذَا شَبَّهَتْهُ بِوَحْشِ الْغَرْبِ تَمْتَصُّ الدِّمَاءُ!

١- الجشَّام: المتفحِّم.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِكُ الْوَحْشُ لِيَحْيَا بَيْنَمَا يَفْتِكُ الْغَرْبِيُّ حُبًّا فِي الثَّرَاءِ!
يَا شَبَابَ الشَّرْقِ هَذَا مَوْقِفٌ تَقْشَعُرُّ الْأَرْضُ مِنْهُ وَالسَّمَاءُ
وَدُمُ الْمَخْتَارِ مَا زَالَ نَدِ يَأْ يَسْتَحُثُّ الْخَانِعِينَ الضُّعَفَاءُ^(١)
وَضَحَايَا الْأَمْسِ وَالْأَمْسُ نَذِيرُ الْيَوْمِ يَدْعُو مَنْ يَجِيبُونَ الدُّعَاءَ

* * *

يَا شَبَابَ الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ إِذَا لَمْ تَكُونُوا جُنْدَهُ ضَاعَ هَبَاءُ
لَا يَرُدُّ الْحَقُّ قَوْلَ فَارِغٍ تَذْهَبُ الرِّيحُ بِهِ عَصْفَ الْهَوَاءِ
إِنَّمَا يُجْدِي جِهَادَ عَارِمٍ وَخِصَامٍ وَنِضَالٍ وَعَنَاءٍ
إِنَّمَا يُجْدِي إِذَا نَبَعْتُهَا كَهَزِيمٍ^{٩٥} الرِّعْدُ تَدْوِي فِي الْفَضَاءِ
إِنَّمَا يُجْدِي إِذَا مَا أَيْقُنُوا أَنَا كَالْغَرْبِ قَوْمٌ أَقْوِيَاءُ

* * *

يَا شَبَابَ النِّيلِ مَاذَا؟ وَيَحْكُمُ! أَفَأَنْتُمْ حَيْثُ يُحْيِيكُمْ دُعَاءُ؟
يَا شَبَاباً نَاعِماً مُسْتَأْنَثاً كَذَوَاتِ الْخَدْرِ فِي ظِلِّ الْحَبَاءِ!^(٢)
يَا شَبَاباً تَافَهَا مُحْتَقِراً تَأْنِفُ الْأَجْيَالُ مِنْهُ فِي اِزْدِرَاءٍ
يَا شَبَاباً هَمُّهُ لَذَاتُهُ فَهُوَ يَحْيَا بَيْنَ كَأْسٍ وَخَنَاءٍ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبقار .

يا شباباً قُصِرَتْ آمالُهُ كخَشَّاشِ الأَرْضِ مَرَمَاهُ الغِذاءُ
يا شباباً نُكِبَ النِيلُ بِهِ فِي الأمانِي والتَّعالِي الوِضاءُ
يا شبابَ النِيلِ هَلْ أَبْصَرْتُمُو فِي فِتْيِ السُّودانِ كَيْفَ الشُّهداءِ؟
عُمُرُ الإِيْمانِ بِالْحَقِّ لَهُ مَهْجَةٌ حَرَّى فِجَادَتْ بِالْفِداءِ
يا شبابَ النِيلِ هَذَا مِثْلٌ لَجَلالِ المَوْتِ فِي ظِلِّ الإِباءِ
ما يَقولُ الشُّعْرُ فِي هَذَا وَمَا حِيلَةُ الشُّعْرِ؟ وما طَوْقُ الرِّثاءِ؟
مَوْقفٌ جَلٌّ عَنِ الشُّعْرِ فَهَلْ يُكْمِلُ التَّارِيخُ بَدْءَ الشُّعراءِ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْسٌ مَضَيْنَ تَجُنُّكَ الْأَسْتَارُ فِيهَا. وَقَبْرُكَ كَعْبَةٌ وَمَنَارُ
 فِي كُلِّ مَطْلَعٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ذَكَرَى تَرَاحُمَ حَوْلَهَا الْأَفْكَارُ
 بَاقٍ عَلَى عَنَتِ الْخُطُوبِ وَعَسْفِهَا مَجْدٌ تَقَاصَرَ دُونَهُ الْأَنْظَارُ
 تَتَصَرَّمُ^{١٦} الْأَيَّامُ وَهُوَ مُوْطَدٌ يَعْنُو الْخُصُومُ لَدَيْهِ وَالْأَنْصَارُ
 وَكَأَنَّهُ عِلْمٌ يُنِيفُ عَلَى الْوَرَى تَرْنُو إِلَيْهِ وَتَخْشَعُ الْأَقْدَارُ
 وَتَضَاعِلُ الْأَشْخَاصُ عَنْهُ وَيَسْتَوِي فِي ظِلِّهِ الْأَقْرَامُ وَالْجَبَارُ!

* * *

مَاذَا يُطِيقُ الْكَوْنُ أَنْ يَنْسَاهُ مِنْ سَعْدٍ؟ وَكُلُّ عَظِيمَةٍ تَذَكَارُ؟
 هَلْ كَانَ إِلَّا فِي الْعِظَائِمِ مَوْئِلًا فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ عَنْدَهُ الْأَبْصَارُ
 تَدْوِي حَوَالِيهِ الْخُطُوبُ وَتَنْشِي كَأَشَمَّ يَعْصِفُ حَوْلَهُ الْإِعْصَارُ
 فَإِذَا مَضَى الْهَوْلُ الْمُرَوِّعُ وَانْجَلَتْ غَمْرَاتُهُ وَتَرَاحَتْ الْأَخْطَارُ
 أَبْصَرْتَ تَحْتَ الْهَوْلِ بَسْمَةً هَادِيَةً رَاضٍ أَشَمَّ كَأَنَّهُ الْمِقْدَارُ
 رُوحٌ تَجِلُّ عَنْ الْحَيَاةِ وَأَهْلِهَا وَصُرُوفِهَا، وَتَحْفُّهَا الْأَسْرَارُ
 رُوحَ الْبَطُولَةِ وَالْبُطُولَةِ طَلَسَمَ كَالسَّحَرِ تَذْهَشُ عَنْدَهُ وَتَحَارُ
 أَفْذَاكِرُ أَنْتَ الْجُمُوعَ وَحَشْدَهَا لِمَا دَعَا سَعْدُ الْجُمُوعَ فَثَارُوا

* نشرت عام ١٩٣٢

ماذا أبركانُ تفَجَّرَ أم ترى موجَ أشمِّ أحمِّ؟ أم تيارُ
سحر البطولةِ أو شواظُ لهيبها يُذكي النفوسَ فكلُّها مغوارُ
ذكرى تُقدِّسُها البلادُ كريمةٌ وتصوُّن روعةَ مجدها وتغارُ
هي بعضُ تاريخِ البلادِ فلم تكنْ تاريخَ فردٍ ينطوي ويشارُ!
ذكرى يحفُّ بها الجلالُ وتنزوي بإزائها الأحقادُ والأوزارُ
ذكرى تُطلُّ كأنها قُدسيَّةٌ فكلُّ تحت ظلالها أبرارُ
فلتغن للذكرى الجباهُ وتنحنِ الهاماتُ ولتخشعُ الأبصارُ

* * *

طليلة الضحايا*

سَجَلِي يَا أَرْضُ وَارَعِي يَا سَمَاءُ مَصْرَع النَّسْرِينَ فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ^(١)
سَجَلِيهِ بِمَدَادِ الْفَخْرِ لَا بَلْ بِفَيْضٍ مِنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ
مَصْرَعُ الْأَسَادِ فِي آجَامِهَا لَا كَمَا تَلْقَى مَنَايَاهَا الظُّبَاءُ!
سَجَلِيهَا رَوْعَةٌ قَدْ مُزِجَتْ مِنْ أَسَى الْحَزَنِ، وَمِنْ فَيْضِ الْعَزَاءِ
وَضَحَايَا الْمَجْدِ فِي مَذْبَحِهِ يَلْتَقِي الْيَأْسُ عَلَيْهَا وَالرَّجَاءُ!
وَهِيَ الْقُرْبَانُ يَفْدِي أُمَّةً إِلَيْهِ مَا أَكْرَمَهُ هَذَا الْفِدَاءُ

* * *

دُومًا وَالرَّيْحُ فِي مُعْتَرِكٍ صَاحِبِ الْأَنْوَاءِ، مِشْوُومِ الْعَوَاءِ
وِظْلَامٌ فِي ظَلَامٍ مُبْهِمٍ يَخْشَعُ الْهَوْلُ لَدَيْهِ وَالْفَنَاءُ
طَامِسُ الْأَثَارِ مَجْهُولُ الْخُطَا لَا دَلِيلَ، لَا شُعَاعَ؛ لَا ضِيَاءَ
وَهُمَا فِي جَوْفِهِ تَحْدُوهُمَا هِمَّةٌ قَعَسَاءُ تَأْبَى الْأَنْزَوَاءَ
يَلْطُمَانِ الرِّيحِ إِمَّا لَطَمَتْ وَيَرْوِغَانِ كَأَطِافِ الْهَوَاءِ
أَشْرَبَتْ نَفْسَاهُمَا حُبَّ الْعَلَا وَأَرَادَهَا حَيَاةً فِي السَّمَاءِ
قَدْ أَرَادَا؛ وَأَرَادَ اللَّهُ مَا كَانَ؛ سُبْحَانَكَ تُمْضِي مَا تَشَاءُ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١ - هذا البيت للمفيل في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إِيَّاهُ يَا مِصْرُ عِزَاءً إِنَّمَا أَنْتِ أَوْلَى بِالتَّحِيَّاتِ الْوِضَاءُ
قَدْ بَذَلْتِ الْيَوْمَ مَا تَبَذَّلُهُ أُمَّةٌ شَاءَتْ حَيَاةَ النَّبَلَاءِ
أُمَّةٌ قَدْ أَعْلَنْتْ قِسِمَتَهَا مِنْ صَمِيمِ الْمَجْدِ بَيْنَ الْقُسَمَاءِ!
وَدَمٌّ يُهْرَاقُ فِي تَضْحِيَةٍ سَوْفَ يَسْرِي نَحْوَهُ بَيْنَ الدَّمَاءِ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلة الحياة المقدسة بين يديه،
وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد همدت في الضلوع الحياة فما يَرْجُفُ القلبُ أو يخفقُ
وقد غابَ لألاؤها في العيون فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنْتُ نائمةً في حشاه فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَإِذَا قُرْبَهَا لَحْظَةٌ فِي الزَّمانِ ويا بُعدَ آثارها تنطقُ
وتَنْقُلُ من عَالَمٍ صَاحِبٍ إِلَى عَالَمٍ صَمْتُهُ مُطْبِقُ

* * *

تقيم الحياة هنا مائماً وما إن تَنِي جَزَعاً تَفْرُقُ^(١)
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ بأبنائها الكلَّ لا تَفْرُقُ
فجميعُها في صِغارِ الفراشِ كموتِ الفَتَى حَدِثَ مُرْهَقُ
هو الموتُ في كُنْهه واحدٌ ويُرْهَقُ مَنْ بعدَ مَنْ يَزْهَقُ
قد اندخرت في صِراعِ الرَّدَى فحقَّ لها كلُّ ما تَخْنَقُ!

* * *

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨

١ - تني: تضعف.

وَتَرْجُفُ فِي كُلِّ حَيٍّ إِذَا أَصَابَ سِوَاهُ الرَّدَى الْمُزْهِقُ
أَشِعَّتْهَا فِي جَمِيعِ النَفُوسِ يُرْقِرُهَا مَصْدَرٌ يَأْلَقُ
فَإِنْ مَسَّهُ مَا يَغُضُّ الضِيَاءَ تَذْبُذِبُ لِأَلَاؤِهَا الْمُشْرِقُ^(١)
فِيَا دَمْعَةً رَقَرَقَتْ فِي الْعَيُونِ لَأَنْتِ الْحَيَاةُ هَمَّتْ تَدْفُقُ
يَعِزُّ عَلَى النَّفْسِ فَقَدْ الْحَيَاةُ فَتَجَزَعُ لِلْمَوْتِ إِذْ يَطْرُقُ

* * *

١ - الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعها المتفرقة ومتى مسه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأفيـر*

زَوَّدِيْنِي مِنْ الرَّجَاءِ الْأَصِيلِ مُشْرِقاً فِيكَ فِي الْحَيَا الْجَمِيلِ
أَنْتِ كَنْزٌ مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ وَدُنْيَا مِنْ السَّنَا الْمُعْشُولِ
خَفَّةُ الطَّيْرِ وَانْطِلَاقُ الْأَمَانِي بَعْضُ مَا فِيكَ وَانْطِلَاقُ السُّيُولِ
وَهَجٌّ يُبْهِرُ النُّفُوسَ وَيُزَكِّي خَفَقَاتِ الْقُلُوبِ عِنْدَ الْمُثُولِ
ذَخَرْتُكَ الْحَيَاةُ كَنْزَ حَيَاةٍ وَرَصِيداً لِمَالِهَا الْمَبْدُولِ!

* * *

زَوَّدِيْنِي لَكَادَ يَنْفَدُ زَادِي فِي صِرَاعٍ مِنَ الْحَيَاةِ طَوِيلِ
كَادَ يَخْبُو الْمَصْبَاحُ إِلَّا بِصِيصاً فَاسْكِي الزَيْتَ فِي بَقَايَا الْفَتِيلِ
كُنْتُ كَالْجَذْوَةِ الْمُشِعَّةِ نُوراً وَهِيَ الْيَوْمَ فِي طَرِيقِ الْأَفُولِ
فِيكَ زَادٌ يَقْوَتُنَا وَيَقِينَا عَثَرَاتِ الطَّرِيقِ بَيْنَ التُّلُولِ
أَنْتِ لَا غَيْرُكَ الْقَدِيرَةُ أَنْ تُزَكِّي حَيَاةَ بِخَاطِرِي وَمُيُولِي

* * *

حِينَ أَلْقَاكَ يَغْمُرُ الْبِشْرُ نَفْسِي بِرَجَاءٍ مُشْعَشَعٍ مَوْضُولِ
وَأَرَى عِبْئِي الثَّقِيلَ خَفِيفاً وَأَرَى نَاهِضاً بِعِبْئِي الثَّقِيلِ
وَكَأَنِّي اسْتَشْعَرْتُ رُوحَ شَبَابِي وَرَجَعْتُ الزَّمَانَ صَغَبَ الْقُفُولِ
فَأَعِيدِي إِلَيَّ مَاضِي عُمْرِي وَاعْمُرِيهِ بِالْبِشْرِ وَالتَّامِيلِ
وَاطْلُعِي فِي قِفَارِ نَفْسِي حَيَاةً وَإِذَا مَا دَجَى عَالَمِي أَوْ مَضَى لِي

* * *

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١

نوسه أه شطر من العصر*

نوسه قطه صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الود والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أغمضي عينيك قد آن الأوان ودعيني فهة للشجن
وأمني دنياك في آتي الزمان ودعيني لعبة للزمن!

* * *

هذه كفى وقد مررت عليك في خان وارتياح وولوع
لم تحسسيها ولم ينبض لديك قلبي النابض من بين الضلوع

* * *

هذه الكف التي كم دلتك وسدتك اليوم أطباق الثرى^(١)
أي حاليتها ترى أحنى عليك؟ ليتني أدري. ومن فينا درى؟

* * *

ذلك الصوت الذي ترتقين قد دعاك اليوم من خلف الحجاب
قد دعاك. إنما لا تسمعين أسدل الستر وقد عي الجواب

* * *

نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ -
١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أَنَا يَا «نُوسَةَ» وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ مُوَحِّشُ النَّفْسِ شَجِيٌّ لِلْمَغِيبِ
مَوْضِعُ الصَّاحِبِ وَالطِّفْلِ الْحَبِيبِ قَدْ خَلَا فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ الْغَرِيبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الَّذِي قَدْ عَشَّتْ فِيهِ مِنْ حَيَاتِي مَوْضِعاً لِلْحَدَبِ
مَا مَضَى مِنْ دُونِهِ أَوْ مَا يَلِيهِ غُرْبَةً تَقْسُو عَلَى مُغْتَرِبِ

* * *

إِنِّي أَبْكِيكَ يَا ظِلَّ الشَّبَابِ إِنِّي أَبْكِيكَ يَا طَيْفَ الْبَنِينَ
رُفْقَةً طَالَتْ عَلَى خَيْرِ اصْطِحَابٍ لَكَ عَطْفِي وَلِي الْوُدُّ الْمَكِينُ

* * *

لَمْ يَكُنْ وَدٌّ بَطُونٍ وَطَعَامٍ إِنَّمَا وَدٌّ اصْطِحَابٍ وَوَفَاءٍ
طَالَمَا آثَرْتَ إِنْ غَبَّتُ الصِّيَامَ أَوْ تَلَوَّذِينَ بِصَمْتٍ وَأَنْزَوَاءِ

* * *

فَإِذَا عُدْتُ فَوْتَبٌ وَمُؤَاءٌ نَاطِقٌ بِالشُّوقِ أَوْ بِالْفَرَحِ
وَالْأَعْيَبِ وَخَمَشٌ وَالتَّوَاءُ وَتَشْنِ نَاطِقٌ بِالْمَرْحِ

* * *

طَالَمَا نَادَيْتَنِي عَذْبَ النَّدَاءِ فِي وَدَاعٍ حِينَ أَمْضِي أَوْ لِقَاءِ
فِي صَبَاحٍ حِينَ أَصْحُو أَوْ مَسَاءِ بِوُثُوقٍ وَاعْتِدَادٍ وَذِكَاءِ!

* * *

طالما أَحَسَّسْتُ أَنِّي لَكَ وَحْدَكَ لَا تَطِيقِينَ شَرِيكاً أَوْ شَبِيهاً
طالما وَطَّأَتْ فِي حَجَرِي مَهْدَكَ فَعَلَّةُ الْطِفْلَةِ فِي حُضْنِ أَبِيها

* * *

كُنْتُ لِي كَلِّكَ فِي هَذِي الْحَيَاةِ أَيْنَ مَنْ أَلْقَاهُ فِيها لِي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَنْ أَلْقَى لَهُ فِيها هَوَاهُ وَلَهُ آمَالُهُ فِيها وَشُغْلُهُ!

* * *

قَدْ خَلَا حُضْنِي وَكَفَّى وَذِرَاعِي قَدْ خَلَا قَلْبِي مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ
مُنْذُ دَعَا الْمَوْتَ فَأَصْغَيْتِ لِدَاعِ مَنْ دَعَاهُ لَمْ يُعَقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أَنَا يَا «نُوسَةَ» أَمْضِي وَاللَّيَالِي وَخَوَاءُ الْمَوْتِ يَغْشَى عَالَمِي
رَسْمُكَ الشَّاخِصُ يَبْدُو كَالْخِيَالِ أَوْ كَحُلْمٍ فِي ضَمِيرِ الْحَالِمِ

* * *

وخيالاتك فِي كُلِّ مَكَانٍ شَاخِصَاتٍ تَتَرَاءَى لِلْعَيَانِ
تَصْحَبُ الْعُمَرَ عَلَى خَطْوِ الزَّمَانِ هَاهُنَا كُنْتُ وَقَدْ كَانَ وَكَانَ

* * *

هَذِهِ أَنْتِ إِلَى حُضْنِي أَوَيْتِ هَذِهِ أَنْتِ أَمَامِي قَدْ رَبَضْتِ
هَذِهِ أَنْتِ عَلَى صَدْرِي وَثَبْتَ لَهْفَ نَفْسِي! أَيْنَ أَنْتِ أَيْنَ أَنْتِ؟

* * *

ها هو الصبحُ فأينَ الوثباتُ هذه كفى فأينَ اللّمساتُ؟
ها هو الأكلُ فأينَ الهمهماتُ؟ أينَ أينَ؟ كلُّ ما قد كانَ فاتُ!

* * *

أينَ قطّأتكَ في الحرزِ الأمينِ مَنْ دنا منها عليه تشينُ
غير أني لي وحدي تأمينِ وإذا مُسّت فيّ تستنجدين؟

* * *

سَكَتَ الصوتُ وقد كانَ غناءً! سَكَتَ الوثبُ وقد كانَ مضاءً
وامتلاءً البيتِ قد أمسى خواءً كلُّ مَنْ فيه قد استلقى عياءً

* * *

ها هنا كنتِ؟ أمّا هذا ضلالٌ؟ وتهاويلُ حمّارٍ أو خبالٌ؟
لم يكنْ شيءٌ ولم يطرأ زوالٌ كلُّ ما كانَ خيالاً في خيالٍ!

* * *

ضلّةٌ للناسِ في آمالِها والمنايا رابضاتٌ بالوصيدِ
زُمر تمضي إلى أجالِها والذي يحيا يُرجى في الخلودِ!

* * *

طدي الصابغة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم
هأنذا أعاني من الفجيرة فيه كأنها فجيعة الخاصة... فيا ويح لأولئك
الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمته لهم كيف يعيشون...؟
جَسَفَ الرِّثَاءُ بِخَاطِرِي الْمَفْجُوعِ وَصَمَتُ لَا أَفْضِي بغير دُمُوعِي
إِنِّي ذَهَلْتُ عَنِ الْمَصَابِ بِرُوقِهِ حِينًا، ذُهُولَ الْوَاهِمِ الْمَخْدُوعِ
فَظَلَلْتُ أَنْصِتُ لِلرَّجَاءِ، وَأَتَّقِي صَوْتَ الْيَقِينِ الْفَاجِعِ الْمَشْمُوعِ
أَيَمُوتُ؟ كَلَّا! لَا يَمُوتُ وَهَذِهِ مَضْرُ تُرْجَى نَجْمُهُ لِسَطُوعِ
أَيَمُوتُ وَالْأَحْسَدَاتُ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ أَتَكُونُ تِلْكَ هُتَافَةُ التَّوْدِيْعِ؟
قُلْ أَيُّهَا النَّاعِي سِوَاهُ؟ فَمَا أَرَى أَنِّي -- وَإِنْ جَاهَدْتَنِي -- بِسَمِيعِ!

* * *

رَاوَيْلَتَاهُ! إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ جَلَّتْ عَنِ الْإِيْجَافِ وَالتَّرْوِيْعِ؟^(١)
صَمَتَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَلْحَنَ حُجَّةً وَتَحَدَّثَتْ طَعْنَاتُهُ بِنَجِيعِ^(٢)
مُتَفَجَّرَاتٍ بِالْدَّمَاءِ كَأَنَّهَا كَلِمَاتُهُ فِي قُوَّةٍ وَنُصُوعِ
كَلِمَاتِهِ اللَّائِي نَبْضُنَ بِقَلْبِهِ وَدِمَاؤُهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَنْبُوعِ

* * *

* نشرت في آذار (مارس) ١٩٤٥

١ - الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه، وجف القلب: خفق، قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾
والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢ - النجيع: دم الجوفز

يا واهسب الرادي مَرِيسَ حَيَاتِهِ ما بالْ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَرِيعٍ؟
يا مانع السوادي العزيز بِنَفْسِهِ ما بالْ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَنِيعٍ؟
خَطَفَتْكَ عَادِيَةُ الْمُسُونِ وَخَلَفَتْ وَطَنًا يُعَالِجُ سَكْرَةَ الْمَضْرُوعِ
لَيْسَ لَكَ مَكَانُكَ لَيْسَ يَمَلَأُ رَحْبَهُ إِلَّا الْأَسَى وَتَفْجُوعُ الْمَفْجُوعِ
لَمَلَأَ مَكَانُكَ وَالْبِلَادُ تَهَيَّاتْ تَخْطُو إِلَى أَفْقٍ رَسَمْتَ وَسِيعِ
وَتَلَفَّتْ تُصَفِّي لَصَوْتِكَ هَادِيًا فِي الْمُدْلَهَمِّ وَرَأْيِكَ الْمُسْمُوعِ
فَصَمْتُ - يَا لِلْهَوْلِ - صَمْتَةً وَاجِمَ مَاضٍ لَغِيرِ تَأَوُّبٍ وَرُجُوعِ
وَاهَاً لِمَضْرُوبٍ يَا فَجِيعَةً أَهْلِهَا فِي الرَّائِدِ الْمُتَفَرِّدِ الْمُتَبُوعِ!

* * *



تُبْعُونَ الاستقلالَ؟ تلك طريقُهُ

ولقد أَخَذْتُمْ بالطريقِ فَيَمُمُوا

وهو الجهادُ حمِيَّةٌ جَشَّامَةٌ

ما إِنْ تخافُ من الرَّدَى أو تُحْجَمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهْدٌ عَلَى الْأَيَّامِ أَلَا تَهْزَمُوا
فِي حَيْثُ تَعْتَبُ الدِّمَاءَ فَأَيَقُنُوا
تَبْعُونَ الْإِسْتِقْلَالَ؟ تِلْكَ طَرِيقُهُ!
وَهُوَ الْجِهَادُ حَمِيَّةٌ جَشَّامَةٌ
إِنْ الْخُلُودَ لِمَنْ يَطِيقُ مُيَسَّرٌ
وَطَنٌ يُقَسِّمُ لِلدَّخِيلِ هَدِيَّةً
الشَّرْقُ يَا لِلشَّرْقِ تِلْكَ دِمَاؤُهُ
الشَّرْقُ وَيَحِ الشَّرْقُ كَيْفَ تَقَحَّمُوا
غَرَّتْهُمُ سِنَةٌ الْكَرَى فَتَوَهَّمُوا
سِنَةٌ وَمَرَّتْ وَالنِّيَامُ تَيْقُظُوا
الْيَوْمَ فَلْيَلِغُوا الدِّمَاءَ فِي غَدِ

فَالنَّصْرُ يَنْبُتُ حَيْثُ يُهْرَاقُ الدَّمُ
أَنْ سَوْفَ تَحْيَوْنَ بِالدِّمَاءِ وَتَعْظُمُوا^(١)
وَلَقَدْ أَخَذْتُمْ بِالطَّرِيقِ فَيَمَّمُوا
مَا إِنْ تَخَافُ مِنَ الرَّدَى أَوْ تُحْجِمُ
فَلِيَمِضْ طَلَابُ الْخُلُودِ وَيُقَدِّمُوا
فَعَلَامَ يَحْجِمُ بَعْدَ هَذَا مُحْجِمُ؟
وَالْغَرْبُ يَا لِلْغَرْبِ يُضْرِيهِ الدَّمُ^(٢)
حَرَمَاتِهِ الْكُبْرَى وَكَيْفَ تَهْجَمُوا
يَا لِلذِّكَاةِ! فَكَيْفَ قَدْ غَرَّتْهُمْ؟
فَلْيَعْلَمُوا مَنْ نَحْنُ أَوْ لَا يَعْلَمُوا!
فَلْيَنْدَمُوا عَنْهَا وَلَاتِ الْمُنْدَمُ^(٣)

* * *

أَبْطَالَ الْإِسْتِقْلَالَ تِلْكَ تَحِيَّةٌ
إِخْوَانُنَا فِي الْحَالِ وَالْعُقْبَى مَعًا
مُضِرَّ الْفِتَاةِ وَمَا تَزَالُ فِتْيَةٌ
فِي كُلِّ مَطْلَعٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ

مِنْ مِصْرَ يَبْعَثُهَا فِرَادٌ مُفْعَمٌ
إِخْوَانُنَا فِيمَا يَلْدُ وَيُؤْلِمُ
تَهْفُؤُ إِلَيْكُمْ بِالْقُلُوبِ وَتَعْظُمُ
نَارٌ مِنَ الشَّرْقِ الْفَتَى سَتَضُرُّمُ

* * *

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١ - تعتبط: من عبطة الموت أي مات شابا صحيحا.

٢ - يضريه: يجعله من الضواري .

٣ - فليغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البدارى*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البدارى المقتول مع أهالى البدارى عامة؛ وسجين البدارى خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العَرَضُ الشريفُ يُثَلَّمُ؟ وَيَسِيلُ مِنْ حَنْقِ حَوَالِيهِ الدَّمُ؟
ومن الذي سَامَ النفوسَ مَهَانَةً يَأْبَى وَيَأْنِفُهَا الذَّلُّ الأَعْجَمُ؟^(١)
من كلِّ ما عَوْرَاءُ تُكْشَفُ جَهْرَةً وَيُهَانُ مِنْهَا مَا بُصَانُ وَيُكْرَمُ
وَكِرَامَةٌ يَشْتَطُّ فِي تَحْقِيرِهَا نَذْلُ حَقِيرِ الْقَلْبِ لَا يَتَأَثَّمُ
في أيِّما بلدٍ نعيشُ؟ وأيِّما عَهْدٍ نُسَامُ الخُسْفِ فيه وَنُبْتَلَى
وَحَشِيَّةٌ كَشَفَ الزَّمَانُ حَجَابَهَا لَا بَلْ أَشَدُّ مِنَ الْوَحْشِ وَأَظْلَمُ
الْوَحْشُ يَضِلُّ جَائِعًا وَيَعِفُّ عَنِ فِتِكَاتِهِ إِذْ مَا يَعِبُّ وَيَطْعَمُ^(٢)

يا أيُّهَا الرُّفَقَاءُ بِالْحَيَوَانِ لَا تَنْسَوُوا أَنْاسِيًّا ثَنًى وَتَأْلَمُ
في مِصْرٍ قَدْ تَلَقَّى الْكِلَابُ رِعَايَةً بَيْنَا يُحَقِّرُ شَعْبَهَا وَيُحَطِّمُ!
في مِصْرٍ لَا يَلْقَى الْمَسِيءُ جَزَاءَهُ لَا بَلْ يُكَافَأُ دُونَهُ وَيُكْرَمُ
في مِصْرٍ مَا لَا يَحْفَظُ التَّارِيخُ مِنْ فُحْشٍ يَعِجُّ بِهَا وَفُحْشٍ يُكْتَمُ
في مِصْرٍ! لو في مِصْرٍ بَعْضُ كِرَامَةٍ غَضِبَتْ وَفَارَ عَلَى جَوَانِبِهَا الدَّمُ!

مَاذَا يَعِزُّ عَلَى الْهَوَانِ نَصُونُهُ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْ حُرْمَاتِنَا مَا نُكْرَمُ!
الموتُ! يَا لِلْمَوْتِ! أَشْرَفُ شِرْعَةٍ مِمَّا نُسَامُ بِهِ وَمِمَّا نُوسَمُ

*

نشرت عام ١٩٣٢
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الدم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجّت الدنيا فماذا ترتقب مصر من أهوالها حتى تشب؟
ضجّت الدنيا من الهول الذي ترك الدنيا جميعاً تضطرب
فأر ماء النيل أو صار إلى حمم أو نعمة منه تُصب
وأرى مصر تعاني سكرة وإذا تصححو تولت تتجيب؟
مصر. يا مصر. وما يُجدي البكا غيبة يا مصر كالليث وثب
غيبة يا مصر. أو. لا. فاذرُجي في قيود الذلّ وارضى بالحرب
* * *

أفهي مصر أم ماذا أرى؟ أمة أخرى وشعب مُنقلب
أم ترى الأيام دارت دورة فإذا الأسد شياه تُحتلب؟
ما عهدنا مصر تُمطي ظهرها كذلول النوق من شاء ركب!
المطايا حين تخشى حتفها تُعط السائق من دون العطب!
* * *

مصر لما غضبت غضبتها لم يرعها الغرب لما أن غضب
أرسلتها صيحة داوية كهزيم الرعد جياش اللجب^(١)

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أَنْصَتَ الْغَرْبُ لَهَا وَاسْتَمَعَتْ أُذُنُ الْعَالَمِ مِنْ خَلْفِ الْحُجُبِ
وَأَحْسَسَ الظُّلُمُ مِنْهَا زِعْدَةً تَمْشِي فِيهِ كَالرُّغَبِ يَدُبُ
لَمْ تَرُعْنَا هَجْمَةً مِنْهُ عَلَى رُسُلِ الْحَقِّ غَشُومًا يَحْتَطِبُ
سَالَتْ الْأَنْفُسُ فِيهَا فَارْتَوَتْ تَرْبَةُ الْمَجِيدِ بِمَا بَعْدَ الْجَدَبِ
وَوَعَاهَا الدَّهْرُ فِي آثَارِهِ جَذْوَةٌ هَمَّاءٌ فِي رَأْسِ الْحَقِّسَبِ

* * *

هَذِهِ يَا مِصْرُ ذِكْرِي فَادْكُرِي مَا تَوَلَّيَ وَالْأَبْيَ خَيْرَ الدُّنَا
أَرْجِعِي الْكَرَّةَ لَا هَيَابَةَ وَاعْلَبِي بِالْعِزِّ أَشْهَاتِ النَّوْبِ

* * *

المهرجان*

مَا هُتَافٌ ثَمَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَا دُعَاءٌ ثَمَّ فِي كُلِّ لِسَانٍ؟
مَا نَشِيدٌ تُسَكُّبُ الدُّنْيَا بِهِ أَعَذَّبَ الْأَلْحَانُ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ؟
مَا شُعُورٌ فَاضَ كَالْوَحْيِ هَفَاً فَهَذَا الشَّعْرُ عَلَى كُلِّ جَنَانٍ؟
مَا ابْتِهَاجٌ وَسُرُورٌ وَرِضَا وَانْطِلَاقٌ فِي التَّمَنِّي وَالْأَمَانِ؟
مَهْرَجَانُ الْعَرْشِ وَالشَّعْبِ مَعَاً عَاشَ فَارُوقٌ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ

* * *

قَالَ لِي الدَّهْرُ - وَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنِ خَفَايَاهُ فَأَفْشَى وَأَبَانَ:
لَيْسَ كَالْيَوْمِ جَمَالاً وَسَنِيٌّ مِنْذُ مَا كَانَ زَمَانٌ وَمَكَانٌ
لَيْسَ كَالْيَوْمِ ابْتِهَاجاً وَمُنَى مِنْذُ مَا كَانَ ابْتِدَاعٌ وَافْتِنَانٌ
غَيْرُ يَوْمَيْنِ وَإِنِّي حَافِظٌ فِي سِجْلِي كُلِّ مَا كَانَ وَبَانٌ
يَوْمٌ مِيلَادٍ وَفِي يَوْمٍ ارْتَقَى عَرْشَهُ السَّامِيُّ فَأَعْلَاهُ وَزَانٌ
ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقٌ وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ!
أَنْتَ يَا فَارُوقُ خَيْرٌ خَالِصٌ بَيْتَمَا الْخَيْرُ مَشُوبٌ فِي الزَّمَانِ
مَنْ ضَمِيرِ الشَّعْبِ مَنْ يَقْظَتُهُ مِنْ مَنَاهُ مَنْ أَغَانِيهِ الْحَسَانُ
صَاغَكَ اللَّهُ سَنَاءً وَسَنِيٌّ صَانَكَ اللَّهُ وَأَعْطَاكَ الْأَمَانُ!!
صَانَكَ اللَّهُ. فَإِنَّا أُمَّةٌ تَقْدِرُ الْمُحْسِنَ فِي غَيْرِ امْتِنَانٍ
كُلَّ يَوْمٍ أَنْتَ فِيهِ مَهْرَجَانُ عَاشَ فَارُوقٌ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ!!

* * *

أنت في مصر قُوى كامنَةٌ منذ كانت مصرُ شعباً ذا كيانٍ
يُسَلِّمُ الجيلُ إلى تابعه هذه القوةُ تذكُّو وتُصانُ
والليالي مرهصاتٌ والدُّنا ترُقُبُ الميلادِ آنا بعدَ آن^(١)
ثم شَبَّ الشَّعبُ في نهضته ناضجَ الفِكرَةِ مشبوبَ الجنانِ
فإذا فاروقُ في طَلَعَتِه قهتفُ البشري على كلِّ لسانٍ
ثم كان اليومُ يومَ المهرجانِ عاش فاروقُ، ودام المهرجانُ!

* * *

أنت صنوُ الشعبِ في تاريخه كنتَ منه في الأمانِي يومَ كانَ
قد تَوَافَى مَوْلِدُ النهضةِ والمولِدُ الضَّاحِي، فوافت بُشْرِيان^(٢)
حِكْمَةٌ هَذَا التَّوَافِي عَجَبٌ شَاءَهَا اللهُ فجاءتْ في الأوانِ
ثم وَافَى اليومُ، يومُ المهرجانِ عاش فاروقُ، ودام المهرجانُ

* * *

يا صديقَ الشعبِ قَدْ نهضتَه في سباقِ الكونِ يظْفِرُ بالرهانِ
وله مِنْكَ شبابٌ طامِحٌ يبعثُ الجرأةَ في قلبِ الجبانِ
كلُّ قلبٍ حينَ تدْعُو هاتِفٌ: إليه لبيك، إلى شَطِّ الأمانِ
إليه لبيك، وفيه نَشْوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّمَحِ ضَمَانُ

١ - مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسَه.

٢ - توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إِيَّاهُ لِيكَ، وَقَدْ طَهَّرَهُ حُبُّكَ السَّامِي وَرَوَّاهُ الْحَنَانُ
كُلُّ قَلْبٍ خَافَقَ بِالْمَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقٌ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ

* * *

شَعَّعَ النَّغْمَةَ فِي قِيثَارَتِي وَحِيَّكَ الْعَذْبُ فَجَوَّدَتْ الْبَيَانُ
وَجَرَى الشُّعْرُ فِي نَكْهَتِهِ مِنْ مَعَانِيكَ شَذَى عَرَفَ الْجِنَانُ
فَأَنَا الشَّادِي فِي رُوحِي هَوًى عَبَقَرِي الْوَحْيَ ذَاكِي الْاِفْتِنَانُ
وَأَنَا الشَّاعِرُ آفَاقِي سَمَتَ فَسَمَا مِنِّي بَيَانٌ وَمَعَانُ
وَأَنَا الْغَرِيدُ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ عَاشَ فَارُوقٌ، وَدَامَ الْمَهْرَجَانُ

* * *



أخي إِنْ نُمْتُ نُلُوقَ أَحِبَابِنَا

فَرُوضَاتُ رَبِّي أُعَدَّتْ لَنَا

وَأَطْيَارُهَا رَفَرَفَتْ حَوْلَنَا فَطُوبَى

لَنَا فِي دِيَارِ الْخُلُودِ

سید قطب

هبل.. هبل *

هَبْلٌ ... هَبْلُ رَمَزُ السَّخَافَةِ وَالذَّجَلِ
مَنْ بَعْدَ مَا انْدَثَرَتْ عَلَى أَيْدِي الْأَبَاةِ
عَادَتْ إِلَيْنَا الْيَوْمَ فِي ثَوْبِ الطُّغَاةِ
تَتَنَشَّقُ الْبُحُورُ تَحْرِقُهُ أَسَاطِيرُ النَّفَاقِ
مَنْ قُيِّدَتْ بِالْأُسْرِ فِي قَيْدِ الْخَنَا وَالْإِرْتِزَاقِ^(١)
وَتَنْ يَقُودُ جُمُوعَهُمْ ... يَا لِلْخَجَلِ
* * *

هَبْلٌ ... هَبْلُ
رَمَزُ السَّخَافَةِ وَالْجَهَالَةِ وَالذَّجَلِ
لَا تَسْأَلْنِ يَا صَاحِبِي تِلْكَ الْجُمُوعِ
لِمَنْ التَّعَبُّدُ وَالْمَثُوبَةُ وَالْخُضُوعُ^(٣)
دَعَهَا فَمَا هِيَ غَيْرُ خَرْفَانٍ ... الْقَطِيعِ
مَعْبُودُهَا صَنَمٌ يَرَاهُ ... الْعَمُّ سَامٌ
وَتَكْفَلُ الدُّوَلَارُ كِي يُضْفِي عَلَيْهِ الْإِحْتِرَامَ
وَسَعَى الْقَطِيعُ غَبَاوَةً ... يَا لِلْبَطَلِ
* * *

* من مجموعة شعرية قُبلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢ صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) ٤/٤١ هَبْلُ: صنم كان بالكعبة، وهو رمز لكل طاغية.
١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبْلٌ ... هُبْلٌ

رَمَزُ الْخِيَانَةِ وَالْجَهَالَةِ وَالسَّخَافَةِ وَالِدَّجَلِ
هُتَافَةُ التَّهْرِيجِ مَا مَلُّوا الثَّنَاءَ
زَعَمُوا لَهُ مَا لَيْسَ ... عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ
مَلِكٌ تَجَلَّبَبَ بِالضِّيَاءِ وَجَاءَ مِنْ كِبِدِ السَّمَاءِ
هُوَ فَاتِحٌ ... هُوَ عَبَقُوتِي مُلْهِمٌ
هُوَ مُرْسَلٌ ... هُوَ عَالِمٌ وَمُعَلِّمٌ
وَمِنْ الْجَهَالَةِ مَا قَتَلَ
* * *

هُبْلٌ ... هُبْلٌ

رَمَزُ الْخِيَانَةِ وَالْعِمَالَةِ وَالِدَّجَلِ
صَيَغَتْ لَهُ الْأَمْجَادُ زَائِفَةٌ فَصَدَّقَهَا الْغَبِي
وَاسْتَنْكَرَ الْكَذِبَ الصُّرَاحَ وَرَدَّهُ الْحُرُّ الْأَبِي
لَكِنَّمَا الْأَحْرَارُ فِي هَذَا الزَّمَانِ هُمْ الْقَلِيلُ
فَلْيَدْخُلُوا السَّجْنَ الرَّهِيْبَ وَيَصْبِرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ
وَلْيَشْهَدُوا أَقْسَى رَوَايَةٍ ... فَلِكُلِّ طَاغِيَةٍ نَهَايَةٌ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلٌ ... هُبْلٌ ... هُبْلٌ هُبْلٌ ... هُبْلٌ
* * *

أفيا*

أخي أنت حرٌّ وراء السُّدود أخي أنت حرٌّ بتلك القيود
إذا كُنتَ بالله مُستعصماً فماذا يضيرك كيدُ العيود

* * *

أخي سَتَبِيدُ^{٢٦} جُيوشُ الظلام وَيُشْرِقُ في الكَوْنِ فجرٌ جديد
فأُطْلِقْ لِرُوحِكَ إشراقها تَرى الفَجْرَ يَرْمُقُنَا من بعيد

* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ ذليل وَغَدْرًا رَمَاكَ ذِرَاعُ كَلِيل
سَتُبْتَرُ يَوْمًا فَصَبْرٌ جميل ولم يَدَمْ بعدُ عَرِينُ الأَسود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَدِيكَ الدِّماء أَبَتْ أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإِماء
سَتَرْفَعُ قُرْبَانَهَا... لِلسَّماء بوسامِ الخُلود

* * *

أخي هل تُرَاكَ سَئِمْتَ الكِفاح وَأَلْقَيْتَ عن كَاهِلِكَ السَّلاح
فَمَنْ للضَّحايا يواسي... الجراح ويرفعُ رايتها من جديد

* * *

* الكفاح الإسلامي الأردني - العدد ٢٩ - الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦ هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أَخِي هَلْ سَمِعْتَ أَنْيْنَ التُّرَابِ تَدُكُ حَصَاهُ جِيُوشُ الْخَرَابِ
تَمَزَّقُ أَحْشَاءَهُ بِالْحَرَابِ وَتَصْفَعُهُ وَهُوَ صَلْبٌ عَنِيدٌ

أَخِي إِنِّي الْيَوْمَ صَلَبُ الْمِرَاسِ أَذُكَ صُخُورَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِ
غَدًا سَأَشِيحُ بِفَأْسِ الْخِلَاصِ رُؤُوسِ الْأَفَاعِي إِلَى أَنْ تَبِيدَ

أَخِي إِنْ ذَرَفْتَ عَلَيَّ الدَّمُوعَ وَبَلَّلْتَ قَبْرِي بِهَا فِي خُشُوعٍ
فَأَوْقِدْ لَهُمْ مِنْ رُفَاتِي الشُّمُوعَ وَسَيُروا بِهَا نَحْوَ مَجْدٍ تَلِيدِ

أَخِي إِنْ نَمُتْ نَلْقَ أَحِبَابَنَا فَرُوضَاتُ رَبِّي أُعِدَّتْ لَنَا
وَأَطْيَارُهَا رَفَرَفَتْ حَوْلَنَا فَطُوبَى لَنَا فِي دِيَارِ الْخُلُودِ

أَخِي إِنِّي مَا سَئِمْتُ الْكِفَاحَ وَلَا أَنَا أَلْقَيْتُ عَنِي السَّلَاحَ
وَإِنْ طَوَّقْتَنِي جِيُوشُ الظَّلَامِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ... بِالصَّبَاحِ

وَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ طَرِيقِي إِلَى اللَّهِ رَبِّ السَّانَا وَالشُّرُوقِ
فَإِنْ عَافَنِي السَّوْقُ أَوْ عَقَّنِي فَإِنِّي أَمِينٌ لِعَهْدِي الْوَثِيقِ

أَخِي أَخَذُوكَ عَلَى إِثْرِنَا وَفَوَّجَ عَلَى إِثْرِ فَوْجٍ جَدِيدٍ
فَإِنْ أَنَا مُتُّ فَإِنِّي شَهِيدٌ وَأَنْتَ سَتَمُضِي بِنَصْرِ جَدِيدٍ

* * *

قَدْ اخْتَارَنَا اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ وَإِنَّا سَنَمُضِي عَلَى سُنَّتِهِ
فَمِنَّا الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ وَمِنَّا الْحَفِیْظُ عَلَى ذِمَّتِهِ

* * *

أَخِي فَأَمَضِ لَا تَلْتَفِتْ لِلوَرَاءِ طَرِيقُكَ قَدْ خَضَبَتْهُ الدِّمَاءُ
وَلَا تَلْتَفِتْ هَهُنَا أَوْ هُنَاكَ وَلَا تَتَطَلَّعْ لغيرِ السَّمَاءِ

* * *

فَلَسْنَا بِطَيْرٍ مَهِيضِ الْجَنَاحِ وَلَنْ نُسْتَذَكَّ وَلَنْ نُسْتَبَاحَ
وَإِنِّي لِأَسْمَعُ صَوْتَ الدِّمَاءِ قَوِيًّا يُنَادِي الْكِفَاحَ الْكِفَاحَ

* * *

سَأَثَارُ لَكِنْ لِرَبِّ وَدِينٍ وَأَمُضِي عَلَى سُنَّتِي فِي يَقِينٍ
فِيمَا إِلَى النَّصْرِ فَوْقَ الْأَنَامِ وَإِمَّا إِلَى اللَّهِ فِي الْخَالِدِينَ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ١٠/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بحيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلماً مثل أخواله

كما كان أبوه راشداً عاقلاً وعضواً في لجنة الحزب الوطني وعميداً لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياء القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان ديناً في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعت في وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكره في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتع مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهد حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في الجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصاً شديداً جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه -فيما بعد- من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية -مدرسة عبد العزيز- ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرساً ابتدائياً حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سبباً في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدأت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه: «مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيماناً مطلقاً». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركاً فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا - كما أمل وأملت أمه معه - غير أن مرتبه كان ستة جنيهاً ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمتها من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء - كما يصفهم - كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة - وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسماً في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشاً بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي - أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكاً آخر بعيداً: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و«النماذج الإنسانية في القرآن»، و«المنطق الوجداني في القرآن»، و«أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تنل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم — في رأيه — ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ١٩٤٨/١١/٣ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب — في قوة التعبير

وحيويته - ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعياً يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجباً إسلامياً تفرضه المسؤولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسليح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتته الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحتة فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس

5.....	مقدمة د. حسن حنفي
13	مقدمة المؤلف
23	التمرد
25	عُزْلَةٌ فِي ثَوْرَةٍ!!!
31	زَفَرَاتُ جَامِحَةٍ مَكْبُوحَةٍ
33	عَاشِقُ الْمُحَالِ
35	حُلْمٌ قَدِيمٌ
37	بَعْدَ الْأَوَانِ
39	الشكوى
41	سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ
44	سُخْرِيَةُ الْأَقْدَارِ
45	الصَّدِيقُ الْمَفْقُودُ!
48	خَرَابُ!
49	خَرِيفُ الْحَيَاةِ
51	النَّفْسُ الضَّائِعَةُ
53	الْغَدُّ الْمَجْهُولُ
55	غَرِيبٌ...!
56	مَرَّ يَوْمٌ
57	إِلَى الثَّلَاثِينَ
59	خُطَا الزَّمَنِ الْوَثَّابِ
61	نَهَايَةُ الْمَطَافِ
63	الحنين
65	عَهْدُ الصَّغَرِ
67	جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَاضِي
70	الْمَاضِي
72	رِثَاءُ عَهْدٍ

74.....	عَهْدٌ ذَاهِبٌ؟!
76.....	السعادةُ حديثُ الأَشْقِيَاءِ
77.....	وَحْيُ الرِّيفِ
79.....	ليلات في الريف
81.....	العودةُ إلى الريف
83.....	الليلاتُ المَبْعُوثة
85.....	رَيْحَانَتِي الأولى أو الحِرْمَان
87.....	عِبَادَةٌ جَدِيدَةٌ؟!
88.....	تَسْبِيح...!
89.....	في السماء
90.....	بينَ عَهْدَيْنِ
92.....	نداءُ الخريف
95.....	هُتافُ رُوح
97.....	دُعَاءُ الغريب
99.....	ابتسامة
101.....	التأمل
103.....	بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوسِ أو حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتٍ*
105.....	هَدَأَتْ يَا قَلْبٌ؟!
106.....	الدنيا
106.....	عودة الحياة
108.....	البعث
110.....	الشُّعَاعُ الخَابِي
112.....	في الصحراء
115.....	بين الظلال
117.....	الإنسانُ الأخير
120.....	إلى الشاطئِ المجهول
122.....	السرُّ أو الشاعر في وادي الموتى

127	التجارب
130	خبيئة نفسي
132	الخطيئة
133	القطيع
136	على القمة
138	مصرع قصيدة
139	وَجُوهٌ طَرِيفَةٌ
140	إلى الظلام
143	في مفرق الطريق
145	أقدامٌ في الرَّمال
147	خُدعةُ الخلود
149	الغزل
150	لَيْلَةٌ؟! ..
151	نَظْرَةٌ مُوَحِّشَةٌ
153	طَيْف!! ..
155	صوت؟! ..
156	هي أنتِ
158	أحبك
161	عَيْنَانِ
162	حَدِّثْنِي
165	بيانو وقلب
166	الظامئة
169	رَسُولُ الحِياةِ
170	سرُّ انتصار الحياة
171	المُعْجِزَةُ أَوْ السَّهْمُ الأخير
173	اللحنُ الحزين
147	الغيرة

177	مَضْرَعُ حُبِّ!
178	ليلة الشك
179	اليقين
180	الجنة الضائعة
181	الحنين والدُّمُوع
182	اللَّغْز
183	قُبْلَة
184	دَاعِي الحياة
185	تَحِيَة الحياة
186	الخطر
188	يَقْظَة
189	رُقِيَة الحُبِّ
191	الحياة الغالية
192	الكَوْنُ الجديد
193	حُبُّ الشُّكُور
195	الانتظار الخالد
196	الحُبُّ المَكْرُوه!
198	نَكْسَة!
200	على أطلال الحُبِّ
202	صَدَى قُبْلَة
204	غِنِي ... ؟!
206	وحي جديد
208	أكذوبة أسوان
209	حُلُمُ الحَيَاة
211	الكأسُ المَسْمُومَة
212	وَحْيُ لِقَاء
213	حُلُمُ الفَجْرِ

214	انْتَهَيْنَا
217	الوصف
218	وردة ذابلة
218	العود
220	بريشة الشعراو صورة صادقة
222	هَذَاة الليل
224	الصُّبْحُ يَتَنَفَّسُ
226	عبث الجمال
228	يوم خريف
230	الجبار العاجز
232	نَاحَتْ الصُّخْرُأَوْ «الفاعل»
234	حُلْمُ النَّيْلِ
235	وداع الشاطئ
235	من الفردوس إلى الجحيم
236	الوادي المقدس
241	في ليلة من ليالي الربيع
242	جَمَالٌ حَزِينٌ
243	الرثاء
244	وَحْيُ الْخُلُودِ
246	الذكرى الخالدة لسعد العظيم
249	البطل
253	ذكرى سعد
255	طليلة الضحايا
257	موت سوسو
259	الزَّادُ الْآخِرُ
260	نُوسَةٌ أَوْشَطَرٌ مِنَ الْعُمَرِ
264	صَدَى الْفَاجِعَةِ

267 الوطنيات
269 إلى البلاد الشقيقة
270 مأساة البدارى
271 صوت الوطنية
273 المهرجَان
277 وختاماً مع الخالدين
279 هُبْلٌ .. هُبْلٌ
281 أخى
285 ترجمة سيد قطب



ولولا الصدمة الحضارية التي تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك في (مقدمة في علم الاستغراب). ويتم استئناف (في ظلال القرآن) آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور في (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجهته الثانية (موقفنا من التراث الغربي).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافي -
الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد
إليه نفس الاعتبار ناقدًا ثم مفكرًا ثم
سياسيًا وتنتهي أسطورة (معالم على
الطريق). فنفسية السجين استثناء في حياة
الشاعر الرومانسي، والناقد الأدبي،
والمفكر الحر.

د. حسن حنفی

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعري والنقدي والفكري ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذي هو حرق سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكراً وثائراً ووطنياً باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن في 1954 وتعذيبه لما كفر المجتمع في (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسا وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى في جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

